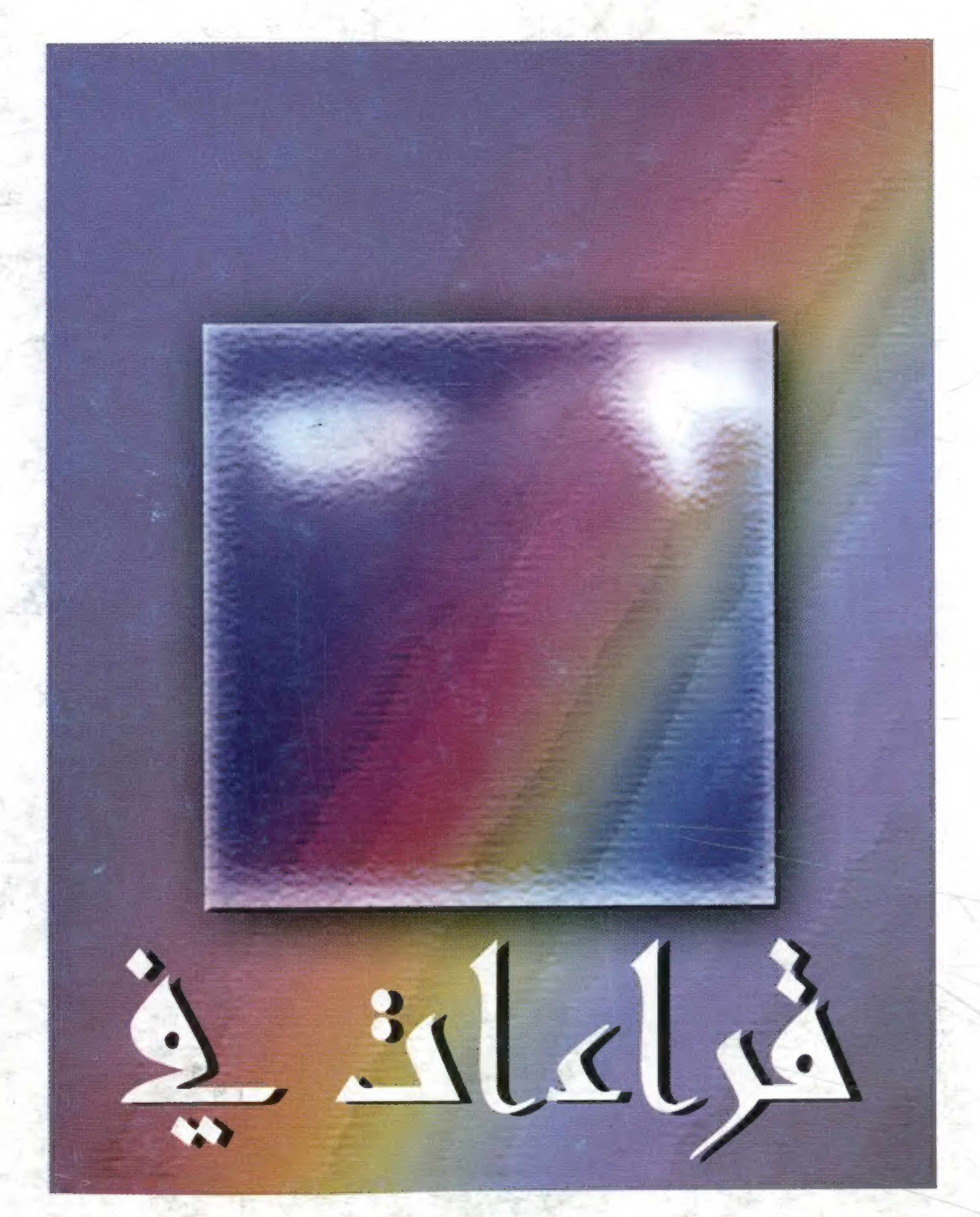




قراءات في فكر الخليلي

الطبعة الثانية / ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

إهـــــداء ٢٠٠٩

سفارة سلطنة عمان

جمهورية مصر العربية



قراءات في
فكر الخليلي

حصاد الندوة التي أحياها المنتدى الأدبي تكريما للمرحوم
العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي - رحمه الله

الفترة من ١٧ - ١٨ ذي القعدة ١٤١٣هـ

الموافق ٨ - ٩ مايو ١٩٩٣م

الطبعة الثانية / ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

صدر من هذه السلسلة:

١- قراءات في فكر السالمي

٢- قراءات في فكر البهلاني الرواحي

٣- قراءات في فكر العوتبي الصحاري

٤- قراءات في فكر السيد هلال بن بدر البوسعيدي

٥- قراءات في فكر أبي الصوفي

٦- قراءات في فكر أبي نبهان

٧- قراءات في فكر ابن بركة البهلوي

٨- قراءات في فكر ابن سعيد الكدمي

٩- قراءات في فكر ابن عريق

١٠- قراءات في فكر الاغبري

١١- قراءات في فكر الشقصي

١٢- قراءات في فكر أحمد بن النضر

تصميم الغلاف : نبيل البقيلي

المنتدى الأدبي

ص.ب :١٧٧٧– الرمز البريدي :١١١ البريد المركزي .

هاتف : ٢٤٤٩٣٤٢٤–٢٤٤٩٣٤٢٤–فاكس ::٢٤٤٩٢٥٧٥

البريد الإلكتروني :E-mail : litsoc@omantel.net.om

كلمة معالي السيد/مسلم بن علي البوسعيدي
وزير الدولة محافظ ظفار في الندوة

بسم الله والحمد لله العلي القدير القائل في محكم كتابه ﴿ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان الله غني حميد﴾ [1] ، وأصلي وأسلم على رسول الله القائل « أشكر الناس لله أشكرهم للناس» .. وبعد :

أصحاب السمو والمعالي .. سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام السلطنة ..

أصحاب السعادة .. أصحاب الفضيلة .. أحفاد المرحوم .. أيها الجمع الكريم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

لقد شاء الله لهذه الأمة أن تكون أمة رسالة تحملها وتوصلها الى البشرية جمعاء .

وإنه لمن دواعي السعادة أن نرى من بين أبناء عمان من تصدروا لمجالات الفكر والمعرفة جادين مجتهدين لاصطناع منهج علمي متكامل طرحوا عبره القضية الفكرية من أوسع أبوابها ، مدركين عن وعي أن ثقافتنا لا بد وأن تنهل زادها من معينها الثر الفياض ، وأن تستلهم حضارتها من الينبوع الغزير الذي لا ينضب ، وتحقق ذاتها من وحي كتاب الله الخالد وعلى هدي من السنة الشريفة ، ونهج السلف الصالح - رضوان الله عليهم -

أصحاب السمو والمعالي .. سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام السلطنة ..

أصحاب السعادة .. أصحاب الفضيلة .. أحفاد المرحوم .. أيها الجمع الكريم ..

نعم ، هكذا كان علماؤنا الأفاضل - طيب الله ثراهم - وعلى مر تاريخنا المشرق الوضاء عرفوا كما عرف العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي أن أمامهم رسالة لا بد من ابلاغها ، وأمانة لا بد من الايفاء بها ، فكانوا بحق ألسنة الأمة الصادقة والمدافعين عن حقوقها ، فكانت بصماتهم ماثلة للعيان وأعمالهم خالدة خلود الدهر ، بل إن ما قدموه للانسانية في سائر العلوم والمعارف كان بمثابة المنار الهادي لمن جاءوا من بعدهم ، واقتفوا آثارهم وحذوا حذوهم ، وإن المرحوم العلامة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي الذي نحتفل في هذه التظاهرة الثقافية المباركة بذكراه العطرة كان نموذجا فذا لعلماء عمان في سيرته وتصرفاته وسلوكياته وزهده وعلمه واشاراته التاريخية والتفاتاته البلاغية وتعليقاته اللغوية ، وروائعه الشعرية فجاءت مؤلفاته

---

(١) الآية ١٢ من سورة لقمان

من أجل المؤلفات العمانية وأكثرها نضجا واشراقا وأحفلها ايضاحا بالرأي .

أصحاب السمو والمعالي .. سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام السلطنة ..

أصحاب السعادة .. أصحاب الفضيلة .. أحفاد المرحوم .. أيها الجمع الكريم ..

وإننا نذكر بكل ثناء تلك المبادرة التي اتجه اليها المنتدى الأدبي في خطته للاحتفاء بتكريم علمائنا وأدبائنا وشعرائنا حيث بدأ هذه السلسلة بتكريم :

فضيلة الشيخ سالم بن حمود السيابي . والشيخ عبدالله بن علي الخليلي . والشيخ سعد بن راشد بن عزيز الخصيبي . والأستاذ عبدالله الطائي . والمرحوم العلامة المحقق نور الدين السالمي . والشيخ خلفان بن جميل السيابي .

ونحن إذ نذكر للمنتدى كل هذا فاننا نتطلع الى أن يكون هذا الصرح الأدبي أحد مشاعل الثقافة بالسلطنة ، ومؤشرا متجددا من مؤشرات الاهتمام بفكر الشباب وأدبهم وتطلعاتهم والنهوض بأصحاب المواهب منهم باتاحة الفرصة لهم لاكتساب الخبرة والنهل من معين المعرفة باحتكاكهم بالادباء المتمرسين بما ينسجم والتوجيهات السامية لمولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم في جعل عام ١٩٩٣م عاما للشباب بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان نبيلة .

وأختتم كلمتي بتوجيه الشكر الى صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة الذي آثرني برعاية هذه الندوة والى أسرة المنتدى الأدبي وجميع من شاركوا في انجاحها بعصارة أفكارهم ورحيق أقلامهم ، كما أوجهها دعوة حارة الى كل الأدباء والشعراء والأقلام الثقافية وأخص الشباب منهم لأذكرهم بأن هناك واجبا أدبيا يحتم علينا توفير المزيد من الدراسات الجادة والبحوث المستفيضة لاثراء المكتبة العمانية بالجديد النافع . وأن على أجيالنا الأدبية أن تشمر عن سواعدها لجمع شتات أدبنا وتراثنا مما تناثر هنا وهناك ليعود أدبنا وتراثنا الى سالف عهده نقيا براقا ، لتفيد منه أجيالنا المعاصرة والمستقبلة .

أشكركم جميعا .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

كلمة المنتدى الأدبي
التي ألقيت في الندوة

الحمد لله ؛ وأصلي وأسلم على أكرم الخلق رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه باحسان الى يوم الدين .. وبعد :

معالي السيد مسلم بن علي البوسعيدي وزير الدولة – محافظ ظفار ، أصحاب السمو والمعالي .. سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام السلطنة أصحاب السعادة والفضيلة ... أبناء وأحفاد المرحوم .. أيها الحضور الكرام :

إنه ليسعد المنتدى الأدبي أن يحتفل في هذه الليلة المباركة بافتتاح فعاليات ندوة العلامة المحقق المرحوم الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي تحت رعاية معالي السيد مسلم بن علي البوسعيدي وزير الدولة – محافظ ظفار .

أيها الحفل الكريم :

دأب المنتدى منذ افتتاحه على اقامة الندوات الفكرية والأدبية احتفاء بذكرى علمائناوأدبائنا، تسليطا للضوء على مآثرهم ، وتوضيحا لنهجهم ، وتعريفا بجهودهم الخيرة وما جادت به قرائحهم من مؤلفات ذات قيمة علمية كبيرة لما تزخر به من علوم الفقه والأدب الى الطب والرياضيات والفلك واللغة وعلومها .. الى شتى صنوف المعارف الانسانية ، وأود أن أنوه هنا بأن التكريم لا يقتصر على الأموات – رحمهم الله – كما قد يتبادر الى ذهن البعض وان كان من حق السلف الصالح علينا أن نذكرهم بالخير ، وأن نقتدي بهم ونحذو حذوهم لكننا راعينا في برنامج المنتدى الادبي الخاص بالتكريم أن يشمل هذا التكريم الأحياء ومن اختارهم الله – تعالى – الى جوار رحمته ، فقد بدأنا بفضيلة العلامة الشيخ المؤرخ سالم بن حمود السيابي والشاعر الكبير عبدالله بن علي الخليلي وهناك المزيد من الأسماء اللامعة التي ستأخذ دورها في طريق التكريم باذن الله وحوله .

ويسعدني في هذا المقام أن أنبه بأن عمان ما زالت تكتنز مخطوطات سوف يضيف اكتشافها الى المعرفة الانسانية الشيء الكثير ، وان الاطلاع على ما تكنه تلك المخطوطات ، والكشف عن مضامينها كفيل بأن يكشف عن جوانب من العلم خفية ، وأن يسد فجوات كثيرة في المعرفة ، وان احتفاءنا بذكرى علمائنا – طيب الله ثراهم – إن هو الا هدف نبيل من أهداف كثيرة يسعى المنتدى الى تحقيقها ، وهذا الهدف

يتمثل في استثارة همة الباحثين والدارسين ليشمروا عن سواعد الجد والاجتهاد ، لاجتلاء الصورة المشرقة لأمجادنا العمانية ، وحث شبابنا على القيام بدورهم الفاعل والنشط على الساحة العلمية والثقافية .

معالي السيد مسلم بن علي البوسعيدي وزير الدولة محافظ ظفار .. أصحاب السمو والمعالي .. سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام السلطنة .. أصحاب السعادة والفضيلة .. أبناء وأحفاد المرحوم .. أيها الجمع الكريم :

لقد كان العلامة المحقق المرحوم الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي ضمن كوكبة علماء عمان الذين كانوا بمثابة الجسور العلمية الواصلة بين نهج القديم والجديد من علمائنا في عملية توازن محكمة فكانوا – يرحمهم الله – كغدران تترقرق مياهها عذبة ، تروي الظمأى ، وتضفي على من حولها جوا مفعما بكل ما يبعث البهجة في النفوس والفرحة في القلوب ، والأمل في العيون ، وشيخنا الذي نحتفي بذكراه اليوم ، وبحضوركم الميمون ان هو الا نموذج فذ لما كان عليه السلف الصالح من علم ومعرفة ودقة في المتابعة والدراسة وتمسك بأهداب الحق ، وبحث عن الحقيقة ، وقيادة للفكر على أساس من العدل ، ومنهج من العلم دقيق مدعم بالأدلة والبراهين ، فما أحرانا ونحن نعيش عصر تفجر المعارف أن نسير على الدرب وصولا الى الهدف المنشود ، وتحقيقا للغاية المرجوة وعلى وحي من التوجيهات السامية لمولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم – حفظه الله – في بعث تراثنا العلمي الحافل بالعبقريات ، الزاخر بالأفذاذ من العلماء والأدباء والباحثين في كل علم وفن .

وختاما أتوجه بجزيل الشكر الى معالي السيد مسلم بن علي البوسعيدي وزير الدولة محافظ ظفار لتفضله برعاية فعاليات هذه الندوة ، والشكر مني ومن أسرة المنتدى الأدبي الى كل من أسهم في احياء هذه التظاهرة الثقافية من أساتذة وعلماء وأخص بالذكر سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام السلطنة الذي أضفى بمشاركته الكثير الكثير وساهم في انجاحها ، ولا يفوتني أن أتوجه بالتحية الخالصة الى صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة لحرصه الدائم على توجيهنا ورعاية هذا الصرح الثقافي باهتمامه ، ودعوة حارة أرجو أن تمس قلوب الشباب ، وتخاطب عقولهم ، وتحظى بعنايتهم ، دعوة أوجهها الى شبابنا ، شباب قابوس أذكرهم فيها بأن أبواب المنتدى مفتوحة صباح مساء لاستقبالهم والترحيب بهم ، والاطلاع على أفكارهم والأخذ بأيديهم ، راجين أن يكونوا في عامهم هذا محط الثقة الغالية لمولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم – رعاه الله وأيده بنصره .

أشكركم جميعا على حسن استماعكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الخليلي فقيها ومحققا

محاضرة

سماحة الشيخ

أحمد بن حمد الخليلي

مفتي عام السلطنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه حق حمده ، أحمده كما ينبغي لجلاله وعظمته وسلطانه ، سبحانه لا أحصي ثناء عليه كما أثنى هو على نفسه ، وأشهد أن لا اله الا اللّه وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله أرسله اللّه بالمحجة البيضاء والطريقة السواء والشريعة السمحاء ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ، نصح الأمة وكشف الغمة صلوات اللّه وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى تابعيهم من العلماء العاملين الناصرين لدين اللّه تعالى والقائمين بأمره حتى أتاهم اليقين ... أما بعد :

فيا أصحاب الفضيلة العلماء ويا أيها الأخوة الأعزاء والأبناء الكرام ، السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته .

أحييكم بهذه التحية المباركة وأشكر لكم حضوركم في هذه الليلة الغراء ، كما انني قبل كل شيء أشكر وزارة التراث القومي والثقافة وعلى رأسها صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة ، على اتاحته هذه الفرصة لي في هذه الليلة للتحدث عن هذا العملاق القطب الرباني والبحر الصمداني أبي محمد سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي الخروصي – رحمه اللّه تعالى ورضي عنه – ولا شك أن كل أحد يشعر بالاعتزاز بهذه العناية من هذه الوزارة الموقرة بالأسلاف الماضين بحثا عن تراثهم وتنقيبا عن مآثرهم وتخليدا لذكراهم لأجل ربط الحاضر بالماضي ولأجل أن يتزود الشباب من تراث سلفهم الماضين ليربطوا ما بين سيرتهم الحاضرة المظفرة وبين ماضيهم العريق ليكون هذا الحاضر المشرق صورة من الماضي الجليل .

ولقد دعيت من قبل هذه الوزارة لأتحدث عن المحتفى به فقيهاً ومحققا ، واني وان حاول الشيخ العزيز مدير الجلسة بأن يجعل بيني وبين المتحدث عنه قاسما مشتركا فان هذا القاسم لا يعدو كونه محاولة للتتلمذ على تراث ذلك العملاق العظيم والا فانه لا يمكن أن يقاس ما بين الجبل الأشم وما بين ربوة متواضعة ، لأن هذا القياس متعذر .

فالحديث عن المحتفى به حديث ذو شجون ، وفي الليلة الماضية قدمت أوراق عمل

من قبل أربعة من الاخوة الباحثين الأكفياء الذين تحدثوا عن العملاق المحقق من حيث تراثه الفقهي ومن حيث تراثه اللغوي ، أما من حيث التراث الفقهي فقد تحدث الشيخ مبارك بن عبدالله الراشدي بما فيه الكفاية وتحدث ثلاثة من رجال اللغة والأدب وهم أساتذة في جامعة السلطان قابوس عن تراثه اللغوي ، حيث تحدث اثنان منهم عن كتابه (مقاليد التصريف)) والآخر عن كتابه (مظهر الخافي المضمَّن الكافي في علم العروض والقوافي) .

وحديثهم جميعا كان متعة للسامعين – مع ضيق الوقت الذي تناول فيه كل منهم بحثه بالعرض على الحضور – وقد كان في برنامج جلسة الأمس أن ستكون مناقشة من بعد ولكن لم تتح الفرصة للمناقشة بسبب ضيق الوقت .

وقد كانت في نفسي خواطر بعد ما سمعت الذي سمعته من أولئك الباحثين أردت عرضها في المناقشة التي أعد لها ولكن لم تتح لي الفرصة آنذاك للحديث عن هذه الخواطر .

والذي يمكنني الآن أن أقوله : بأنني أسجل مع أولئك الذين اقترحوا بأن يبحث تراث المحتفى به ويعرض بطريقة علمية محققة ، – أضم صوتي الى صوت أولئك وأسجل اقتراحي مع هذا الاقتراح الذي أبدوه – ، ولا ريب ان الذي يطالع ما طبع الآن من مؤلفات الشيخ ربما ينتقل من الجهل البسيط الى الجهل المركب بسبب الأخطاء التي مليء بها كتاب مقاليد التصريف والتي امتلأ بها أيضاً كتاب تمهيد قواعد الايمان، فكم أتمنى أن يكون الكتابان مطبوعين طبعة محققة علمية للاستفادة من هذا التراث العلمي الواسع .

على أن كتاب مقاليد التصريف توجد منه نسخ متعددة وقد اطلعت على نحو خمس نسخ من هذا الكتاب والنسخة الأولى التي أطلعت عليها قبل أكثر من ثلاثين سنة من الآن فيها كثير من التعديلات والظاهر أن هذه التعديلات كانت من المؤلف في حياته وقد رأيت النسخ الأخرى متفقة مع تلك التعديلات فان النسخة الأولى التي اطلعت عليها خطت في ريعان شباب المؤلف .

والكتاب – حسبما فهمت من المشايخ الذين أدركتهم وتحدثوا اليَّ عن الشيخ – كان باكورة عمله أو باكورة انتاجه العلمي ولئن كان العلامة البياني الكبير عبد الرحمن الأخضري يقول في خاتمة كتابه الجوهر المكنون في الثلاثة الفنون .

ولِبُنيّ احدى وعشرين سنة معذرة مقبولة مستحسنة

فان مؤلفنا فيما أخبرت به قد ألف هذا الكتاب وهو لم يجاوز السادسة عشرة من عمره .

حدثني بذلك أحد الثقات وهو الشيخ القاضي سعود بن سليمان بن محمد الكندي نقلا عن جده العلامة الشيخ سعيد بن ناصر الكندي ، وهذا الأخير كان – رحمه اللّه – تلميذا للمحتفى به ، فقد ذكر الناقل عن ذلك الشيخ بأن المحقق الخليلي – رحمه اللّه – كان يتردد على الشيخ سعيد بن عامر الطيواني ببلدة بوشر طالبا العلم منه ، فافتقده فترة من الوقت ، وذهب الى أمه وسألها عنه فلما عاد عليها أقبلت عليه تلومه وتقرعه بسبب انقطاعه عن الدراسة على يديه فذهب الى شيخه وهو يحمل اليه هذا الانتاج العلمي الذي هو ألفية في علم التصريف .

هذه الألفية فيها من عذوبة القول وسلاسة التعبير وحسن التركيب ما ربما يعد انتاجا جديدا لم يكن له مثيل فيما تقدم .

وحسبه انكم تجدون في هذه الألفية تقريب الحقائق الى طالبها بأسلوب مبسط ومفصل ربما لم يكن فيما تقدم من النظم في هذا الفن حيث اننا نجد في الأفعال المزيدة التي نظمها علماء هذا الفن جمعا لها من غير تمييز بين الملحق وغيره كالذي نجده في لامية الأفعال للامام ابن مالك الذي ذكر هذه الأفعال مجتمعة من غير تفريق بين الملحق وغير الملحق وبين الملحق بفعلل والملحق بتفعلل والملحق بافعنلل ، في ذلك قوله :

واحبنطأ احونصل اسلنقى تمسكن سل
قسى قلنست جروبت هروات مرتحلا
وزهزقت هلقت رهمست اكوأل ترهـ
شف اجفاظ اشلهم قطرن الجملا

بينما نجد المحقق الخليلي في مقاليد التصريف أولا الملحق بفعلل في قوله :

هاك مزيدا ملحقا بفعللا فعلنست وسفعلا

الى آخر ما قاله ثم انتقل الى الملحق بتفعلل .

تـفـعـلـل المزيـد واوا سـبـقـا   عـيـنـا أو إثـر (هـا) بـه قـد الحقـا
أو هـاء أثـر الـفـاء أو يـاء تـلـي   (فـا) واخـر بـلامين اجـتـلـى
والـخـلـف في ثـلاثـة كـن نـاقـلا   تـفـعـلت تمفـعـلت تـفـاعـلا

ثم ذكر الملحق بافعنلل فقال :

كـافـعـنـلـل افـونـعـل ثـم افـعـنـلسـا   وافـعـنـلأ افـعـنـلـى ونـحـو اقـعـنسـا

ثم انتقل الى غير الملحق فقال :

وغير ذي الالحاق فـهـو افـعـلا   والمد رابـعـا مـزيـدا حـلا
وافـتـعـلت وانـفـعـلت وكـاسـتـقـر   واعـثـو جـجت مـع اسـلـهـم واسـبـطـر

هذا الانتاج في باكورة عمره يدل على رسوخ قدمه في علم اللغة العربية ، ومما يدل على أن المؤلف ألف هذا الكتاب في ريعان شبابه ما ذكره في شرحه من أن اقدامه على الشرح كان بتوجيه من شيخه العلامة الكبير ناصر بن أبي نبهان – رحمهما اللّه تعالى– .

فقد قال في مقدمة الشرح (فقد منّ اللّه عليّ بألفية مغنية في هذا الفن الشريف وسميتها – والحمد للّه – : (بمقاليد التصريف) ولما اطلع على نظمها العالم الرباني والبحر النوراني وحيد دهره بلا ممانعة وفريد عصره بلا منازعة أبو محمد ناصر ابن العلامة المولوي الولي أبي نبهان جاعد بن خميس الخليلي الخروصي أمرني أن أثبت عليها شرحا لطيفاً مختصرا و لم يقبل تعلليِ كلما جئته فلم استطع خلافا لأمره ، ولا تبديلا بل تلوت ﴿انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ [1] كما انه ذكر تأليفه هذا أيضاً في شرحه لكتاب (المظهر الخافي المضمن الكافي في علم العروض والقوافي) ، الذي ألفه بتوجيه من أستاذه اللغوي الشيخ العلامة حماد بن محمد البسط ، وقد كان شرحه لهذا المؤلف الأخير في عام ألف ومائتين وسبعة وخمسين ١٢٥٧ للهجرة ، وبناء على ما شهر من أن العلامة الخليلي ولد في عام ألف ومائتين وستة وثلاثين ١٢٣٦ للهجرة فعمره آنذاك احدى وعشرون سنة .

ونحن اذا رجعنا الى تراث العلامة المحقق الخليلي وجدنا ان الرجل كان موسوعة علمية ولربما نقول أن الرجل كان سابقا لزمانه فانه كان متلهفا الى الاطلاع على العلوم التي تأتي من أي مصدر كان ، وكان هو نفسه دقيقاً في دراسة ما يصل اليه من

---

(١) الآية رقم (٥) من سورة المزمّل .

هذه الفنون دراسة الناقد البصير ، ومن أمثلة ذلك انه اطلع على ما كتبه علماء النصارى من الفرنسيين .

ولا ريب أن المحقق الخليلي لم يكن على علم باللغة الفرنسية ، ولعله توصل الى مكنونات هذه الكتب عبر ترجمتها الى العربية فلا يستغرب ذلك فان بعض الكتب الفرنسية بدأت ترجمتها الى اللغة العربية مع النهضة العلمية الجديدة في مصر ، عندما ابتعث مجموعة من الطلبة الى فرنسا وكان المشرف على تلك المجموعة الشيخ رفاعة الطهطاوي وذلك في عهد محمد علي باشا ، وعاد بعد أن أتقن اللغة الفرنسية وترجم مجموعة من الكتب الفرنسية إلى اللغة العربية ، ولا يبعد أن تكون هذه الكتب وصل بعضها الى المحقق الخليلي عبر اتصاله ببعض علماء مصر آنذاك .

ومن بين أولئك العلماء الذين كانت له صلة بهم في ذلك الوقت الشيخ العلامة سعيد بن قاسم الشماخي الذي كان أحد رجال الاصلاح في مصر وقد انتقل اليها من تونس كسفير لها في أرض الكنانة بعدما كان يسكن جزيرة جربة في تونس ، وان من يطلع على بعض ما كتبه المحقق الخليلي يجد أن هنالك مراسلات تمت ما بينه وبين الشيخ المذكور كما انني وجدت قبل ما يقرب من ثلاثين سنة من الآن بعض الكتابات التي تدل على أن المحقق الخليلي كانت بينه وبين علماء مصر الآخرين مراسلات أيضاً .

ونجد أن المحقق الخليلي يتحدث في مؤلفاته عن أمور لم يكن ليعنى بها الفقهاء في ذلك الوقت فمثال ذلك انه عندما تحدث في كتابه (لطائف الحكم في صدقات النَّعَم) عن الأمراض التي تعتري النعم وتخل في قيمتها وتجعلها غير صالحة لايتائها في الزكاة قال اثر ذلك :

(ومن أراد مزيدا من الاطلاع على هذا فعليه بكتب البيطرة) مع اننا نجد بعض علمائنا كانوا يتحفظون على قراءة كتب البيطرة لما تصوروه من بعض الفساد في الأخلاق الذي ينتج عنها وليس ذلك بصحيح فان علم البيطرة علم الطب الحيواني ، كما ان علوم الطب الأخرى تعنى بالطب الانساني .

كما نجد أيضا المحقق الخليلي ذا عناية بعلوم العصر ، عندما يتحدث عن بعض الأمور التي تتعلق بالأحكام الشرعية للعلوم الطبيعية فهو عندما يتحدث عن السمع والآثار التي تترتب عليه ذكر طبيعة انتقال الصوت عبر الاثير الى الصمام ثم كيف يصل بعد ذلك الى الدماغ حتى يمكن للانسانِ أن يميز بين صوت وآخر وأن يفهم المراد من ذلك الصوت ان كان قول .

وعلى أي حال فان من مزاياه أيضا انه جمع ما بين العلوم الشرعية والعلوم اللغوية وقد كان في كل منها محققا طويل الباع وقد سمعتم من خلال البحوث التي قدمت الليلة الماضية كيف كان تعمقه في العلوم اللغوية ، وقد كان فصيح اللسان وحسبكم أن العلامة سيد الشعراء أبا مسلم الذي لقب بشاعر العرب ، كان يقول فيه : (وكلامه نظما ونثرا دليل قطعي على أن علمه كشفي وهبي لا يطيق أداءه الا من أكرمه اللّه بالوصول اليه).

كانت للمحقق الخليلي موهبة في البيان شعراً ونثرا ولكنه لم يكن في شعره يهيم في كل واد ويقول ما لا يفعل فلم يكن مشهورا بالغزل في ليلى ولبنى أو بالتشبيب في دعد وهند وانما كان صاحب رسالة ، طوع شعره كما طوع نثره لأجل القيام بتلكم الرسالة **(التي عنى بها ، فنجد في شعره الدعوة الى الاستقامة على الخير ، الدعوة الى التفاف المسلمين من أجل اعلاء كلمة اللّه ، الدعوة لأجل النهوض بهذه الأمة من مرقدها واثارتها من كبوتها لتضطلع بالأمانة التي نيط بها وجود الانسان على هذه الأرض وهي الخلافة فيها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد كان واسع الخيال ، ولكنه كان في خياله ذا حس ديني كما تجدون ذلك في شعره الذي يتحدث فيه عن الكائنات وكيف تسبح بحمد اللّه جميعا وكيف تدور في فلك عبادة اللّه-تبارك وتعالى- .)**

مثال ذلك انه اطلع على أبيات شعرية أرخ فيها قائلها حدوث سيل عرم بمكة المكرمة ملأ رحاب البيت العتيق حتى وصل الى القناديل المعلقة حوله ونص تلك الأبيات :

أتـى السـيـل مجتـاحـا لمكـة طـالـبـا ... فـطـهـرهـا واجتـاح مـنـهـا الأبـاطـيـلا
ومـا قصـد الضـر الشـنـيـع وانما ... أراد مـن الـركـن المعـظـم تـقـبـيـلا
يـقـولـون أرخ كـونـه قـلت فـاكـتـبـوا ... سـمـعـت بـأن الماء لاقـى الـقـنـاديـلا

فلم يكد يطلع عليها حتى هزته الأريحية ونالت كل اعجاب منه (ما عدا قول الشاعر) (واجتاح منها الأباطيلا) لما فيها من نسبة الأباطيل الى بلد اللّه الحرام ، فقال :

لـقـد حـج بـيـت الـلّـه سـيـل عـرمـرم ... وطـاف كـمـا طـاف الحجـيـج وسـلـمـوا
تشـوق لـلـبـيـت الـعـتـيـق ومـكـة ... فـجـاء كـمـا يـأتـي المشـوق المتـيـم
وقـبـل مـنـه الـركـن والحجـر الـذي ... تسـامـى فـحـيـاه الحطـيـم وزمـزم
ومـا كـان مجتـاحـا ولا مـفـسـدا لـهـا ... ولـكـن بـه مـن رحـمـة الـلّـه أنـعـم
يـطـهـر أوسـاخ الـبـقـاع مـقـدسـا ... لما مسـه مـنـهـا عصـي ومجرم
فـلا تـعـجـبـوا ان عـاد بـحـرا فـانما ... تـعـاظـم قـدرا مـثـلـمـا يـتـعـظـم

الى أن قال :

كما بفناء البيت والحجر اغتدت تطهر أوساخ الذنوب وتحسم
فلله من أرض مقدسة به وتاريخه حيا غمام مسلم

ثم صاغ بيانا آخر هذا الحدث بخيال مرهف اذ قال :

قد سمعنا ما لم يكن مذكورا آية تملأ المسامع نورا
ذرفت أعين السحائب من خشـ ـية رب السماء دمعا غزيرا
سكبته ماء ولو انها اسطاعـ ـت لأجرت من الدماء بحوراً
فأتى سيلها والقلب فيه خفقان تظنه مذعورا

إلى أن قال بعد أبيات :

أدركته عناية أوردته حرم اللّه بيته المعمورا
يطلب العفو والأمان من اللّه وكان المولى سميعا بصيرا
عقد النذر بالطواف فقل تا ريخه ناجى السيل وفّى النذورا

وهو ينطلق بالحس الايماني بحيث يرى أن الكائنات كلها تنقاد لأمر اللّه وتخضع له وتسبح بحمده وتعبده - تبارك وتعالى- كأجناس العقلاء ، وقد كان يحس وهو يسبح بحمد اللّه وينقاد لأمره ويسجد خاضعا لجلاله يحس بألسنة متعددة من كيانه ، تشاركه هذا التسبيح وكأنما كان يبصر ما وصل اليه العلم الحديث من أن في الانسان كائنات تقدر بمليارات المليارات ، هذه الكائنات هي الخلايا وما هو أدق منها كالجزيئات التي تسمى الكرموسومات والجينات ، فكان من قوله في ذلك :

أعاين تسبيحي بنور جناني فأشهد فيّ ألف ألف لسان
وكل لسان أجتلي من لغاته اذاً ألف ألف من غريب أغاني
ويهدي الى سمعي بكل لغية هدى ألف ألف من شتات معاني
وفي كل معنى ألف ألف عجيبة يقصر عن احصائها الثقلان
ولم أذكر الأعداد الا نموذجا كأني في أوصاف ميتطران
والا ففوق العد أمر منزه عن الحد يفنى دونه الملوان
ولا تتعجب ان عجبت فانها حقائق صدق ليس بالهذيان

على أننا نجد في شعره أيضاً دفاعا عن العقيدة ، فعندما يطلع على شعر من بعض

الذين تسول لهم أنفسهم أن يجترئوا على اللّه – تبارك وتعالى – لا يقر له قرار حتى يرد على ذلك فعندما اطلع على بيتين قالهما المعري اجترأ فيهما على حق اللّه – تبارك وتعالى – اجتراءا خطيرا وهما :

ونهيت عن قتل النفوس تعمدا	وبعثت أنت لقتلها ملكين
وزعمت أن لها معادا آخرا	ما كان أغناها عن الحالين

لم يقر له القرار لما آراه من هذه الجرأة على اللّه – تبارك وتعالى – حتى رد على المعري بقوله :

هذا دليل علوه وجلاله	والعدل منه في كلا الأمرين
اللّه يفعل ما يشاء ولم يسل	وعن الجرائم يسأل الثقلين
واعادها لمثوبة وعقوبة	والعبد مقصور على هذين
فدع اعتراضا عن عمي وجهالة	(ما كان أغناه عن الحالين)

واطلع أيضا على بيتين متداولين عندنا كثيرا خصوصا من الذين يحبون المال والبيتان هما :

ان الدراهم في المواطن كلها	تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة	وهي السنان لمن أراد قتالا

فرد عليهم بقوله :

ان الدراهم في المواطن ربما	تكسو المذلة والصغار رجالا
في فقر موسى ما تراه مهلكا	أموال قارون فكانت آلا
فلكم غني قد غدت أمواله	تجني عليه مذلة ونكالا
ولكم فقير سالم في فقره	لم يخش حادثة ولا زلزالا
والحق ان غصون مال لم يكن	للّه تثمر حسرة ووبالا

هذا يدل على ايمانه وعلى انه يقيس الأمور كلها بمقاييس الحق وعلى انه لا يعبر الدنيا أي اهتمام الا اذا كانت مطوعة لأمر اللّه مسخرة لمرضاته – عز وجل – كما انه أيضا اطلع على بيتين نظمهما أحد العمانيين فيما يبدو وهما :

من خاف من نوب الزمان وعضه	فليزرع القت النضير بأرضه
في كل شهر منه تأتي غلة	تغنيك عن دين البخيل وقرضه

فعارضهما ببيتين آخرين هما :

مـن خـاف مـن نـوب الـزمـان وعضـه | فـلـيـدع رب الـعـرش خـالـق أرضـه
في كـل يـوم مـنـه تـأتـي رحـمـة | تـغـنـيك عـن ديـن الـبـخـيـل وقـرضـه

وكان يصوغ أشعاره صياغة بيانية يسكب فيها آلامه التي يحس بها من تفرق الأمة وما يترتب على ذلك من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم انصياع الناس لأمر اللّه – عز وجل – وتكبّر المترفين في الأرض واتخاذهم عباد اللّه خولا وماله دولا كما تجدون ذلك في قصيدته التي افتتحها بقوله :

تـلألأ بـرق في الـديـاجـي مشـعشـع | تضـاحـكـه أبـكـاك فـالـعين أدمـع
أم الـتـاع مـن ذكـر الأحـبـة والـنـوى | فـؤاد بـتـذكـار الـهـوى يـتصـدع
أم ارتـاع مـن دهـر أداني صـروفـه | تـكـاد الجبـال الشـم مـنـه تـزعـزع
زمـان بـه الـديـن الحنـيـفـي دارس | ونـاصـره مسـتضـعـف ومـروع

ويصور ما كان يقع في الأرض تصويرا يحس منه القارىء بانسكاب دموعه ، وتوالي أناته على ذلك الواقع الأليم الذي كانت تعيشه الأمة الاسلامية في ذلك قوله :

وأرمـلـة جـنـت بـفـرط بـكـائـهـا | لـقـلـة حـامـيـهـا الى الـلّـه تضـرع
كـأن الـيـتـامـى والمسـاكين جـيـفـة | لـلـحـمـانـهـا تـلك الـنـوابـح تسـفـح

ثم يقول بعد ذلك أبياتا :

فـيـالك لـيـلا قـد دجـى فـتـكـدرت | شموس الضحى فالصبح أسود أسفع

ثم يتطلع الى انجلاء ذلك الليل ويقول :

ألا تـنـجـلـي يـا لـيـل عـن صـبـح فـتـيـة | كـرام بـهـم قـد رد لـلـعـدل يـوشـع

ثم يصف أولئك الفتية بأوصاف ايمانية الى أن يقول :

كـأن مـثـاني ذكـرهـم في تـهـجـد | مـزامير داؤد بـهـا قـد تسـجـعـوا
كـأن بـهـم مـن نشـوة أذن عـاشـق | تشـوق لما يشـدو حـبـيب ممنـع
كـأن الـثـكـالى مـنـهـم في نـيـاحـة | وأوصـالـهـم مـن خـيـفـة تـتـخـلـع
كـأن حـطـام الأرض مـن لحم مـيـتـة | فـهـم عـنـه في عـلـيـائـهـم قـد تـرفـعـوا
كـأن مـن الشـهـد المصـفـى لقـاءهـم | لـربـهـم يـومـا ألحوا وأسـرعـوا
كـأنّ الـمـنـايـا مـنـيـة لـقـلـوبـهـم | فـمـا كـاد يثـني الـقـوم بـالحتف مصـرع
يـخـوضـون دأمـاء المنـايـا بـواسـمـا | كـأنـهـم في جـنـة الخلـد رتـع
قـد اطّـرحـوا لـبس الـدروع لأنـهـم | لـهـم مـن زكـيـات المنـاصـب أذرع

كما أن الشيخ جمع ما بين علوم الشريعة وعلوم اللغة أو بعبارة أخرى جمع ما بين العلم والأدب ، فانه ايضا جمع ما بين الشريعة والحقيقة ، وهذا مطلب مهم فهو مما عني بتزكية النفس ونظم في ذلك قصائد ، أهمها قصيدته المسماة (بالمعراج) هذه القصيدة افتتحها بقوله :

سلوك طريق العابدين بعرفان ... يلذ لأرواح غذين بايمان

يطيب لها فيه عناها فلم تزل ... مسافرة لا تستقر بأوطان

من العلم اعلام لها ودلائل ... ومن همة شماء والعزم ظهران

وزاد من التقوى لتقوى بنهجها ... ومن فقرها أوفى رفيق ومعوان

ولكنه عرف كيف تتأتى تزكية النفس بالأخلاق الحميدة ، والتحلي بالفضائل مشيرا بهذا الصدد الى قوله تعالى **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾** (١)

ومن هنا اجتنب المحقق الخليلي ذكر ما وفد الى الصوفية الاسلامية من مصطلحات عقيمة نتجت عن الاحتكاك بأصحاب الديانات المختلفة من برهمية وزردشتية وغيرها فنتج عن ذلك ما ألصق بالصوفية من سلبيات مما لا تقره العقيدة الحقة .

وقد أدرك –رحمه الله– أن صفاء الباطن لا يمكن أن يسيطر على النفس الا مع استقامة الظاهر ، فلذلك نجده في قصيدته التي اقتطفنا أبياتاً من مقدمتها يشترط في التزكية ترقي النفس في ثلاثة مدارج وهي (الاسلام والايمان والاحسان) ، ثم تحدث عما لكل منها من مراتب يرقاها السالكون ، فعندما ذكر الايمان مثلا ، وجه نظر القارىء الى أن الايمان ليس هو مجرد أفكار تحشى بها الأدمغة ولكنه طاقة روحانية تسيطر على العقل والوجدان فيستفيد المؤمن في عمله بكل ما يؤمن به من حقائق غيبية .

فايمانه بربه يجعله مطيعا له منيبا اليه متعلقا به في كل شؤون حياته ، لا يرجو غير فضله ، ولا يخشى الا بطشه ، وايمانه برسله يفضي به الى أن يأتم بهم ، ويتخلق بأخلاقهم فيستمد من ايمانه بابراهيم الصبر والحكمة ، ومن ايمانه بموسى الشدة في ذات الله – تعالى – ومن ايمانه بأيوب رضاه بقضاء ربه ، وهكذا ايمانه بالملائكة ينعكس أثره على سلوكه بحسب أحوال جميع أولئك الذين آمن بهم مما وصفوا به في الكتاب العزيز والسنة الطاهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

أما ايمانه بالكتب فهو يقتضي تجسيد هدايتها حتى تكون الحياة بكل ما تشتمل عليه

---

(١) من الآية ٢ من سورة الجمعة .

من أفعال وانفعالات ترجمة لها ، وبهذا يرقى العبد المؤمن على سلم ايمانه حتى يستوي على المرتبة الثالثة وهي مرتبة الاحسان التي صورها رسول اللّه بقوله (أن تعبد اللّه كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) .

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على اهتمام عالمنا المحتفى به ، بتزكية باطن النفس الى جانب اهتمامه بتقويم السلوك ، وذلك يتجلى في مؤلفاته وأجوبته النثرية والنظمية فانها كثيرا ما تشع جنباتها بأنوار الحقيقة بجانب ما فيها من بحث واستقصاء للأدلة الشرعية ، وما تدل عليه من أحكام ظاهرة .

ونجد في أجوبته النثرية والنظمية وفي مؤلفاته الشرعية المختلفة ايماء الى هذا الجانب وهو يحرص كل الحرص على أن يمزج ما بين الناحيتين أو بتعبير آخر ما بين علمي الظاهر والباطن ، وقد كان ذا باع طويل في علوم القرآن ، وألف رسالة في علوم التجويد .

ومن يطالع كتابه مقاليد التصريف يدرك أنه كان على علم بفن القراءات وكذلك أجوبته التي يفتي فيها عندما يسأل عن تفسير آيات من كتاب اللّه — تبارك وتعالى — ومن سعة أفقه في علوم القراءات أنه ذكر في بعض فتاواه أنه اطلع على وجوب الوقوف على الهمزة في (هؤلاء) فاذا بها خمسة وعشرون وجها ، وعلى وجوه أداء همزتي (أونبئكم) فاذا بها سبعة وعشرون وجها ، وعلى وجوه أداء الهمزات في قوله — تعالى — (ان أولياؤه) فاذا بها ستون وجها .

هذا يدل على سعة أفقه كما أن فتاواه التي تتعلق بالوقف في القرآن تدل على علمه الدقيق بمعاني القرآن الكريم .

وعندما سئل عن قصة الغرانيق ، وقصة الغرانيق بطبيعة الحال كانت مشكلة ، وهي مما زحف الى تفسير القرآن الكريم من افتراءات المفترين وتدجيلات الدجالين وقد اغتر بذلك بعض المفسرين ومن جملتهم شيخ المفسرين ابن جرير الطبري ، فانه — مع رسوخ قدمه في علم التفسير — اغتر بالروايات التي جاءت قبل هذه القصة فحشى بها كتابه وكذلك العلامة ابن كثير — مع غزارة علمه ومع عنايته بعلم الحديث وتمحيص الروايات — الا انه اغتر بهذه القصة ، كما نجد أيضاً بعض كبار المحدثين كالحافظ ابن حجر في الفتح أيضا حسنّ الروايات التي تتعلق بقصة الغرانيق .

وعندما سئل المحقق الخليلي عن هذه القصة جاء فيها بالقول البسط الذي اعتمد عليه المفسرون القدامى كالعلامة الفخر الرازي في تفسيره فانه تحدث عن هذه القصة بما لا يدع مجالا للشك أنها قصة باطلة . وكذلك العلامة الألوسي في تفسيره وهو من العلماء المتأخرين بل كان من المعاصرين للمحقق الخليلي كما أشبع القول فيها العلامة الأستاذ الامام محمد عبده في رسالة خصصها لبحث هذه القضية ، وعندما سئل المحقق الخليلي عن هذه المسألة أجاب جوابا مطولا وذكر ما قيل فيها من أقوال حيث قال :

ومن قال ان المصطفى زل أو سها — وفي الوحي بالوسواس قال وزيدا
فقول مخل بالوثوق بعصمة — النبيين والقرآن والوحي ان بدا
وجوز بعض كونه من قبل ما — به يبتلي الرحمن من قد تميدا
ليعلم من في ايمانه راسخ ومن — يزلزله شك ويزعجه الردى
ومن أعجب الأشياء شيء سمعته — رسول أتى بالوحي من ربه الهدى
يقول ولم ينطق هوى ثم أكدت — بان هو الا الوحي من رب أحمدا
ويتبعه بالسهو في اثر قوله — والقاء شيطان عليه تمردا
أما في متون الآي ما رد نطقه — بها زللا آمنت بالآي فاشهدا
وما جعل الرحمن في آلاي مدخلا — لالقاء شيطان وتلبيسه اعتدا
وظاهر ذي الآيات لم يأت كله — تأوله والحق يجلي به الصدى
أصاب وجوه الحق فيه عصابة — جلوا منه للسارين بدرا مخلدا
فهذا جواب من ضعيف فان يكن — هدى فاشكر اللّه الذي عبده هدى

كان هو الرأي الذي يتفق تماما مع دلائل الآيات بأن الرسول ﷺ معصوم وأن الوحي محفوظ فالآيات الصريحة دالة على عصمة النبي ﷺ من الزلل وانه معصوم من الزلل في كل شيء وخصوصا في تبليغه عن ربه – تبارك وتعالى – .

كما أن الآيات دالة على حفظ اللّه – تبارك وتعالى – لكتابه الذي أنزله من أن يناله شيء من الباطل ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾[1].

كل ذلك صريح في أن هذا الرأي الذي تبناه المحقق الخليلي هو الحق ، ومن يدرس بحوثه الفقهية يجد أنه كان ضليعا بالعلوم الشرعية دقيق النظر فيها ، فلم يكن ينقل الأقوال بما فيها من ضعف ووهن وانما كان يمحصها تمحيصا، وان نقل الأقوال الضعيفة بيّن

---

(١) من الآية ٤٢ سورة فصلت .

أثر ذلك ما فيها من الضعف ولربما ذكر في المسألة الواحدة نحو عشرة أقوال أو أكثر من ذلك ولكنه يحرص كل الحرص على بيان ما هو الحق ، وقد كان شجاعاً في رأيه كما كان محققا في بحثه .

وهو يحرص على أن تكون آراؤه التي يقولها مستندة الى الدليل ومتفقة مع الأهداف التي جاء من أجلها الدين الحنيف والمتفقة مع مقاصد الشرع .

من أمثلة ذلك أنه عندما تعرض في رسالته التي خصصها للجهاد لقضية جبر الامام رعيته على الجهاد اذا ما تلكأوا عن ذلك ، ذكر ما قيل من أقوال في هذه المسألة بين متشدد ومتساهل بحيث ان بعض العلماء قال :

(ليس للامام أن يجبر رعيته على أية حال من الأحوال) وذكر الآراء التي تذهب الى التفصيل ما بين حالة وأخرى وأدنى هذه الأقوال الى تسعة أقوال وذكر بعد ذلك قول المتصلبين الذين يقولون بأن للامام الحق في أن يجبر الرعية على الجهاد ما دامت المصلحة تقتضي ذلك .

وقال بعد سرد لهذه الأقوال :

(ان قول من لا يرى جبر الامام رعيته على الجهاد انما هو قول زهاد العلماء الذين يفرون بدينهم من شاهق الى شاهق ليس لهم نظير في سياسة الأمة وليس لهم نظر في قيادة الدين ، فهم أبعد ما يكونون عما تقتضيه السياسة) واستشهد ببعض الآيات التي تدل على حزم أولي العزم – حيث ذكر عن رسول الله سليمان ما كان من قوله للهدهد ﴿**لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين**﴾ [1] مع كونه طائرا ليس من المكلفين .

وذكر حال الثلاثة الذي خلفوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف فرضت القطيعة عليهم حتى نزل الوحي بتخليصهم مما هم فيه ، وعليه رجح القول بأن للامام الحق بأن يجبر الرعية على الجهاد ، ثم ذكر بعد ذلك ما اذا جاء أحد أولئك الرعايا بعذر هل يصدقه الامام ان ادعى عذرا أو لا يصدقه حتى يأتيه ببينة ؟ ، فان لم تكن بينة كان له أن يحلفه ؟ فقال بعد ذلك (بأنه لم يجد من أقوال العلماء المتقدمين الا أن على الامام أن يصدقه وليس له أن يطالبه بالبينة أو باليمين) ، ولكن المحقق ذهب الى خلاف ذلك

---

(١) الآية ٢١ من سورة النمل

فقال : (بل الصحيح أن للامام أن يطالب بالبينة فان لم يكن له بينة حلف اليمين باللّه - تبارك وتعالى - بأنه صادق فيما ادعاه من عذر) ، واستدل لذلك بقول اللّه - تبارك وتعالى - لنبيه - ﷺ - ﴿**عفا اللّه عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين**﴾[1] .

ولربما كان المحقق الخليلي بحاجة الى الاطلاع أحيانا على أقوال العلماء المتقدمين في بعض القواعد ، لأجل تعزيز ما يذهب اليه ولكن قلة المراجع آنذاك كانت تحول بينه وبين الاطلاع على ما قاله كثير من العلماء أحياناً ، فعندما تعرض لحديث (ليس من البر الصيام في السفر) ذكر بأنه (ليس ما بين يديه ما يرجع اليه ليرى ما قاله العلماء فيه) ولكنه استطاع بلباقة فهمه أن يصل الى ما قاله شراح الحديث ، في هذه المسألة فقد ذكر وجهين :

الوجه الأول : أن المراد بالبر هنا ، البر الذي ينبغي أن يعتني به أي ليس من البر الذي ينبغي أن يعتني به فلربما كان الفطر أفضل من الصوم عندما يكون الانسان في ضرورة داعية الى الفطر أو عندما يتعب اذا ما استمر صومه وهو في سفره ، ثم استدل على هذا بقوله - تبارك وتعالى - ﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب**﴾[2] .

أي ليس هذا هو البر الكامل أو البر الذي ينبغي العناية به وهذا الذي قاله مذكور في شروح كتب الحديث وهو مروي عن الامام الشافعي في أحد القولين فقد ذكر احتمال أن يكون المراد من الحديث الشريف (ليس من البر الكامل الصيام في السفر) وهذا هو الذي نص عليه العلامة الطحوي .

وذكر وجها آخر : وهو أن الحديث وان كان عاما فهو خاص كما تأتي الأدلة العامة ويقصد بهذا الخصوص أحيانا وذلك بأن يحمل على ما اذا تعب المسافر وشق عليه الصيام، وهذا الوجه الأخير الذي ذكره هو الذي يعتضد بما رواه الامام البخاري وغيره (عن جابر بن عبداللّه - رضي اللّه عنه - قال : (كان رسول اللّه ﷺ في سفر فرأى زحاما ورجل قد ظلل عليه فقال ما هذا ؟ فقالوا صائم فقال ليس من البر الصوم في السفر) .

والحديث أخرجه بمعناه الطبراني من رواية كعب بن عاصم الأشعري ، والامام البخاري أشار الى انه يجنح الى هذا الرأي وذلك أنه بوب في هذا

---

(١) الآية ٤٣ من سورة التوبة

(٢) من الآية ١٧٧ من سورة البقرة .

الباب بما يدل على ذلك .

وهذا الذي ذهب اليه العلامة ابن دقيق العيد فيما حكاه عنه الامام الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري وذلك أنه قال «'وينبغي أن يتنبه للفرق بين دلالة السبب والسياق والقرائن على تخصيص العام ، وعلى مراد المتكلم ، وبين مجرد ورود العام على سبب التخصيص ، فان بين العامين فرقا واضحا ، ومن أجراهما مجرى واحد لم يصب ، فان مجرد ورود العام على سبب لا يقتضي التخصيص به كنزول آية السرقة في قصة سرقة رداء صفوان ، وأما السياق والقرآئن الدالة على مراد المتكلم فهي المرشدة لبيان المجملات وتعيين المحتملات كما في حديث الباب» .

ونجد أن العلامة المحقق – رحمه اللّه – كان شديد التمسك بالدليل عندما يتضح له ، وكان ربما يختلف مع أشياخه ومع أشياخ أشياخه اذا ما رأى الدليل يدل على خلاف ما ذهبوا اليه ، فمن أمثلة ذلك أن العلامة الشيخ سعيد بن أحمد الكندي –رحمه اللّه تعالى – وهو شيخ العلامة المحقق الخليلي وهوشيخ الامام الكبير أبي نبهان جاعد بن خميس – رحمه اللّه تعالى – الذي هو شيخ ابنه الشيخ ناصر ابن أبي نبهان والشيخ ناصر بن أبي نبهان شيخ المحقق الخليلي .

العلامة الكندي استظهر من قول اللّه – تبارك وتعالى – في ذي النون ﴿**فساهم فكان من المدحضين**﴾ [1] جواز أن يساهم اثنان اذا لم تكن نجاة أحدهما الا بهلاك الآخر ، ولكن المحقق الخليلي – رحمه اللّه – اشتد نكيره على القول وقال: (ان للنفس حرمة ولا يجوز لأي أحد – مهما كان الأمر – أن يفدي نفسه بغيره والناس متساوون في ذلك ، لا فرق بين الأحرار والعبيد ولا فرق بين الذكور والاناث ، فليس لحر أن يفدي نفسه بعبد وليس بذكر أن يفدي نفسه بأنثى ولا العكس ، والناس–مهما كانوا–لهم حرمة انسانية) حتى قال (ان المسلم والذمي في ذلك سواء وان الانسان مأمور بالمحافظة على نفسه منهي عن اتلافها ، فليس له أن يعرض نفسه للاهلاك بسبب فدائه لغيره فالمساهمة غير جائزة) وبين (ان هذا الاستبدال لا يصح ، فان ما ذكر في القرآن من هذا القبيل انما ذكر

---

(١) الآية ١٤١ من سورة الصافات .

للعبرة ، و لم يذكر للتشريع ، ولو كان نحو هذا للتشريع لجاز لمن رأى نفسه يذبح ولده في المنام أن يذبحه اقتداء بابراهيم -عليه السلام- ولجاز للانسان أن يعمل عمل العبد الصالح الذي صاحب موسى -عليهما السلام- ، فخرق السفينة وقتل الغلام لكن كلا من ذلك انما ذكر للعبرة و لم يذكر للتشريع) .

ومن أمثلة ذلك ما وقع بينه وبين شيخه العلامة ناصر بن أبي نبهان من خلافهم على مسألة من مسائل الفقه المهمة التي كانت تدعو اليها الحاجة في ذلك الوقت ، وهي ما اذا تعرض الراكبون في السفينة لهبوب الريح وتعاظم الأمواج حتى كادت السفينة تغرق و لم تكن السلامة لهم الا بالقاء جانب من أموالهم التي حملوها في تلك السفينة أي بالقاء جانب من حمولة السفينة وكانت الأموال لبعض الناس دون بعض وكان في ذلك سلامة الأنفس وما يبقى من تلك الأموال غير ملقى بالبحر ، فان الأثر الذي جاء عن العلماء الأقدمين في هذه المسألة أثر مجمل ، فالأقدمون قالوا : (بأن القاء جانب من الحمولة ان كانت لسلامة الأنفس والأموال والسفينة فان المغرم ما بين أصحاب السفينةوما بين الركاب وما بين أصحاب الحمولة) ، ولكنهم أجملوا و لم يبينوا ما على كل فريق من المغرم ، وقد توقف الامام الكبير أبو نبهان -رحمه اللّه تعالى- عندما سئل عن ذلك -مع غزارة علمه وثاقب فهمه -ولا ريب أن توقفه هذا دليل ورعه فان ذلك شأن العلماء المتورعين لا يقولون الا بما تبين واتضح لهم من الدليل .

وبعض العلماء في ذلك الوقت تمكنوا من الذهاب الى رأي دقيق في هذه المسألة وذلك انهم قالوا :

(تُقوَّم الأموال بقيمتها وتُقوَّم الأنفس بدياتها وتكون المحاصصة ما بين أصحاب الأموال وما بين الأنفس بحسب قيمة الأموال وبحسب ديات الأنفس) ، وأول من ذهب الى ذلك -فيما يبدو- العلامة العبادي الشيخ عامر بن علي ووافقه على هذا الرأي السيد العلامة الجليل المهنا ابن خلفان -رحمه اللّه تعالى- .

والشيخ ناصر بن أبي نبهان اعترض على العلامة العبادي في هذه المسألة باعتراضات وذلك بأنه قال بأن هذا القياس فاسد بوجوه .

أول هذه الوجوه : ان الأحرار لا يملكون ولا يقومون بالمال .

ثانيهما : أنه لو أعتدى معتد على حر لما كان جزاؤه القصاص .

الوجه الثالث : ان الدية غير متقدرة فيما اذا تلف الانسان وذلك انه لا يدري هل يتلف كله أو يتلف بعضه .

فلو تلف كله ففيه دية ولربما كانت الدية فيما اذا تلف أكثر فلو تلف لسانه كانت فيه دية تامة ولو خرس ففيه دية ، ولو تلف ذكره ففيه الدية لأنه عضو وحيد من نوعه ففيه الدية ، وكالأنف وكذلك العضوان من جنس ، كالعينين فيهما الدية وفي فقدان منفعتهما الدية وفي الأذن الدية وفي فقد منفعتهما الدية وكذلك اليدان وكذلك الأصابع الى آخر ذلك من الديات المتعددة في الانسان .

الوجه الرابع: ان الدية تختلف ما بين انسان وآخر فالمسلم والذمي ليست ديتهما واحدة والذكر والأنثى دياتهما مختلفة فمن أجل ذلك رأى أن ما قاله الشيخ العبادي كان خطأ.

سئل المحقق الخليلي -رحمه اللّه تعالى-عن ذلك وأجاب عن الاعتراض الأول (بأن الأحرار بطبيعة الحال كما قال الشيخ لا يملكون ولا تجوز فيهم الهبة ولا البيع ولا الشراء ولا المعاوضة بحال من الأحوال ولكن لو تلف أحدهم فقد جعل اللّه-تبارك وتعالى فيه عوضا ماليا وهذا العوض المالي هو قيمة ولو لم يعبر عنه بالقيمة فليس العبرة بالعبارات وانما العبرة بالمعاني؛ فالايجار يسمى تارة ايجارا وطورا شراء ويسمى أحيانا صداقا وهكذا ولكن المعنى متحد ، فالدية التي تدفع انما هي عوض مالي عن نفس هذا الانسان وقد جاء تحديد هذه الدية على لسان الشارع -عليه أفضل الصلاة والسلام- فاذاً تعتبر هي القياس في قيمة الانسان ، وما دامت هي القياس في قيمة نفس الانسان فان على هذا الانسان أن يدفع لأجل المحافظة على سلامة تلك الحمولة التي ألقيت في البحر بقدر المحاصصة بين دية الانسان وقيمة الحمولة المتبقية في السفينة والتي لم تلق) .

ثم أجاب عن الاعتراض الثاني ، (بأنه ليس هناك قتل وانما هناك محافظة على سلامة ، على أن قتل العمد لا يتعين فيه القصاص بل يجوز التنازل عنه الى الدية أيضا وليس في ذلك قتل) .

وأجاب على الشيخ باختلاف الديات بين المسلم والذمي والذكر والأنثى ، هذا (بأن المحافظة هنا على سلامة النفس ، وما دامت المحافظة على سلامة النفس ، فالدية التي تقدر بها قيمة النفس انما هي دية النفس لا دية الأعضاء المتفرقة) .

وأجاب على اعتراضه بأن ذلك يختلف فيما اذا كان بعض الركاب ذكورا وبعضهم اناثا وبعضهم مسلمين وبعضهم ذميين بقدر تفاوت ديانتهم .

وقال : (انه لا يجوز أن يكون التقدير بحسب المساحة في السفينة أو بحسب المكاييل أو بحسب الموازين والا فمن حمل صاعا من القطن كان عليه أن يؤدي ما يؤديه الذي يحمل معه صاعا من التبر) .

ولربما كان الخلاف أحياناً بين التلميذ وشيخه في المسائل التي تتعلق بعلم الكلام فان الشيخ ناصر بن أبي نبهان قد يرى أحياناً رأيا يختلف فيه مع المشارقة من الاباضية وقد كان له موقف في تعلق علم اللّه-تبارك وتعالى-بالمستحيل والممكن الذي لا يقع ، والشيخ ناصر بن أبي نبهان حرص كل الحرص على أن يقول : (بأن ما علم اللّه عدم كونه فلا يقدر انه واقع ، وما دام لا يقدر انه واقع فلا فائدة في قول «لو كان كذا لكان كذا» .

وكان يمنع هذا القول ، وهو في هذا يتفق مع جمهور علماء الأباضية بالمغرب فاننا نجد في كتاب (معالم الدين) للامام العلامة عبد العزيز التميمي وفي (حاشية الوضع) وفي (الذهب الخالص) وفي (فتاوى القطب) ما يدل على ذلك بينما نجد أيضاً جانبا من علماء أهل المغرب يتفقون في هذه القضية مع علماء أهل المشرق ، ومن بين هؤلاء صاحب القناطر وصاحب الوضع وشيخنا العلامة ، وكان مما احتج به الشيخ ابن أبي نبهان أنه قال : (بأنه لو قيل «لو كان كذا لكان كذا» فانه يلزم أن يكون ذلك متخيلا واللّه-تبارك وتعالى-منزه عن الخيال) .

وقد تعجب المحقق الخليلي عندما سئل عن كلام الشيخ ابن أبي نبهان من هذا الكلام وقال :(يا ليت الشيخ استهدى في هذه المسألة بالنصوص القرآنية فانها واضحة في هذا الأمر واللّه-تبارك وتعالى-يقول : **﴿ولو علم اللّه فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا﴾**[1] ، **ويقول اللّه-تبارك وتعالى- ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾** [2] ، ويقول اللّه-تبارك وتعالى- **﴿ولو انهم أقاموا التوراة والأنجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾** [3] ، ويقول-سبحانه- **﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾**[4]،ويقول -سبحانه- **﴿لو أردنا**

(١) من الآية ٢٣ سورة الأنفال

(٢) من الآية ٩٦ سورة الأعراف

(٣) من الآية ٦٦ سورة المائدة

(٤) من الآية ٢٨ سورة الأنعام

أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا﴾ [٥] ، ويقول-سبحانه- **﴿لو كان فيهما آلهة الا اللّه لفسدتا﴾** [٦] ، وبعض ما ذكر ممكن غير كائن وبعضه مستحيل لا يمكن أن يكون .

ثم قال : (ان كلام الشيخ عجيب جدا وذلك انه يترتب عليه بأن يكون اللّه-تبارك وتعالى-لا يعلم الكائنات الا بعد حدوثها لأجل تنزيهه-سبحانه وتعالى-عن الخيال ، مع اننا نقطع بأن اللّه-تبارك وتعالى-عالم بكل كائن وهو في الأزل كما اننا نقطع بأنه عالم بما كان وما لم يكن ان لو كان كيف يكون سواء ذلك الذي لا يكون كان مستحيلا أو كان ممكنا ولكن اللّه-تبارك وتعالى- لم يقدر كونه) .

ثم قال (ونحن نجد أحدنا يعلم الشيء من غير أن يتخيله فنحن نعرف الوجود ولكننا مع ذلك لا نتخيل ذاته-سبحانه تعالى-بل لا نتخيل صفاته ويستحيل علينا تخيلها أو يستحيل علينا أن نتخيل أفعاله-عز وجل-ويستحيل علينا أن نتخيل الروح التي هي بين جوانحنا ، وأن نتخيل حقيقة العقل ، بل هذه الأعراض التي في النفوس كلها لا يمكن أن تتخيلها واذا كان ذلك بالمخلوق فكيف الأمر بالخالق العظيم سبحانه وتعالى- ؟!!) .

وله تحقيقات أخرى في علم الكلام وذلك بأنه شاع في أوساط كثير من العلماء- فيما تقدم-تفسير الذات العلية بالثبات ، فيقولون : ذات اللّه ثباته بل وقع خطأ-كما يقول المحقق الخليلي نفسه-في بعض المؤلفات فجاء فيها ذات اللّه اثباته ، وتناقل ذلك الناس خلفا عن سلف ، وهذا خطأ فاحش فتفسير الذات بالاثبات أمر مستحيل لأن الاثبات من صنع الانسان ، فالانسان أثبت شيئا فاثباته هو فعله ولا يمكن أن تفسر الذات بالاثبات ، ولاحظ المحقق الخليلي على تفسير الذات بالثبات أيضا ملاحظة ، وهي أن هذا من باب تفسير الذات بالصفات ، وانه يترتب على ذلك أن يقال ذات اللّه قدرته وذاته سمعه وذاته بصره ، وقال وان كنا نذهب الى أن صفات الذات عين الذات فهذه الصفات هي معان اعتبارية أريد بها نفي أضدادها بالكلية فلكل صفة منها مفهوم غير مفهوم الصفة الأخرى ومفهوم الذات غير مفهوم الصفات ومن أجل ذلك اختار بأن يقال : ذات اللّه-تعالى-هي حقيقته الخاصة التي لا يعلمها أحد من مخلوقاته) .

هذه أمثلة من تحقيقات العلامة الخليلي وأظن أن الوقت الذي قدر لي فات وانني

---

(٥) الآية ١٧ سورة الانبياء

(٦) الآية ٢٢ سورة الأنبياء

استطردت كثيرا وانما أدعو من أراد الاطلاع على هذه الفوائد وعلى هذه البحوث وعلى هذه النفائس أن يرجع الى مؤلفاته التي تتعلق بهذه الموضوعات وهي -بحمد اللّه- متيسرة للاطلاع عليها وان كنت أدعو مرة أخرى وأؤكد بأن الضرورة داعية الى تحقيق هذه المؤلفات وطبعها طبعة علمية محققة بعيدة عن الأخطاء مصححة من كل الأخطاء ولا بد من المقارنة ما بين النسخ المتعددة .

وأسأل اللّه -سبحانه وتعالى- أن يبارك في هذا الاجتماع ويوفقنا لأن ننهج نهج السلف الصالحين وأسأل اللّه -تبارك وتعالى- أن يحفظ هذا البلد في ظل قائده المفدى، قائد مسيرته المظفرة ، وأن يأخذ بأيدي جميع المسلمين الى ما فيه الخير والسعادة والاستقرار ، وشكرا لكم ، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته .

مقاليد التصريف

دراسة مقارنة

الدكتور

إبراهيم الدسوقي عبدالعزيز السيد

جامعة السلطان قابوس

كلية الآداب - قسم اللغة العربية

نقـاط المحاضـرة :

* تمهيد : مظاهر تكريم اللّه للغة العربية .
* الشيخ ومكانته العلمية .
* مقاليد التصريف بين كتب الصرف .
* الخصائص المنهجية لكتاب مقاليد التصريف .
* الخاتمة .

تمهيد :

الحمد للّه رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . ﴿**سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم**﴾ [(١)] صدق اللّه العظيم . ولا نحيط بشيء من علمك إلا بما شئته ، فعلمنا ما جهلنا ، وذكرنا ما نسينا إنك سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين .

وبعد :

فلم تحظ لغة من لغات العالم بما حظيت به اللغة العربية من تكريم وتشريف ، وما أحاطها اللّه به من عناية ورعاية . وقد تجلت هذه العناية وهذا التشريف في الأمور التالية :

أولا : كانت هذه اللغة معرضة للانقسام والتفكك في عصورها الأولى–قبل ظهور الاسلام حيث انتشرت في هذه المنطقة الصحرواية الشاسعة المترامية الأطراف ، وتفرق المتكلمون بها في أنحاء الجزيرة .. فكان ذلك مدعاة لانقسامها الى عدد من اللهجات وطبقا لقوانين التطور اللغوي–تقوى هذه اللهجات ، وتصبح كل لهجة قائمة بذاتها وتصبح بمرور الأيام لغة .. ومن ثم تتحول اللغة الواحدة إلى مجموعة من اللغات المستقلة كل عن الأخرى فتتفق أو تختلف مع اللغة الأصلية من جهة ، ومن بعضها البعض من جهة أخرى .

إلا أن اللّه–سبحانه وتعالى– لم يشأ لها ذلك ، ومن ثم يقيض لها من عوامل التوحد مرة أخرى–كمواسم الحج التي يتجمع فيها العرب لزيارة البيت ، والأسواق الأدبية التي كانت ملتقى يعقد على مدار العام ، كل شهر في مكان معين ، وينتقل اليها الأدباء والشعراء ليتباروا فيما بينهم في اظهار أفضل ما لديهم من استخدامات لغوية ، يتلقفها

---

(١) الآية ٣٢ سورة البقرة .

النقاد بالاستحسان أو الاستهجان ، ويتداولها الناس فيما بينهم ، يرددونها ، ويتغنون بها .. أدت هذه العوامل إلى ضرورة ظهور شكل لغوي مشترك يستخدمه الناس حينما يكون الحديث في لقاء عام يصعب فيه التفاهم باللهجات المحلية ، ويكون هذا الشكل لغة مشتركة للأدب شعرا ونثرا .. وتتوافر شروط هذا الشكل في لهجة قريش ذات السلطان الديني ، والتفوق الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في ذلك الوقت .

ويرتضى الذوق العام هذه اللهجة لتصبح لغة مشتركة ، يضيف اليها كل قوم ما يرونه ناقصا ، ويتخلصون مما يرونه عيبا .. ويستشعر كل قوم أن هذا الشكل المشترك من صنعهم هم ، ومن ممتلكاتهم التي يعتزون بها .

ويأخذ هذا الشكل مرحلة التهيؤ لاستقبال رسالة السماء التي أنزلها اللّه—سبحانه وتعالى—على سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم وعلى آله ، ويستوعب هذا الشكل تلك الرسالة دقة : أي يعبر عن المقصود كما ينبغي أن يكون التعبير ، **وشمولا** : أي : يستوعب كل الموضوعات الدينية منها والدنيوية ، بنفس الكفاءة .

ثانيا :تنزل بها رسالة السماء—وهي القرآن الكريم—معجزة تتحداهم في جنس ما برعوا فيه ، تتحداهم أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور ، أو بسورة واحدة ، أو بعشر آيات، أو حتى بآية . فإذا هم عاجزون .. ويثير هذا العجز فيهم رغبة في دراسة هذا النص للوقوف على سر إعجازه من جهة ، ولاستنباط ما فيه من أحكام باعتباره دستور حياة من جهة أخرى .

فسعى المؤمنون به الى تفهم نصه ، لاستنباط هذه الأحكام ، والوقوف على الأوامر والنواهي ، فينشأ عن ذلك كل علوم العرب ، وتنبني عليه حضارتهم التي أشرقت يوم كان العالم يعيش في ظلام ....

ثالثا : **أن اللّه—سبحانه وتعالى—.** قد قيض لهذا النص أناسا آمنوا به حق الإيمان ونذروا حياتهم لخدمته ، والقيام عليه ومدارسته ، وقد انقسم العلماء الى فريقين فريق يجعل اهتمامه الأكبر الفقه والعبادات وما يتصل بهما من علوم دينية . وهؤلاء هم علماء الدين .

وفريق يجعل اهتمامه الأكبر لغة القرآن—أصواتاً ، وصرفا ، وتركيبا ، وبلاغة . ومفردات وهم علماء اللغة والنحاة .

والعلاقة بين الفريقين كانت جد وثيقة ، فقد كان يشترط في عالم الدين أن يكون متقنا للغة حتى يتسنى له فهم النص على وجهه الصحيح ، وفي المقابل يقوم عالم اللغة بدراساته خدمة لعالم الدين ..

وكل يعمل ابتغاء مرضاة اللّه ، وخدمة لدينه . ترى ماذا تكون نتيجة جهد يرى فيه صاحبه أنه طاعة للّه ، ولا يبتغي به سوى رضاه .. فيعمل كأنه يصلي ، ويبذل الجهد كأنه في محراب .. ؟!!

كانت النتيجة دراسات للعربية ، ساهمت في المحافظة عليها ، ودفعتها للأمام لدرجة يمكن أن نقول معها انها لا زالت تسري بيننا بتأثير هذه الدفعة .

وهنا أشير الى تكاتف هذه العوامل [توحدها—ونزول القرآن بها—وتوافر أهل الاخلاص الذين قاموا عليها —] هو من أظهر مظاهر العناية الالهية بهذه اللغة—لغة القرآن الذي قال اللّه—سبحانه وتعالى—في شأنه ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[1] صدق اللّه العظيم .

فأهل الإخلاص وحدهم لا يكفون للحفاظ على لغة—فلم تحظ لغة بما حظيت به اللاتينية واليونانية من دراسات أهل الاخلاص على مستوى الأصوات ، والصرف ، والتركيب .. ولكن أين اللاتينية الآن ..؟

والنص المقدس وحده لا يكفي للحفاظ على لغة ، فقد نزلت بالعبرية التوراة—وهي نص مقدس ، فهل ضمنت التوراة وحدها للعبرية البقاء .. لا .. وذلك لعدم توافر أهل الإخلاص ، فقد حرفوا الكلم عن مواضعه .. وشيئا فشيئا أخذت العبرية في الانقراض—رغم ما يبذل الآن من محاولات لإحيائها تحت ما يسمى بالعبرية الحديثة—وما إلى ذلك .

مما سبق يتضح أن العربية محاطة بعناية إلهية تمثلت في تكاتف هذه العوامل المختلفة وقوى من هذا الأمر أن أرض العرب خصبة ، لا تضن بالعلماء الذين يتلقفون الراية خلفا عن سلف ، ويحاول كل جيل—من أهل الإخلاص—أن يضع بصمته ، ويضيف جهده .. وتمضي المسيرة .

---

(١) الآية ٩ سورة الحجر .

الشيخ ومكانته العلمية :

والشيخ سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح الخليلي الخروصي ، العلامة ، الشاعر الذي لقبه العلماء بالمحقق ، وواحد من هؤلاء العلماء الذين تلقفوا راية العلم وحافظوا عليها ، وأضافوا الى جهد سلفهم جهدا في خدمة اللغة والدين .

وقد ولد–رحمه اللّه–في بوشر سنة ألف ومائتين وست وثلاثين هجرية (١٢٣٦) وتوفي سنة ألف ومائتين وسبع وثمانين هجرية (١٢٨٧) عن عمر يناهز الخمسين عاما.وكانت حياته حافلة بالبحث والتنقيب في جناحي العلم العربي ، وهما العلم الديني والعلم اللغوي–على وعي بالارتباط الوثيق بينهما . فوضع مؤلفاته في علوم الدين ونذكر منها :

–تمهيد قواعد الإيمان ، وتقييد مسائل الأحكام .

–النواميس الرحمانية في تسهيل الطرق الى العلوم الربانية .

–السيف المذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

–أرجوزة في الزكاة .

–فضلاً عن فتاواه التي جمعها محمد بن خميس السيفي في أربعة مجلدات .

أما في اللغة فقد وضع منظومتين :

إحداهما في الصرف–وهي **مقاليد التصريف**–وسيكون الحديث عنها في اللاحق من الصفحات .

والثانية في العروض وهي **«المظهر الخافي المضمن الكافي في علم العروض والقوافي»** .

فهو إذاً واحد من أهل الإخلاص الذين تلقفوا الراية–راية العلم–ونظر فيها ، وأضاف اليها من نتاج أفكاره وخبرته .. تاركاً للخلف أن يكملوا المسيرة . فاستطاع

أن يكون حلقة وصل بين علمائنا الأوائل الذين سبق عصرهم عصرنا ، ومن ثم كانت تختلف طريقتهم عن طريقتنا .. فجمع الشيخ محصلة أفكارهم ، ومتناثر نتاجهم في فروع مختلفة من العلوم .. وكان من بينها علم الصرف الذي تناوله في منظومته «مقاليد التصريف» .

مقاليد التصريف بين كتب الصرف :

والصرف علم يدرس مستوى من مستويات اللغة ، فهو يعالج الكلمة المفردة أي «أصغر وحدة لها معنى» كما في كتب –كاتب–مكتوب .. إلخ «أو لها وظيفة » كما في «ال» التعريفية وتاء التأنيث ، وألف الاثنين ، وواو الجماعة .. إلخ .

وهدف الشيخ من كتاب «مقاليد التصريف» أن يقدم صورة كاملة لطالب هذا العلم تتضمن كل مسائله ، ويعرض كل قضاياه بأسلوب بسيط سهل ، يتناسب وقدرة المتعلم الاستيعابية لمثل هذه القضايا الدقيقة التي يتناولها هذا الفرع الدقيق–وهو فرع الصرف ، ومن ثم فقد واجهت الشيخ صعوبتان :

الأولى : أن يجمع مسائل هذا العلم المتناثرة في ثنايا كتب الأقدمين .

الثانية : أن يعيد تقديمها بأسلوب سهل يقربها إلى الأذهان .

فالجمع والتبسيط هدفان–وضعهما الشيخ نصب عينيه ، وأقام عليهما كتابه– «مقاليد التصريف» الذي يعتبر بحق كتابا جامعا ميسرا لعلم دقيق–هو علم الصرف– يجب أن يحرص كل دارس للعربية على أن يكون على أرفف مكتبته –نظر لما تميز به من مميزات أفردت له مكانا بين كتب الصرف العربية –وجعلته حلقة وصل كانت مطلوبة–في وقتها–لأقصى حد.

وقد انفرد هذا المؤلف بخصائص عامة ، وخصائص خاصة نذكرها فيما يلي :

مما تميز به مقاليد التصريف :

١– أنه يقوم على طريقتين في عرض المعلومة الصرفية ، طريقة النظم ، وطريقة النثر . نراه يضع المعلومة الصرفية في شكل منظوم ، ثم يتبعه بشرحها شرحاً ميسرا بشكل منثور ، فيقول مثلا في تعريف الفعل :

والفعل حد بما الاسم يحد … به ولكن بزمان انفرد

ثم يعيد شرح هذه المعلومة نثرا فيقول :

وقد ذكر هنا حد الفعل ، فذكر أنه كحد الاسم بأنه لفظ دال على معنى في نفسه لكن مقترن بالزمان ، فهو يخالف الاسم والحرف ، ويخالف الحرف بدلالته على معنى في نفسه كالاسم ، لأن لفظة (انفرد) دالة على ذات «زيد» دلالة مجردة من الزمان ، ولفظة «ضرب يضرب» دالة على ماهية الضرب لكن مقترنة بأحد الأزمنة الثلاثة التي هي ماض أو حال أو استقبال[1] .

وتحقق هذه الطريقة في العرض هدفين :

الأول : إشباع رغبات المتعلمين ، حيث يسهل على بعضهم استيعاب المعلومة نظما، بينما يسهل على البعض الآخر استيعابها نثرا .

الثاني : اكتمال جوانب المعلومة ، حيث يتمكن من اظهار ما خفي في النظم في معرض النثر وتكون النتيجة معلومة كاملة .

هذا في مقابل المؤلفات الصرفية القديمة التي كانت إما نثرا خالصا ، كالمعضل للزمخشري ، والكافية والشافية لابن الحاجب . أو نظما خالصا كالألفية ولامية الأفعال لابن مالك .

٢- ان النظم والنثر-في مقاليد التصريف-من وضع ذات العالم حيث يكون الناظم هو الأقدر على فهم نظمه بلغته الصريحة أو الاشارية ، أو ما تضمنه النظم من معان خفية تحتاج الى اعمال فكر للغوص والتنقيب والبحث عنها ، وقد يتفق الشراح أو يختلفون في تحديد هذا المعنى الخفي الذي قصده الناظم .. وتظهر التأويلات ، وتتشعب الآراء .

وهذا ما كفانا الشيخ مؤونته . فتصدى بنفسه لشرح نظمه-وان كان ذلك عبئا فوق عبء تحمله «فأثبت شرحا لطيفا مختصرا» [2] كما يقول استجابة لطلب من العالم الجليل أبي محمد ناصر بن أبي نبهان جاعد بن خميس الخليلي الخروصي واستعان بالله على تقديم هذا الشرح المختصر معتبرا اياه **«قولا ثقيلا»** وهو على حق فوضع النظم وشرحه ،

(١) مقاليد التصريف : ١/٨-٩

(٢) السابق

فجاءت صورة كاملة يكمل كل منهما الآخر يقول :

ولم أجد فيما رأيت مبدعا ... فيه نظما مفيدا مقنعا
فلم أزل من الإله أطلب ... أن يتسنى لي هذا المطلب
فكان ما أردته ميسرا ... فهاكه منظما كما ترى[3]

٣-انه خصص نظمه ونثره لعلاج موضوع بعينه-وهو موضوع التصريف [4] علاجا مستقلا يجمع قضاياه ، ومسائله بصورة شاملة ، فحق استقلال الصرف حيث كانت موضوعاته تعالج تابعة للنحو-كما في ألفية ابن مالك ، أو منظومات تعالج بعض مسائل الصرف دون البعض الآخر كما في لامية الأفعال لابن مالك أيضا-حيث اقتصر على الأفعال وأوزانها ، والمضارع منها والمصادر ، وما يشتق عنها من صيغ .. الخ دون موضوعات أخرى كالنسب والتصغير والامالة ، والوقف ، والاعلال والابدال .. إلخ .

بالاضافة الى انه جمع الى جانب المسائل الصرفية الكاملة-الوحدات الصرفية ذات الطبيعة الخاصة-التي أفرد لها ابن هشام جزأه الأول-من مغني اللبيب ، واتبع طريقته ، ورتبها ترتيبا معجميا ، وتعرض عند الحديث عن كل لفظة لما يتصل بها من معلومات الهمزة ، واذا وأجل ، وأم ، وأو ، وأي ، وإذن الخ .. مما استغرق مائتي بيت من المنظومة ضمنها الجزء الثالث [5]

هذه بعض الملامح العامة التي تميز بها «مقاليد التصريف» عن غيره من المؤلفات النحوية الصرفية السابقة عليه والمعاصرة له .

الخصائص المنهجة لمقاليد التصريف :

بالاضافة الى ماسبق من خصائص عامة تميز بها «مقاليد التصريف» هناك خصائص خاصة ظهرت بوضوح . هذه الخصائص تتصل بالمنهج ، وطريقة العرض والموضوعات ... إلخ . والتركيز عليها يعني تفرده بها . من هذه الخصائص :

١-ان مسائل هذا العلم في ذهن صاحبها واضحة الترتيب-من حيث الترتيب العام حيث يبدأ بأقسام الكلمة-والعلامات التي يمكن بها أن تميز قسما عن آخر ، ثم يبدأ في تناول هذه الأقسام قسما قسما ، ويعرض لما يتعلق به من قضايا ، فيبدأ بالفعل ،

---

(٣) مقاليد التصريف

(٤) العلم الذي يرى أنه بدونه لا يستقم النطق يقول :

وبعد فاعلم أنه لم يستقم ... نطق بلا علم تصاريف الكلم

(٥) من ص ١٥ حتى ص ١٤٦

ويعرض للمجرد والمزيد ، والماضي والمضارع والأمر ، والمشتقات : اسم الفاعل واسم المفعول ، وصيغ المبالغة ، وأفعل التفضيل والتعجب ، والمصدر ، والمصدر الميمي ثم ينتقل الى الأسماء ، فيعرض للنكرة والمعرفة ، والمقصور والمنقوص والممدود ، والمثنى وجمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم (٦) ، وجمع التكسير .

ثم يتناول بعد موضوعات أخرى كالتصغير والنسب ، والابتداء والوقف والإمالة ، والإبدال(ليشمل ما تعورف بأنه الإعلال والإبدال (٧) والحذف والإدغام وأخيرا مخارج الحروف .

ويختم موضوعه بعرض لموضوع الاشتقاق الكبير في اللغة ، وارتباط الألفاظ بالمعاني ويتناول عددا من المفردات ذات الطبيعة الخاصة-نحويا وصرفيا-ويعرض لها مرتبة ترتيباً أبجدياً .

هذا من ناحية ترتيب الموضوعات ، أما من ناحية ترتيب جزئيات هذه الموضوعات فكانت أيضا واضحة الترتيب ، ولكل جزئية مكانها المرسوم لها . وكان اذا ما اعترضته مسألة ، ورأى أن هذا المكان ليس مكانها-يستدرك على الفور بأن الحديث عن هذه المسألة سيأتي فيما بعد-وإن كان لا يشير الى موضع الحديث عنها-مما يضطر القارىء المتلهف الى متابعته أملا في الوصول الى المسألة المذكورة (٨) .

٢- ان عبارته في الشرح تميل إلى الاختصار والايجاز ، معتمدا تلك المقولة «خير الكلام ما قل ودل» فنراه كثير الالحاح على هذه النقطة ، فيذكرها في أكثر من موضع ، وبأكثر من عبارة . من ذلك مثلا :

في معرض حديثه عن الفرق بين فاعل وتفاعل : «والكلام في طلب التفريق بين فاعل وتفاعل مما أكثر فيه النحاة ، وليس هنا موضع بسطه لأننا قصدنا الاختصار» (٩) ومن ذلك عبارات كثيرة في ثنايا كتابه منها :

(٦) أو ما يطلق عليه في التسميات الحديثة : المجموع بالألف والتاء ، لأنه يضم أسماء مذكرة كما في واجب : واجبات، وقد ينتفي شرط السلامة : أي لا يظل الأسم المفرد على نفس حركاته كما في زهرة : زهرات .

(٧) حيث يطلق الاعلال على ما يحدث لحروف العلة من حذف أو قلب ، ويطلق الابدال على ما يحدث للحروف الصحيحة كما في تاء الافتعال في ضرب التي تصبح اضطرب .

(٨) وهنا تكمن فائدة تحقيق الكتاب التي تلبي مثل تلك الاحتياجات .

(٩) مقاليد التصريف : ٥٨/١

«وفي الكلي والجزئي هنا مباحث يطول ذكرها وغرضنا الاختصار» [١٠] «ولنقصر عن الاطالة فوق ما مضى والسلام عليك» [١١] «ونضرب عنه صفحا طلبا للإيجاز» [١٢] «وليس هنا موضع للبسط» [١٣] «وموضع ذكره كتب النحو . فمن يشأ ذلك فليطلبه ، فان غرضنا هنا الاختصار» [١٤] «وليس هنا موضع اطالة .. فليطلب في المطولات» [١٥] « فإن شئته فاطلبه من المطولات ، فإنّ كتابنا هذا مبني على الاختصار » [١٦] « وللنحاة فيه أقوال ، وقد استغنيت عن تفصيله بالإجمال » [١٧]

الى آخر هذه الأقوال التي تتردد على مدى ثلاثة أجزاء الكتاب لتشعر القارىء بمنهجه في العرض ، فهو كتاب مختصر ، وليس مطولة–يعنى بتقديم المعلومة بأخصر الطرق .

٣– ان الاختصار لم يكن مخلا–رغم تأكيده المستمر عليه–نراه يذكر الموضوع فيتناول كل مسائله والمسألة الواحدة يعرض لكل جزئياتها ، وعلى سبيل المثال يمكننا الاستشهاد بباب التصغير :

حيث بدأ الثلاثي والرباعي والخماسي

وتصغير المنتهى بعلامة تأنيث التاء في شجرة : شجيرة والألف في سكرى : سكيرى وما يحذف عند التصغير تاء التأنيث ، ألف التأنيث الممدودة ، وياء النسب وتصغير المركب تركيبا مزجيا (حضرموت) أو اضافيا (عبدالله) حيث يصغر الصدر فقط ، وما لا

يصغر (المركب الاسنادي) : «لأنه جملة والجمل لا تغير » [١٨] وتصغير المثنى : عمران : عميران–وتصغير الجمع –والتصغير بالترخيم وتصغير الثنائي أوالثلاثي المحذوف منه حرف كما في من : منيّ–ويد : يديّ

فلم يغفل رغم منهج الاختصار جزيئات المسألة الواحدة . ويعرض لها عرضا شافيا .

(١٠) السابق : ١/١٤٥
(١١) السابق : ١/١٤٩
(١٢) السابق : ١/١٥٢
(١٣) السابق : ١/١٦٢
(١٤) السابق : ١/١٦٨
(١٥) السابق : ١/١٧١
(١٦) السابق : ١/٢٥٤
(١٧) السابق : ١/٢٧٥
(١٨) السابق : ١/٢٥٨

٤- ان الاختصار لم يكن على حساب آراء اللغويين والنحاة [١٩] في المسألة الواحدة-إن كانت من المسائل التي تختلف فيها الآراء -ولم يكن العرض للآراء على علاته بل يكون غالبا مشفوعا برأيه الذي يميل اليه :

من ذلك مثلا قوله في معرض حديثه عن أفعل التعجب «اختلف الكوفيون والبصريون في أفعل التعجب ، فقال البصريون انه فعل-وهو الصحيح-فتلزمه نون الوقاية : نحو من ذلك مثلا قوله في معرض حديثه عن أفعل التعجب «اختلف الكوفيون والبصريون في أفعل التعجب ، فقال البصريون انه فعل-وهو الصحيح-فتلزمه نون الوقاية : نحو : ما أضربني لزيد .

وذهب الكوفيون إلى أنه اسم فيقال : ما أفعلى» [٢٠]

فنراه في هذا النص يعرض للخلاف بين الكوفيين والبصريين في اسمية أفعل التفضيل أو فعليتها ، ويرجح رأي البصريين قائلا : وهو الأصح .

ونرى الشيخ في ترجيحه يكون على ثلاثة مستويات :

أ- النص على الصحة بمادة : ص.ح.ح فيقول : وكان هو الأصح عندي ، والأصح كذا ، والأول هو الأكثر والأصح .. أو«وهو الصحيح عندنا ، ولكن الرأي الصحيح، .. وهو الصحيح .. إلخ » .

فنراه يستخدم (أفعل) التفضيل : الأصح ، الصفة المشبهة : الصحيح.

ب- النص على الضعف ، أو القبح أو الندرة . فيقول : هو ضعيف ، أو قليل لا يقاس عليه ، أو نادر ضعيف .

جـ - النص على الصحة باحتراز كأن يقول : واذ صح فهو عندنا نادر ضعيف أو يقول : «وهو الأفضل مع ترجيح كذا ..» .

وكان هذا الحكم بالصحة ، أو بالضعف ، أو بالاحتراز صادرا عن قدر كبير من الاعتداد بالنفس ينم عن شخصية الشيخ فيقول : «عندي» أو «عندنا»-وان كان هذا الاعتداد غير زائد عن الحد ، لأنه «جل من لا يسهو» فقد كان يتبع كل حكم وكل رأي بعبارة والله أعلم-نعم : (**وفوق كل ذي علم عليم**) .

---

(١٩) المقصود باللغويين : واضعو المعاجم اللغوية ، والنحاة : واضعو كتب النحو والصرف .

(٢٠) مقاليد التصريف : ١٤١/١

٥-ان ترتيب جزئيات المسألة كان ترتيبا منطقيا محكما لا يتأتى إلا لمعلم تمرس التعليم ، وزادته فيه خبرته ، وأصبح قادرا على تقديم المعلومة تقديما منظماً يسهل استيعابها ، وتمثلها . ويمكن التمثيل على ذلك بحديثه عن الهمزة بعد الساكن فيقول :

واعـمـو محركـا فـيـمـا قـفـا ان كـان سكـن يـا عـن الأصـل انـتـفـى

فيقول :

«إن كان الهمز محركا وقبله ساكن ، فالساكن إما صحيح ، وإما لا .

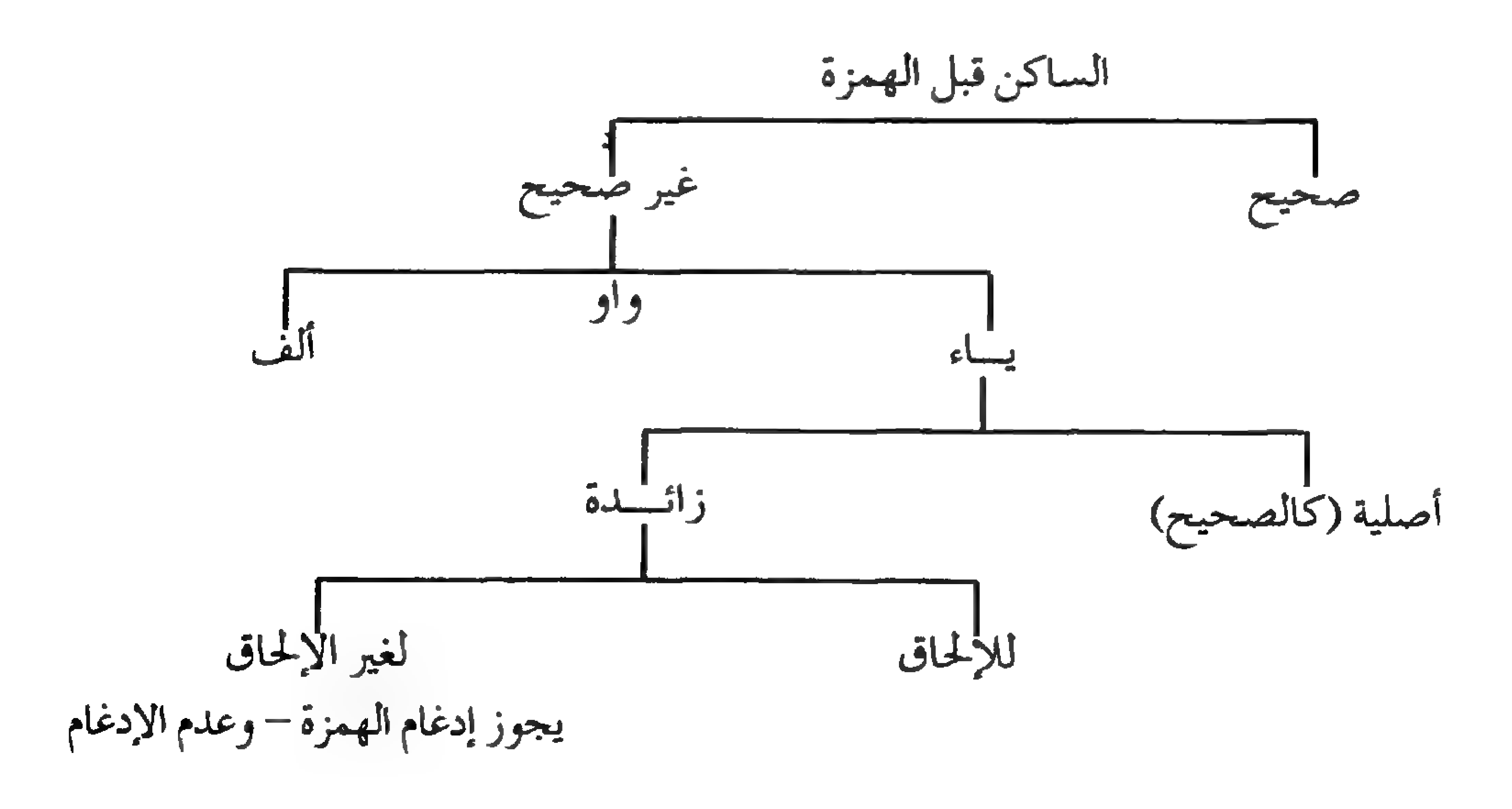
فإن كان غير صحيح فهو ياء أو واو ، أو ألف .

فإن كان ياء فهو إما أصلي وإما زائد .

فإن كان أصلياً فهو مثل الصحيح-وسيأتي ان شاء اللّه .

وإن كان زائدا فهو للالحاق ، وإما لغيره، فإن كان لغير الالحاق فيجوز ذلك أن تدغم الهمزة في هذه الياء ، فتقلب الهمزة لأجل الادغام مثل خطية ، ونبي . أصلها خطيئة ، ونبيء . لأنهما من الخطأ والنبأ ، وهذا الادغام هنا أكثر من ابقاء الهمزة» [٢١]

هذا العرض لهذه المعلومة الدقيقة يمكن ترجمته بشكل تخطيطي تعليمي على النحو التالي :



(٢١) مقاليد التصريف : ٨١/٢

ثم يأخذ في عرض هذه الجزئيات–فيعالج الياء لغير الإلحاق–ثم الياء للإلحاق (الزائدة بعد أن ذكر أن الياء الأصلية كالصحيح .

ثـم يـعـالـج الـواو–والألـف بـهـذه الـطـريـقـة التربوية الشـيـقـة الـتـي تـقـرب هـذه المعلومة الدقيقة .

وقس على ذلك كثيرا من الأمثلة المتتابعة في ثنايا الكتاب .

٦– ان عرضه لم يركز فقط على الجانب النظري ، بل كان مهتما بنفس القدر بالتمثيل لما يقول–وهذه نقطة مهمة في مجال تعليم الصرف–فقد أولى كل جزئية في كل مسألة ما تتطلبه من الأمثلة التي تجعل تذكرها أمرا ميسرا . وكانت حساسيته تجاه التوازن بين هذين الجناحين–النظرية–والمثال–شديدة ، فإذا ما استشعر لحظة انه استرسل في الحديث النظري . يرجع على الفور قائلا : «وقد أطلنا الكلام –فنرجع ان شاء اللّه إلى الأمثال [٢٢] أي الأمثلة التي تؤيد ما سبق ذكره .

وتعتبر هذه النقطة أساسا مهما من أسس تعليم علم الصرف ، فهو علم لا يتم تعلمه من خلال القواعد النظرية فقط ، بل لا بد أن يصاحب هذه القواعد النظرية أمثلة حية قريبة مألوفة للمتعلم–وتكون بأعداد مناسبة ، ويتبعها تدريبات كافية لتثبيت هذه القاعدة في ذهن المتعلم .

فقليل من القواعد الصرفية–ممثل له ، بأمثلة كافية ، يتبعه تدريب كاف–أفضل من كثير–لا أمثلة له ، أو قليل الأمثلة ، لا يصحبه التدريب .

٧– أنه لا يستطرد الى قضايا أخرى غير القضايا الصرفية التي أولاها كل العناية فان كانت هناك ضرورة ملحة للتعرض لبعض القضايا المنطقية التي تخدم المعلومة الصرفية–لا يرى غضاضة في عرضها ، ولكن عرضه لها يكون متمشيا مع الخط الذي اختطه لنفسه وهو الايجاز غير الممل بحيث تصبح المعلومة كافية ، ويمكن إن نمثل لذلك بما جاء في معرض حديثه عن همزة الاستفهام : فهي : «حرف موضوع للاستفهام، وهو استخبار عما يسأل عنه ، والهمزة هي أعم حروف الاستفهام ، فهي يستفهم بها عن التصديق والتصور ، والايجاب والسلب» .

---

(٢٢) مقاليد التصريف : ٢/ ٦٩

هنا نجد أنفسنا أمام مصطلحين من المصطلحات العربية من علم الصرف : التصديق والتصور ويكون الشيخ بين أن يمر عليهما مرورا عابرا ، دون تعرض لهما تمشيا مع منهجه وهو الاختصار ، واستنادا الى أن موضوع الكتاب صرفي .

أو يتعرض لهما بالشرح والتفصيل وهنا نراه يأخذ خطا وسطا ، فيعرض لها حتى تتضح المعلومة بايجاز تمشيا مع منهج الكتاب فيقول :

«وأما الفرق بين التصديق والتصور» فهو على حسب ما تقرر في الاصطلاح المنطقي هو : أن كل معلوم لا يخلو من أن يكون العلم به إما من تصديق ، أو من تصور . لأنه إما أن يكون العلم به من خبر يحتمل في الأصل صدقه أوكذبه ، فذلك هو العلم التصديقي كقولنا : زيد قائم ، أو قام زيد، فالعلم بحصول قيام زيد قد حصل عندنا بالتصديق،والعلم التصوري ، إذا قلته حصل لك بالضرورة تصور ذلك المعلوم ، فلفظة زيد من قولنا : زيد قائم حصل لك منها العلم بذات زيد علما تصوريا أنه الانسان الناطق» (٢٣) ويمضي في توضيح مصطلحاته بشكل واضح يخدم موضوعه ، ولا يخرج به عن الحد .

٨- انه لم يكن في عرضه للمسائل معتمدا على الذاكرة ، بل كان يعتمد التحرير والتدقيق ويستشير المراجع النحوية والصرفية كمؤلفات ابن مالك التي تتمثل في الألفية واللامية ، والتسهيل .

ومؤلفات الفراء ، كمعاني القرآن ، واللازم والمتعدي .. وابن الحاجب في الكافية- وكذلك شروحها .

ويذكر أسماء كثير من النحاة مثل سيبويه ، وقطرب ، والأخفش ، وابن كيسان والكسائي والمازني ، والزمخشري .. إلخ .

---

(٢٣) السابق : ٣/ ١٥

وكان يستشير المعاجم اللغوية باعتباره –بحكم وظيفتها– تقدم الجذر صيغه الصرفية ، والمعلومات الكافية عن هذه الصيغ من حيث الضبط ، وطريقة الكتابة والتنوع بالاضافة إلى المعاني .

وقد اعتمد في تحريره للمادة اللغوية على معجمين أساسيين هما :

القاموس المحيط للفيروز آبادي،والصحاح في اللغة للجوهري،حيث استخدمهما في تحرير كثير من المسائل .

وكان يشير الى مصدر مادته إما بذكر المؤلف أو المؤلف كأن يقول : «كما هو ظاهر ابن مالك» (٢٤) والقاموس خلافا للجوهري .

٩– انه يستخدم مصطلحات خاصة به ، ولكنه كان يبادر بشرحها كأن يقول : الفعل المرتقي «ويقصد به ما زاد عن الثلاثي أي الرباعي أو الخماسي (٢٥) وتقدم القائمة التالية صورة لهذه المصطلحات الخاصة–وما هو مشهود لدى النحاة .

الفعل الذي لم يسم فاعله	الفعل المبني للمجهول	٦٨/١
تكثير الفاعل	صيغ المبالغة (في الأفعال)	٨٤/١
الأوزان المكثرة	صيغ المبالغة	١١٧/١
الفصل	وهو ضمير الرفع المنفصل	١٣١/١
ياء النفس	ياء المتكلم	١٣٩/١
المعل	ما أعل بقلب كعصا ورحا أو بحذف كقاص ورام وداع ونحوهما	١٤٣/١
يحظل حذفه	يمنع حذفه	١٨٦/١
إعراب النون في المثنى الكسر	علامة النون في المثنى الكسر	١٩٢/١
اعراب النون في جمع المذكر السالم بالفتح	تحريك النون في جمع المذكر السالم بالفتح	٢١٨/٢

(٢٤) مقاليد التصريف : ٢٦٠/١

(٢٥) السابق : ٧٨/١

فعل مطلق الفاء	مفتوح الفاء	١٧١/١
آلة التعريف	أداة التعريف	١٧٤/١
لم تزل أل	لم تحذف	

فهي استخدامات خاصة بالشيخ ، قد توقع في بعض اللبس ، لكن الشيخ يبادر بتقديم شرح مركز لها يساهم في استقامة المتابعة ، والاستمرار في القراءة .

١٠ – ان الشيخ لا يغفل ما ورد عن العرب من لغات في مسائل عديدة ، نذكر منها على سبيل المثال :

ظرف المكان (هنا) يقول الشيخ «وتزاد (هنا)» قبل الكاف لا ما فتكون : هنالك ويشار في معنى ذلك (هنا) بفتح الهاء مشددة النون وهنا مخففة مع كسر الهاء وتزاد الكاف فتكون هناك ، وها لتنبيه فيكون : ها هناك ، وتشدد نونها فتكون هنا مع بقاء كسرة الهاء . (٢٦) . وقس على ذلك ما ورد في اسم الموصول–الذي (٢٧) والتي.(٢٨)

هذه بعض الخصائص التي تميز بها مؤلف «مقاليد التصريف» لمؤلفه العلامة سعيد ابن خلفان بن أحمد الخليلي ، حيث عرضه في أسلوب مشوق–سهل ، جامع لمسائل العلم وقضاياه ، وجزئياته ، مستخدما من الوسائل ما يراه ضروريا لتقريب المعلومة معتمدا النظم والنثر–ليكمل كل منهما الآخر .. وهذا مثال من الكتاب للوقوف على منهج المؤلف وطريقته في التناول . وفي «الحذف المقيس». (٢٩)

---

(٢٦) مقاليد التصريف ١٥٣/١

(٢٧) السابق ١٥٥/١

(٢٨) السابق ١٥٨/١

(٢٩)السابق ١٦١/٢

الخاتمة :

وبعد ، فهذه صورة كتاب «مقاليد التصريف» ومكانته بين المؤلفات الصرفية السابقة عليه ، وقد ساهمت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان في طبعه ونشره-وهذا جهد مشكور-إلا أنه لا زال في حاجة الى اعادة نظر عند اعادة طبعه لمراعاة ما يلي :

١- ضبط الصيغ-أي الأوزان-والأمثلة ضبطا دقيقا لأهمية هذا الجانب في دقة هذا العلم فالصرف : صيغ ، والصيغ محكمة الضبط ، ،من ثم يكون ضبط المثال على نفس درجة أهمية المثال .. وترك الضبط كترك المثال بل ترك الضبط أخسر لأنه يعرض للتحريف والزلل .

٢- الاهتمام بالأخطاء المطبعية التي وقعت عند الطبعة الأولى-حيث تكثر هذه الأخطاء مدرجة توقع في اللبس ، وتعمي العبارة-ومن ثم فالحاجة ملحة عند اعادة

٣- تأصيل الآراء الواردة به ، وعزوها الى أصحابها حتى يتسنى لمن يريد الاستزادة من طلاب العلم ، أن يعرف الوجهة ، ويكون الطريق ممهدا .

٤- تخريج الشواهد الوادة به سواء كانت هذه الشواهد آيات قرآنية ، أو أحاديث نبوية شريفة ، أو شواهد شعرية ، أو لغات العرب . تمشيا مع المنهج العلمي في التأليف، الذي يوثق كل معلومة ، ويدقق في كل كلمة .

ولخطر هذا العمل ، ينبغي أن يسند إلى أهل التخصص ، حتى يخرج العمل وافيا محققا، مضبوطا ويتبوأ مكانة بين كتبنا التي نعتز بها ، فهو يتحق كل جهد جعله الله في ميزان حسنات مؤلفه ، ونفع به .

وتغمد الله شيخنا بالرحمة والمغفرة والرضوان .

«إنه سميع قريب مجيب الدعوات» .

المنهج العلمي في كتاب مظهر الخافي في علمي العروض والقوافي

مع دراسة عروضية تطبيقية على شعره

الدكتور / أحمد مصطفى عفيفي

كلية الآداب - جامعة السلطان قابوس

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما جئت الى عمان قلت : إن تلك الأرض الطيبة قد أنجبت الخليل بن أحمد الفراهيدي مكتشف علم العروض وغيره كثيرين ممن لهم باع طويل في علوم اللغة والنحو والفقه ، وفي علوم أخرى ، وسألت نفسي أليس جديرا بتلك الأرض التي أنجبت هذا الفذ العبقري الخليل بن أحمد الفراهيدي أن تنجب غيره من العروضيين ممن لديهم قدرة بارعة على التأليف العروضي عمقا وشمولا واستقراء وتحليلا ، بشكل مختلف عما تعودنا على قراءته من الكتب العروضية الأخرى ؟

وبعد البحث تقع عيني على أسماء بعض المؤلفين العمانيين الذين لهم باع طويل في التأليف العروضي بخاصة وفي علوم أخرى بعامة ، ومن هؤلاء المؤلفين العلامة القطب الرباني الشيخ سعيد بن خلفان الخروصي -رحمه الله- في مخطوطة «مظهر الخافي بنظم الكافي في علمي العروض والقوافي» وكذلك المؤلف الشيخ عبد الرحمن بن عيسى ابن مرشد العمري في مخطوطه «الوافي» في العروض والقوافي وأيضا الشيخ العلامة نور الدين السالمي العماني في كتابه «المنهل الصافي على فاتح العروض والقوافي» ، وربما وجد غيرهم ممن لم تتح لنا فرصة الاطلاع على مؤلفاتهم بعد .

وفي هذا البحث سنتوقف أمام العلامة سعيد بن خلفان الخليلي وكتابه «مظهر الخافي» هذا العالم الذي يعد من أعلم الشعراء وأشعر العلماء كما أشار الى ذلك الشيخ محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي صاحب شقائق النعمان الذي يقول عن الخليلي :

والخليلي ذو العلوم سعيد بن	**خلفان كاشف المعضلات**
الامام المحقق القدوة الثبت	**زكي الفعال خير الثقات**
أشرقت في السلوك عنه قواف	**تتلألا سنى لكل الهداة**
وله في وقائع الحرب نظم	**باهر لا تحده بصفات**
ولكم في العلوم عنه نظام	**من أراجيز أحكمت نيرات**

هذا العالم الذي تنوعت معارفه العميقة الشاملة فتنوع تأليفه في العلوم المختلفة مثل : الفقه والصرف والأصوات وعلوم البلاغة والعروض ، علاوة على أنه شاعر مجيد ، أقول هذا العالم دخل مجال التأليف العروضي بهذا المخطوط الذي هو مقصد حديثنا الآن .

وسيتناول هذا البحث النقاط التالية :

أولا : عنوان المخطوط وتوثيقه ونسبته الى صاحبه .

ثانيا : سبب التأليف .

ثالثا : عرضا سريعا للمادة العلمية بالمخطوط .

رابعا : خصائص المنهج العلمي .

خامسا : ملاحظات حول المنهج .

سادسا : دراسة تطبيقية عروضية على أشعار الخليلي .

وأخيرا نقدم خاتمة يليها مصادر البحث ومراجعه .

أولا – عنوان المخطوط :

أشار المؤلف في مقدمة المخطوط الى أنه قام بتسميته «مظهر الخافي بنظم الكافي في علمي العروض والقوافي» وقد وجد هذا العنوان على الصفحة الأولى من النسختين اللتين بين أيدينا ، كما أشار المؤلف الشيخ «الخليلي» الى كيفية نطق العنوان ، والى جواز النطق باحدى طريقتين عندما علق على بيت المنظومة الذي يقول فيه :

ودونك المظـــــــــــهـــــــــــر الخافي المضمن للكافي بعلم القوافي والعروض ملي (١)

قال تعليقا على هذا البيت «المظهر الخافي هو اسم لهذه المنظومة ، وضبطه مُظْهِر بضم الميم وسكون المعجمة ، وكسر الهاء اسم فاعل من أظهره ويجوز أن يقال مَظْهَر بفتح الميم والهاء مصدر كالظهور ، لكن يلزم تجريده حينئذ من آلة التعريف لأجل الاضافة»

معنى ذلك أن الطريقتين هما :

١– مُظْهِر الخافي بضم الميم وكسر الهاء اسم فاعل من أظهر والتركيب اضافي ، ويمكن أن يقترن بأل مع الاضافة حسب قواعد النحو في الاضافة اللفظية .

٢– مَظهَر الخافي ، مظهر مصدر ميمي بمعنى الظهور ، أي ظهور الخافي وفي هذه الحالة لا يقترن المضاف بأل لأن الاضافة معنوية وواضح من خلال اسم الكتاب أن «مظهر الخافي» هو نظم لتلك المادة العلمية التي وجدت في كتاب «الكافي» وهو كتاب وضعه أبو العباس أحمد بن شعيب الشهير بالخواص ، ولم يكتف الشيخ الخليلي بنظمه ، بل إنه شرحه بعد النظم شرحا مفصلا وافيا ومفيدا .

---

(١) ملي في الأصل وصف للغني بسعة ماله وكثرة ما عنده أو بحسن وفائه والمعنى هذا الكتاب مليء بهذين العلمين ، أي حسن الوفاء بإيرادهما لكثرة ما تضمنه في معناهما ، فذلك أتم لشرفه ، وأرجى لحسن وفائه . مظهر الخافي (أ) ص ٦

توثيق المخطوط ونسخه :

أشارت كتب كثيرة الى وجود هذا المخطوط ونسبته الى صاحبه دون أدنى ملابسة،غير انها تشير الى العنوان عند اقران الكلمة الأولى بأل وهذا ما فعلته «موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب–دليل عمان[٢] حيث تقول الموسوعة « وله قصيدة في العروض سماها : المظهر الخافي المضمن الكافي في علم العروض والقوافي» ، وهو النص نفسه الذي وجد في شقائق النعمان [٣] . وهذا مخالف لما ورد على الصفحة الأولى من المخطوط ، وقد وجد العنوان «مظهر الخافي» وعلى أية حال فالنطقان جائزان حسب كلام المؤلف نفسه ، والنطق بأل جائز أيضا على الاضافة اللفظية .

وقد وقعت على نسختين لهذا المخطوط القيم ، النسخة الأولى مصورة بمكتبة جامعة السلطان قابوس «قاعة عمان» ، وقد كتب العنوان على الصفحة الأولى وبعده كتبت العبارة : تأليف الامام العلامة القطب الرباني الشيخ سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي الخروصي–رضي الله عنه–، وفي الصفحة الأخيرة منه كتب النص التالي :

«وكان تاريخ الاهتمام بهذا الشرح والنظام على يد المعتني بجمعه شيخنا العلامة سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي–رحمه الله عليه–يوم **٢٣** من ذي القعدة سنة**١٢٥٧هـ**، تم بعون الله وحسن توفيقه نسخ هذا الكتاب الجليل وكان الفراغ منه ليلة الاثنين لثلاث عشر بقين من جمادى الأولى من شهور **١٣٧٢** من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام وأزكى التحية ، وذلك بقرية النزار من ازكي بقلم العبد الفقير إلى الله سالم بن سعيد بن حمود بن سعيد الغاوي الازكوي»

وهذه النسخة عدد صفحاتها مائتان وثلاث وعشرون صفحة من القطع متوسط الحجم ، ووجد بها ثلاث صفحات للفهرسة في نهايتها وخطها واضح ، وهي منظمة في طريقة الكتابة ، وسنرمز لها بالرمز (أ) .

أما النسخة الثانية فقد وقعت عليها بدار المخطوطات والوثائق بوزارة التراث القومي والثقافة تحت رقم **٢٥١٥** عام / **٥٩هـ** خاص ، وقد وجد عنوانها بدون ال «مظهر الخافي» على الصفحة الأولى من المقدمة ، وكتب في صفحة النهاية «وكان تاريخ تمام هذا

---

(٢) موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب الطبعة الأولى ١٤١٢هـ–١٩٩١م مكتبة لبنان–جامعة السلطان قابوس ص ٧٩ .

(٣) شقائق النعمان للشيخ محمد بن راشد الخصيبي ص ٢ ١٩٨٩م وزارة التراث القومي والثقافة ٢/٣٤٦.

الشرح والنظام في يوم ٢٣ من شهر ذي القعدة الحرام في سنة ١٣٥٨هـ والمعتني بنظمه وجمعه الشيخ العالم الفقيه العامل سعيد بن خلفان ابن أحمد الخليلي» وكان تاريخ تمام النسخ يوم ١٩ شعبان ١٣١١هـ وكانت هذه النسخة ملكا للشيخ العزيز عبدالله بن حميد السالمي الضرير وكان قد ولد عام ١٢٨٦هـ[٤] ، وكانت وفاة الخليلي ١٢٨٧هـ ، أي أن الخليلي توفي بعد ميلاد السالمي بعام واحد فهو قريب العهد به ، وربما كان أكثر اهتماما بتراث الخليلي ، وسنرمز للنسخة الثانية بالرمز (ب) .

ثانيا–سبب تأليف «مظهر الخافي» :

ألف الشيخ الخليلي هذا الكتاب بناء على التماس ورغبة من أستاذه الشيخ حماد بن محمد البسط (من ولاية الباطنة) فقد قال الخليلي عن سبب التأليف : «التمس مني من كنت ربيط أسباب احسانه ، وغدوت مستمسكا بأوتاد فضله وامتنانه ، ذلك الشيخ الفصيح الكامل الذي عناه وصرح باسمه هذا الأديب القائل :

بسط اللّه نعمة لبني البسط ... فكان الأولى بها حماد
فهو لا زال حامدا نعمة المولى ... وأولى بالنعمة الحماد

فهو الذي تحكم عليّ بأن أنظم له كتاب الكافي في علمي العروض والقوافي وهو كتاب حجمه لطيف مع انه شريف أنشأه أبو العباس بن شعيب أحمد الشهير بالخواص فالتزمته اجابته ...»[٥] ، وأشار الخليلي الى أنه اقتصر على المهم ، وان كان قد زاد عليه ذكر مواضع لم يعول المصنف عليها ونكتا لم يقف لديها ، وبعد أن نظم الكتاب شرحه شرحا تفصيليا ، فغدا الخليلي صاحب النظم والشرح معا ، وقد حاولت أن أتحقق مما ذكره الخليلي فوجدته متوافقا مع المبدأ الذي اختطه لنفسه ، فهو يزيد ويناقش ويتأمل ويحلل ويرى أن هذه اضافة لا بد منها ، أو تلك معلومة لم ترد عند المصنف أو وردت بايجاز أو تركها دون نظم ، وخلاصة القول كان أمينا مع نفسه .

مقدمة الكتاب :

بدأ المؤلف الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي كتابه بتلك المقدمة التي درج عليها كثير

(٤) قراءات في فكر السالمي ص ٩٢ ، المنتدى الأدبي–اشراف : سالم بن محمد الغيلاني ، اعداد : محمد علي الصليبي .
(٥) مظهر الخافي (أ) ص١،٢ وصحة الاسم : أبو العباس أحمد بن شعيب الشهير بالخواص.

من المؤلفين العمانيين ، وهي مقدمة يلجأون فيها الى استخدام مصطلحات العلم الذي يكتبون فيه ، يوظفونها بشكل فني جيد يشد انتباه القارىء ، وفيما يلي نموذج من مقدمة مؤلفنا الشيخ الخليلي لنرى ماذا فعل في مقدمته يقول : «الحمد للّه الذي جعل الميزان عدلا وفصلا ، وهدى الى عروض الرشاد كرما منه وفضلا ، وأولى من كافى احسانه ووافى امتنانه معروفا جزلا ، أحمده حمدا متواترا مترادفا غير مقتضب ولا مجتث أصلا ، وصلاة اللّه وسلامه المديد البسيط الوافر الشامل على خليله المصطفى الوافي بالتمام ، الكامل ، وعلى آله المؤسسين لبيوت البأو [٦] الطويل عماده ، الأطول ، وصحابته البحور القوافي لآثار منهجه الصحيح الذي لا يعلل ، والتابعين في سلك هداهم المعري من كل دخيل أهول ، صلاة وسلاما سالمين من أسباب النقص والخزل والخبل والتشطير ، مطلقين بهما ، نتدارك من المولى موفور فضل لا يقيد عن غاية التيسير» [٧]

لو تأملنا هذا النص لوجدناه مليئاً بالمصطلحات العروضية التي تفيض حيوية وعذوبة بدلالاتها المشعة في سياقها داخل النص ، فقد وظفها المؤلف توظيفا فنيا بارعا في المقدمة ، مع أن المصطلحات العروضية تتسم—أحيانا—بالغموض الدلالي ، بل وتتسم أحيانا عند البعض بالتعقيد ، لكن قارىء هذا النص يستطيع أن يفهمه بسهولة مع غموض معاني الألفاظ أحيانا واذا تأملنا المصطلحات الواردة بالنص وجدنا أن معظمها مصطلحات عروضية تمثل العصب الأساسي عند العروضيين لهذا العلم ، هذه المصطلحات هي : الميزان ، المترادف ، المقتضب ، المجتث ، المديد ، البسيط ، الوافر ، الوافي ، التمام ، الكامل ، البحور ، القوافي ، الدخيل ، النقص ، الخزل ، الخبل ،

---

(٦) البأو اسم للبيت المستكمل للأجزاء الواقعة في دائرته ، مظهر الخافي ص٤٠ وقيل انه مصطلح عروضي هو عند العروضيين اسم لتجنب المستحسن من السناد دون المستقبح ، فالمستقبح تغاير حركة الفتح مع الفم أو مع الكسر ، والمستحسن تغاير حركة الفم مع الكسر ، وهذا أيضا ليس بعيب ، لأن تجنب العيب لا يكون عيبا . الوافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي ، تحقيق عمر يحيى وفخر الدين قباوة ط ، ١٩٧٩م دار الفكر ، ويعني هذا المصطلح الفخر والشرف لتجنب العيب ، وقد كتبت كلمة الفخر على الهامش مقابل (البأو) في نسخة دار المخطوطات والوثائق—وزارة التراث القومي والثقافة .

(٧) مظهر الخافي (أ) مقدمة الكتاب .

التشطير ، الموفور [٨] ... إلخ .

لقد تتبعت كتبا عروضية لمؤلفين غير عمانيين في هذا العلم مثل «التبريزي» في كتابه الكافي أو الوافي فلم أجد في الكتاب الا مقدمة صغيرة ليس فيها مصطلح واحد من مصطلحات العروض ، كذلك لم يفعل «ابن القطاع» في كتابه البارع ، وكذلك كان أبو العباس بن شعيب القنائي في كتابه الكافي وغير ذلك من الكتب العروضية الأخرى .

أما ما يفعله المؤلفون العمانيون من امتلاء مقدماتهم بمصطلحات العلم الذي يؤلفون فيه ، ففي اعتقادي ان ذلك مفيد لسببين :

الأول : من المعروف أن علم العروض علم صعب عند كثير من المتعلمين وغالبا ما يدخل القارىء أو المتعلم على هذا العلم مترددا خائفا محجما كأنه ينوي ركوب البحر مع ارتفاع العواصف ، فاذا ما عرف أن هذه هي المصطلحات العروضية التي ستقابله فيما بعد ، وأنها بهذا القرب الدلالي من نفسه كما وردت في المقدمة ، فان ذلك يمكن أن يمهد لنفسه وعقله أن يلتقي مع صعوبات علم العروض دون خوف أو احجام .

الثاني : ورود مثل هذه المصطلحات بهذا الأسلوب الفني السهل يمكن أن يعطي انطباعا عن مؤلف الكتاب أنه خبير بهذا العلم ، يمتلك زمامه جيدا ، ،وأن التعامل اذن مع هذا العلم سيكون سهلا من خلال هذا الكتاب وهذا المؤلف ، وأن الرحلة معه ستكون سهلة . وربما يؤكد ذلك أن الخليلي قد ألف كتابه في مرحلة متوسطة من حياته عام **١٢٥٧هـ** أو **١٢٥٨هـ** على رأي آخر ، وكان قد تمرس بالتأليف في الصرف والبلاغة

(٨) حاولت أن أتعقب تلك الظاهرة في بعض المؤلفات العروضية العمانية فتجسدت هذه الفكرة من خلال المؤلفات التي اطلعت عليها ، ومنها كتاب «الوافي بحل ألفاظ الكافي» للشيخ عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد العمري فقد بدأ مقدمة الكتاب بقوله : «اللهم يا كافي المهمات يوم الفصل والميزان ، ويا وافي العطايا من وافر الفضل وكامل الاحسان ، نحمدك على متقارب نعمائك ، ومتدارك كرمك نشكرك على مترادف آلائك ومتواتر نعمك ، ونصلي ونسلم على قطب دوائر العرفان ...» إلخ [انظر مقدمة كتاب الوافي بحل ألفاظ الكافي في علمي العروض والقوافي في مخطوطة بدار المخطوطات والوثائق بوزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان برقم ١٣٦٣ عام ٣٣ ز خاص ١ ص] ، فهذا الجزء من أول المقدمة قد امتلأ بالمصطلحات العروضية التي لا يجد القارىء صعوبة في فهمها ، وهذا ما وجدته أيضا في مقدمة كتاب : المنهل الصافي للشيخ نور الدين السالمي العماني الذي بدأ كتابه بقوله : «الحمد لله كامل الذات والصفات ، وافر العطايا والهبات ، والصلاة والسلام على نقطة دائرة الوجود ، وشمس كواكب السعود ...» إلخ ، المنهل الصافي على فاتح العروض والقوافي طبعة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان عام ١٩٨٢ ص٧.
إن هذه النصوص لخير دليل على هذا المنهج الذي اتبعه المؤلفون العمانيون في كثير من العلوم بعامة ، وفي علم العروض بخاصة .

وكذلك تمرس بكتابة الشعر الذي بدأ بها في فترة مبكرة من حياته ، فظهرت خبرته في تأليفه هذا الكتاب ولعل ما يقوله البعض أنه انتهى من تأليف كتاب «مقاليد التصريف» وعمره سبعة عشر عاما أو ستة عشر وكتابته لكثير من أشعاره في بداية العقد الثاني من حياته . أقول لعل ذلك دليل على ما نقوله .

ثالثا–المادة العلمية في «مظهر الخافي» :

بدأ المؤلف المخطوط بخطبة ، ثم أتبعها ببعض التعريفات وخاصة بعلمي العروض والقافية كل في جزء مستقل ، ثم اتبع ذلك بمقدمة العلم الأول وهو علم العروض ، وبين فيها بعض الأشياء التي رأى أنه لا بد من معرفتها فتناول ألقاب البيت الشعري ، ثم الوحدات العروضية وكان له رأي خاص في الغاء بعضها ، ثم عرج بعد ذلك الى مراتب التركيب الشعري ، فأخذ القارىء في تؤدة ولين ، وكأنه يبدأ معه منذ بداية الطريق ، فقسم تلكم المراتب إلى :

المرتبة الأولى : تركيب الأدوات (الأسباب والأوتاد من المتحركات والسواكن) .

المرتبة الثانية : تركيب الأجزاء (التفاعيل الخماسية والسباعية) .

المرتبة الثالثة : تركيب المصراع .

المرتبة الرابعة : تركيب البيت .

المرتبة الخامسة : تركيب القصيدة من أبيات بحر واحد مستوية في الأجزاء والعلل مما يجوز أو يمتنع أو يلزم فيها .

وتناول المقدار الذي يسمى به الشعر قصيدة ، عارضا الخلاف الذي دار حول ذلك المقدار ، ثم تناول تعريف الشعر قائلا انه لغة العلم مستدلاً بقوله تعالى :«**وما يشعرون أيان يبعثون** »(٩) وفي الاصطلاح لفظ عربي قصد بوزن عربي .

وبهذه المقدمة الطويلة التي دخل بها الى القسم الأول من الكتاب وهو علم العروض وزادت عن ثماني عشرة صفحة ، نراه ينتقل إلى الباب الأول وهو : ألقاب الزحافات والعلل ، والشيخ الخليلي يبدأ دائما من أول الطريق ، فبدأ بتعريف كلمة «لقب» لغة واصطلاحا ، وأحال القارىء الى كتابه مقاليد التصريف (١٠) ليتزود منه إن أراد ، ثم

---

(٩) سورة النحل ٢٦ ، ٤٥ وسورة الزمر ٢٥

(١٠) مقاليد التصريف طبعة وزارة التراث القومي والثقافة–سلطنة عمان–١٩٨٦م الطبعة الأولى ٤٦/١

تناول بعض الألقاب التي لم يشر اليها مؤلف كتاب الكافي مثل : المعاقبة (نجاة أحد السببين من الزحاف أو نجاة كليهما معا) والمكانفة (عدم جواز زحافهما معا) والمراقبة (امتناع تغيير أحد الجزأين لأجل تغيير الآخر ، وامتناع سلامتهما معا ، فلابد من تغيير أحدهما وسلامة الآخر) وقد أجاد في عرضها ، وأضاف على علماء العروضين بعض المعلومات [11] مما سنذكره في مكانه .

بعد ذلك بدأ في ذكر العلل بعد أن عرفها وذكر مواضعها وأنواعها بالتفصيل ، والبحر الذي تدخله كل علة من العلل مع ذكر الشواهد على وجودها ، وأضاف من عندياته نثرا دون نظم كما أشار هو واتبع ذلك بالزحافات التي تجري مجرى العلة .

ثم انتقل «الخليلي» إلى الباب الثاني وهو بعنوان «في أسماء البحور وأعاريضها وضروبها» عارضا ذلك من خلال تناوله للدوائر العروضية وما تحمله كل دائرة من بحور مستخدمة ومهملة ، فبدأ بدائرة المختلف المحتوية على الأبحر الطويل والمديد والبسيط ، واتبع ذلك بالكلام عن الدائرة الثانية وهي دائرة المؤتلف التي تحتوي على بحري الكامل والوافر ، ثم انتقل الى دائرة المشتبه وتحتوي على بحر الهزج والرجز والرمل ، وتحدث بعد ذلك عن دائرة المجتلب وتناول من خلالها الأبحر التالية : السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث ، وأخيرا تناول دائرة المتفق وهي تحتوي على بحر المتقارب ، والمتدارك الذي تداركه الأخفش .

بعد ذلك أضاف الخليلي خاتمة للقسم الأول من الكتاب عنوانها «بيان ألقاب الأجزاء» ، وهي دراسة مستفيضة حول بعض المصطلحات العروضية التي لم يكن قد تناولها من قبل و لم يكن قد ذكرها الخواص في الكافي ، وانما وردت في الوافي بحل ألفاظ الكافي للشيخ عبد الرحمن العمري–كما أشار الخليلي–فتناولها نثرا لا نظما هذه المصطلحات هي : البأو ، النصب المجزوء ، المشطور ، المنهوك ،ثم تناول بعض القضايا مثل التصريع والتقفية وشروط التصريع وسبب التسمية ، وما هي المواضع التي يستحسن فيها ، وقضية التحريد [12] في الشعر وهو اختلاف صورة الضرب في القصيدة الواحدة ومثاله :

مـــا كـــلـــيب مـــهـــدرا دمـــه	فـــخـــذوا لـــلـــحـــرب أو فـــذروا
يـــا لـــبـــكـــر إنما رجـــل	مســـلـــم لـــلـــحـــرب اذ فـــرّوا

(١١) انظر مظهر الخافي (أ) ص٣٥ .

(١٢) مظهر الخافي (أ) ص١٥٠ .

فقد اختلف الضرب في البيت الأول (فذروا) فعلا عن الضرب في البيت الثاني (فروا) فعلا وهذا تحريد .

ثم تناول الإقعاد [١٣] وهو اختلاف صورة العروض في القصيدة الواحدة وقد حكم عليه بأنه عيب فاحش لا يسوغ للمحدثين استعماله ، وقد سمع من العرب القدامى في بحر الكامل فقط ، وذلك لكثرة حركاته ومنه قوله :

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الأطهار
من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوته بصدر نهار

فعروض البيت الأول مقطوعة ، وعروض الثاني صحيحة ، وهو إقعاد اختتم هذا الجزء من كتابه ببعض المصطلحات تتمة لما كان فيه مثل الفصل والغاية ، الموفور ، السالم ، المعرى ، فقد تناول هذه المصطلحات بالتعريف والشرح والتمثيل لها ، وربما يتساءل متسائل أليس من الأفضل منهجيا أن يأتي بهذه المصطلحات في أول الكتاب مع الحديث عن التعريفات العروضية حتى يتسنى للقارىء متابعتها ؟

والرد على ذلك بالقول بلى ... كان يمكن ذلك ، غير أن ما فعله الشيخ الخليلي كان مفيدا للقارىء لأسباب نذكرها فيما يلي :

الأول : أنه بدأ الكتاب بتعريفات كثيرة ومهمة يتوقف عليها معرفة علم العروض ذكرناها في أول هذا العرض ، ولو كان الخليلي زاد في بداية كتابه مصطلحات مثل : التحريد والإقعاد والغاية والفصل والموفور والمعرى ، كان يمكن أن يصيب ذلك القارىء بإحباط شديد من كثرة المصطلحات فيتراجع القارىء عن متابعة القراءة بأساً واحباطا ، فدل ذلك على أنه كان يراعي الناحية التعليمية أيضا.

الثاني : ما فعله الشيخ الخليلي كان–أيضا–مفيدا للقارىء من ناحية أخرى وهي أنه قدم للقارىء الأهم الذي يترتب عليه معرفة الأبحر ، وما يدخل الأوزان من زحافات وعلل ، اذ لا يمكن معرفة ذلك بدون الأسباب والأوتاد ولهذا قدم الأهم الذي يترتب عليه معرفة أسس العلم والولوج إلى أعماقه وأخّر ما يمكن أن يأتي في الدرجة الثانية لمتعلم العروض ، فلا يترتب عليه عدم معرفة العلم ، فعدم معرفة هذه المصطلحات الأخيرة لا يترتب عليه الجهل الكامل بالعلم . بالاضافة إلى أنه قد تناول بعضها بشكل سريع عند الحاجة الى ذلك .

---

(١٣) مظهر الخافي (أ) ص١٥١

الثالث : أن بعض هذه المصطلحات والتعريف بها والاستشهاد لها كثير منها يترتب على معرفة الأبحر والصور ، فكان لا بد من إيرادها أولا ثم ايراد هذه المصطلحات وتلك القضايا ، وشبيه بذلك ما يفعله علماء العروض من تقديم علم العروض على علم القافية ؛ وذلك لأن معرفة القافية وعيوبها وحركاتها يترتب دائما على المعرفة بعلم العروض ، ولهذا يقدم دائما على القافية تقديما منهجيا ، وهذا أيضا ما فعله الشيخ الخليلي ، بل إنه زاد على ذلك الترتيب الداخلي لقضايا علم العروض ومصطلحاته .

القسم الثاني من الكتاب
في علم القوافي

وهنا ننتقل مع الخليلي الى القسم الثاني من الكتاب وهو علم القوافي فبدأ بالحديث عن أسباب تأخيره عن علم العروض ، ثم اتبع ذلك بتناول موضوعات القافية في خمسة أقسام :

القسم الأول : تفسير كلمة القافية ، وعرض اختلاف العروضين في تحديد القافية ، واستطعت أن أستشف من كلامه أنه ارتضى رأي الخليل بن أحمد رأيا له أيضا .

القسم الثاني : أحرف القافية ، فعرض للروي والوصل والخروج والردف والتأسيس والدخيل ، وتناول خلال ذلك ما لا يصح أن يكون رويا من حروف الهجاء مشيرا إلى بعض آرائه التي وردت في كتابه مقاليد التصريف لارتباط القافية بالأصوات ، وهو مرتبط بدوره بعلم الصرف .

القسم الثالث : بيان حركات حروف القافية ، وتناول في هذا القسم حركة المجرى (حركة الروي) والنفاذ (حركة هاء الوصل) والحذو (حركة ما قبل الروي المطلق) والاشباع (حركة الدخيل) والرس (حركة ما قبل التأسيس) والتوجيه (حركة ما قبل الروي المقيد) .

القسم الرابع : في أنواع القوافي ، وهو المتكاوس والمتراكب والمتدارك والمتواتر والمترادف .

القسم الخامس : في عيوب القافية ، فبدأ بالكلام عن الايطاء والحق أن «الخليلي» قد أبدع في تناوله لهذه القضية ، فقد فصل القول في ذكر مواضع يمكن الاشتباه أن بها ايطاء مع انها تخلو منه وربط بينه وبين علوم البديع والصرف والأصوات والنحو ، فقد أدخل كل معارفه لخدمة هذه القضية .

انتقل «الخليلي» بعد ذلك الى عيب التضمين ثم الاقواء والاصراف ، وهذان الأخيران عيبان عروضيان يتقاسم النحويون مع العروضيين الحديث عنهما ، وأشار الخليلي الى قبح هذين العيبين حيث تختلف حركة المجرى (الروي) بحركتين متقاربتين في الأقواء مثل الكسر والضم وبحركتين متباعدتين في الاصراف مثل حركتي الضم والفتح أو الكسر والفتح ، وقد نقل جزءا من كلام الخواص وعبد الرحمٰن بن مرشد العمري ، وأشار الى رأي ابن جني وابن مالك وأبي حيان ، وأشار الى قول عبد الرحمن العمري «فتأمل» ، ليقول الخليلي تعليقا عليه ، «أقول تأملنا في هذا التنبيه بين اختلاف علماء العروض وعلماء النحو ، وحاصل الكل أنه قبيح على القولين فأحسن عند العلماء ، والقول بجوازه في الكلام خارج الى حد الملام ، ولكنه اذا وجد مع قبحه ، فالقول ما قاله علماء النحو هو الأولى بحاله ، فإن احتمال الضرورة في تغيير حكم عامل مع أمن اللبس أولى من تغيير قافية لأجل وجود عامل ، ولا خفاء في أن النحو محتمل للتغيير ، ولو اختيارا في بعض المواطن كرفع المفعول به مع أمن اللبس كما قدروه في قولهم (كسر الزجاجُ الحجر) ، برفع الزجاج ونصب الحجر ، والزجاج مفعول به بلا لبس ، إذ لا ينكسر الحجر بوقع الزجاج عليه ، واذا ثبت ذلك اختيارا فكيف لا يثبت اضطراراً في غيره من العوامل حيث سمع ، ولا يسوغ ذلك للمولدين جزما ، اذ لم يكن عن فصحاء العرب الا قبحا غير معتد به ، فكيف بالمولدين من المحدثين المأخوذين باتباع اللسان النحوي من دون سليقة طبع ، وقد رأيت الترجيح ، فلا تقل إذا كان كذلك المذهب فكيف يسوغ النظم لك على مذهب العروضيين ، فاعلم بأن كل مقام له مقال ، ولا بد من أن يخاطب كل أهل فن بلسانهم ، ويجري فيه على منوالهم ، فان الترك له يعد مقاما واختلافا فاعرف ذلك» (١٤)

ثم انتقل الخليلي بعد ذلك الى الإكفاء والإجازة ، وهما اختلاف الروي بحرفين متقاربين مخرجا في الإكفاء ، وبحرفين متباعدين مخرجا في الإجازة ، وأشار المؤلف الى أن هذين العيبين من أقبح العيوب مع التعليل ، وأخيرا تناول السناد واختلاف العروضيين حوله ، واختار الرأي الذي اعتقد صحيحا ، وخرج من ذلك بخاتمة للقسم الثاني صاغ فيها عيوب القافية مرتبة حسب ذكرها في المخطوط ، وخرج من ذلك بختام

(١٤) مظهر الخافي ص ٢١٠ وقد نقلت هذا النص على طوله ، لترى شخصية الخليلي في التحليل والاعتراض والرد والترجيح ، مع عمق وشمول النظرة عند عرض المبررات .

نهائي حيث أثنى على الله–عز وجل–ثم قال : «وبهذا انتهى بنا الكلام في شرح هذه الرسالة الحاوية للوجازة مع الجزالة ، فنسأل الله أن يختم بالصالحات أعمالنا من فضله الوافر آمالنا ، ويثقل بالحسنات خفيف ميزاننا ويصل بأوتاد فضله عرى أسبابنا ويحشرنا في زمرة نبيه الكامل ويعاملنا بمديد لطفه الشامل ، انه على ذلك قدير ، وبالاجابة جدير» (١٥) .

رابعا–خصائص المنهج العلمي في مظهر الخافي :

فيما يلي نحاول الكشف عن خصائص منهج الشيخ «سعيد بن خلفان الخليلي» في كتابه لنوضح مزاياه ونتعرف على أسرار النهج الذي اتبعه في التأليف ، صحيح انه كان مرتبطا بكتاب الكافي للخواص ، لكنه زاد وأضاف وحلل واختار وعلل دون أن يخل بكتاب الكافي ، ويبدو من خلال متابعة الكتاب وقراءته قراءة فاحصة أنه كان يضع في اعتباره المتعلمين ولهذا كان مما راعاه النهج التعليمي ، إضافة إلى النهج العام الذي اختطه لنفسه ، والذي سنحاول الكشف عنه فيما يلي :

كان «الخليلي» متسقا في نظره مع آراء عصره ، بل ومتسقا مع استشراف آفاق المستقبل ، فعندما تناول معنى الشعر عرفه تعريفا علميا بعيدا عن الخيال الذي يتسم به الشعر نفسه ، حيث ان الشعر فن له أصول وقواعد وأسس علمية يقوم عليها ، ولهذا كان على الخليلي أن يعرفه تعريفا علميا ، فقال : إن الشعر لغة العلم ، وعرفا أو اصطلاحا ، «لفظ عربي قصد بوزن عربي» (١٦)

وعند ذلك نقف أمام قضية في غاية الأهمية طرحها المؤلف في هذا الموضع ، حيث أشار الى أن توصيف الوزن بالعربي المراد به الأوزان المخصوصة المقررة في هذا الفن مخرج لما كان من الكلام بالمثابة المذكورة ، لكنه خارج عن الأوزان العربية من الأعاريض المحدثة التي يخترعها كل اقليم على وفق طباعهم وسجاياهم من المعرب والملحون ، فهذا ونحوه يطلق عليه النظم ، كما يطلق على الأول دون الشعر ، ومن الواضح إذن أن المعرب والملحون ، وما يقدمه أهل كل اقليم على حدة لا يعد شعرا ، بل هو أي شيء آخر غير الشعر ونتوقف بهذه الرؤية التي طرحها «الخليلي» أمام حداثيي اليوم ، فهؤلاء الحداثيون ممن يكتبون نثرا مغرقا في الغموض والرمزية بعيدا كل البعد عن تقاليد الشعر، ويملأون الدنيا صراخا وعويلا بما يكتبونه دون أن يلتزموا بأسس وتقاليد لا بد من الالتزام بها ، أقول على هؤلاء الحداثيين أن يتأملوا وجهة نظر

(١٥) مظهر الخافي (ب) ص ٢٢٢
(١٦) مظهر الخافي (أ) ص ٧

الخليلي التي طرحها في كتابه الجيد ، ليتأكدوا أنهم لا يكتبون شعرا ، بل لا يمت ما يكتبون الى الشعر بصلة من قريب أو بعيد، فهم غير ملتزمين بقواعد أو أصول أو تقاليد شعرية اطلاقا .

ومن مزايا النهج الذي اتبعه «الخليلي» أنه وقف أمام الصور النادرة بالمناقشة والتحليل ، فعند كل بحر يحتوي على نادر الصور كان يتوقف ذاكرا هذه الصور التي تأخذ شهرة الصور الأخرى في الاستخدام ، فلم ترد عليها كثير من الأشعار ، وشواهد ذلك كثيرة تملأ الكتاب ، نذكر منها بعض الأمثلة والنماذج .

عند تناوله لبحر الطويل ذكر أن العروضيين أشاروا الى وجود صور ثلاثة في الضرب مع العروض المقبوضة ، هذه الصور الثلاثة هي : الصحيح ، المقبوض ، المحذوف ، ولكن المؤلف يشير الى ضرب رابع وهو المقصور ، ويأتي بشاهد من شعر امرىء القيس حيث يقول :

ثياب بني عوف طهارى نقية وأوجههم بيض المشافر غرّانْ

واستمر الخليلي–مع بحر الطويل–في سرد الصور النادرة حيث أشار الى صورتين أخريين نادرتين في البحر نفسه ، وهما :

الصورة الأولى : العروض المحذوفة والضرب المحذوف ، ومثالها قول الشاعر :

لقد ساءني سعد وصاحب سعد وما طلبا في قتلها بغرامه

بتسكين (غرامه) على وزن (مفاعي) لتتحول الى فعولن ، وهي صورة نادرة .

الصورة الثانية : العروض المحذوفة والضرب المقبوض ، ومثالها قول الشاعر :

جزى اللّه عبسا عبس آل بغيض

جزاء الكلاب العاويات وقد فَعَل[١٧]

واستمر «الخليلي» في ذكره الصور النادرة ، فعند حديثه عن بحر المديد ، أشار الى

---

(١٧) مظهر الخافي (أ) ص٥٨ ، ولم يشر الخليلي الى المجزوء من بحر الطويل في الصورة النادرة ، فلم يأت له ذكر ، وشاهده :

لعمري لقد نادى أخاه سويد فلم يسمع نداه

فعولن مفاعيلن فعولن فعولن مفاعيلن فعولن

وقد أشارت بعض كتب العروض إلى أن هذه الصورة من المهملات .

انظر كتاب : البارع في علم العروض لابن القطاع تحقيق د. أحمد عبد الدايم دار الثقافة ط١ ١٩٨٢م ص١٠

المديد التام وأنه صورة نادرة ، وشاهده :

إنـه لـو ذاق لـلـحب طـعـمـا مـا هـجـر   كـل غـر في الـهـوى أنت مـنـه في غـرر

ولكن الخليلي حكم على هذه الصورة بأنها غاية في الشذوذ [١٨]

وعند دراسته لبحر الوافر حكى عن الأخفش أن هناك صورة نادرة ، وهي أن الضرب المجزوء المقطوع والعروض مثله ، وجاء لها بشواهد متعددة منها :

عـبـيـلـة أنت هـمـي   وأنت الـدهـر ذكـري [١٩]

وناقش هذه الصورة ذاكرا رأي ابن بري ورأي الدماميني ، واعتمد على رأي عبد الرحمن العمري مؤلف الوافي في ذلك .

وعند دراسته لبحر الرجز ذكر صورتين نادرتين وهما :

الأولى : في مجزوء الرجز العروض مقطوعة مخبونة ذات ضرب مماثل ومثالها قول الشاعر :

لأطـرقـن حصـنـهـم صـبـاحـا   وابـركـن مبرك الـنـعـامـة

الثانية : في المشطور ، العروض والضرب مقطوعان ومثالها :

يا صاحبي رحلي أقلا عذلي

وذكر رأي الخليل بن أحمد الذي يجعله من بحر السريع ، ونستطيع أن نلمح أن «الخليلي» يميل ال« أنه من مشطور الرجز [٢٠]

واستمر في تناول الصور النادرة في الرمل [٢١] والبسيط [٢٢] ... إلخ .

وهكذا يعرض الخليلي الصور النادرة باسهاب ، يحكم عليها في كثير من الأحيان سلبا أو ايجابا حسب رؤيته واعتماده على أقوال العروضيين السابقين .

من مميزات المنهج في هذا الكتاب أن الخليلي ذكر فيه البحور المهملة التي لم يعول

---

(١٨) مظهر الخافي (أ) ص٦٣

(١٩) مظهر الخافي (أ) ص٧٢

(٢٠) مظهر الخافي (أ) ص٩٢

(٢١) مظهر الخافي (أ) ص٩٥

(٢٢) مظهر الخافي (أ) ص٩٦

عليها العرب ، وربما يتساءل أحد : وما فائدة ذكر هذه الأبحر المهملة ؟ والحق أنه من المفيد جدا ذكرها خلال تناوله للأبحر المستخدمة ، فقد ذكرها عند دراسته للدوائر

وما فيها من مستخدم أو مهمل ، وجاء ببعض الأبيات الشعرية التي كتبت على هذه الأوزان ، ولعل ذلك يوقعنا في حيرة ، إذ كيف تكون مهملة وقد وجدت بعض الأبيات على أوزانها؟ لكن الحيرة تذهب عندما نعلم أن هذه الأبيات جاءت لامكانية الكتابة على الأوزان التي قيل عنها انها مهملة ، فلا توجد عليها قصائد كاملة أو حتى مقطوعات .

ولعل تعليل «الخليلي» لذكرها ودراستها في غاية الأهمية حيث يقول خلال دراسته لأحد البحور المهملة : «هو بحر لم تعول عليه العرب ، وربما اعتنى به بعض المتأخرين» (٢٣) ، ولهذا لم يترك المهمل في كل دائرة فقد قرنه بالمستخدم ، فدائرة المختلف تحتوي على بحرين مهملين :

الأول : بحر يسمى المستطيل ، وهو عكس الطويل ، فاذا كانت تفعيلات الطويل «فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن» مرتين فالمستطيل هو «مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن» مرتين ، ويورد لنا «الخليلي» بعض الأشعار التي جاءت على هذا الوزن ، ومنها قول الشاعر :

أيسلو عنك قلب بنار الحب يصلى
وقد سددت نحوي من الألحاظ نصلا

وقول آخر :

لقد هاج اشتياقي غرير الطرف أحور
أدير الطرف منه على مسك وعنبر (٢٤)

وقد ذكر ابن القطاع في كتابه البارع (٢٥) شاهدا آخر ، قال فيه الشاعر :

لقد أبدت سليمى غداة الجزع وجها
كبدر التم حسنا وضوء الشمس نورا

---

(٢٣) مظهر الخافي (أ) ص٥٤

(٢٤) مظهر الخافي (أ) ص٥٤

(٢٥) ص١٠٤

والبحر الثاني المهمل في هذه الدائرة بحر يسمى الممتد وهو عكس المديد، وقيل اسمه الرسيم، فاذا كانت تفعيلات المديد «فاعلاتن فاعلن» أربع مرات فان تفعيلات الممتد المهمل أو الرسيم [٢٦] هي «فاعلن فاعلاتن» أربع أيضا، وذكر الخليل شاهده، وهو قول الشاعر:

صاد قلبي غزال أحور ذو دلال

كلما ازددت قربا زاد مني نفورا

وقول أبي العتاهية:

عتب ما للخيال حيرتي ومالي   عتب مالي أراه طارقا مذ ليال [٢٧]

وهناك شاهد آخر ذكره ابن القطاع جاء على هذا الوزن، وهو قول الشاعر:

قد رمتني سليمى بسهام الجفون   ثم قالت دعوه فالسما كان دوني [٢٨]

وعندما تناول «الخليلي» دائرة المؤتلف [٢٩] تناول معكوس الوافر المسمى بالمتوفر، وتفعيلاته «تن مفاعلتن» وتنطق «فاعلاتك» ست مرات، ثم قال «الخليلي» ونظم عليه بعض المتأخرين فقال:

خير صحبك ذو المذاهب والتعا   ون في النوائب والتوازر والتشاور

وبعض المولدين حذف من سببه وعروضه، ثم نظم عليه فقال:

ما وقوفك بالركائب في الطلل   ما سؤالك عن حبيبك قد رحل
يا فؤادي ما أصابك بعدهم   أين صبرك يا فؤادي ما فعل

ولم يذكر الخليلي بحرين مهملين آخرين من هذه الدائرة لعدم وجود اسم لهذين البحرين:

الأول: يبنى على (مفتعلات» ستة أجزاء موقوف الضرب وشاهده:

ما ولدتني النجباء من مضر   إذا حمي الوطيس ولم أناد نزال

الثاني: يبنى على (مفاعلات) ستة أجزاء موقوف الضرب وشاهده:

وما غناء فتى يجود بكل ما ملكت   يداه وليس يبخل بالنوال [٣٠]

---

(٢٦) في علمي العروض والقافية د. أمين علي السيد، طبعة دار المعارف بمصر ٩٨٢ ص ١٥٤

(٢٧) مظهر الخافي (أ) ص٥٥

(٢٨) البارع ص١٠٥

(٢٩) مظهر الخافي (أ) ص٧٠، ٧١

(٣٠) البارع لابن القطاع ١٢٨

ثم استمر الخليلي في ذكر الأبحر المهملة ، فعند تناوله لدائرة المجتلب [٣١] تكلم عن أبحر ثلاثة مهملة في هذه الدائرة هذه الأبحر هي:

الأول : بحر المبتدر وتفعيلاته :

فاعلاتن فاعلاتن مفعولتن [٣٢] مرتين .

الثاني : بحر المنسرد ، وتفعيلاته :

مفاعيلن مفاعيلن فاعلاتن [٣٣] مرتين .

الثالث : بحر المطرد وتفعيلاته :

فاعلاتن مفاعيلن مفاعيلن [٣٤] مرتين .

ويبدو أنه أحس بأن هذه الأبحر غير مستساغة ، فلم يشر الى شواهدها من قريب أو من بعيد ، كما لم يذكر بعض الأبحر المهملة الأخرى ، وربما للسبب نفسه ، ومن الحق

---

(٣١) مظهر الخافي (أ) ص٩٧ وما بعدها ، وقد أشار الخليلي إلى أن بعضهم يسميها دائرة المشتبه لاشتباه أبحرها ، وقد ظهر الخلاف في كتب العروضيين حين قام البعض بدراسة هذه الدائرة تحت مسمى المجتلب متفقا مع الخليلي أو بالأحرى يتفق الخليلي معهم مثل ابن القطاع في كتابه البارع ص١٥١، وآخرون قاموا بدراستها تحت مسمى المشتبه . انظر في علمي العروض والقافية ص١٥٧ وما بعدها .

(٣٢) أشارت بعض الكتب الى أن هذا الوزن هو فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن وليس مفعولتن ، والأفضل مستفعلن وأورد له شاهدا هو :

مــا لســلــمــى في البرايــا مــن مشبــه لا ولا الــبــدر المنير المســتــكــمــل

في علمي العروض والقافية ص١٥٨، البارع ص١٨٢

(٣٣) وشاهده :

لــقــد نــاديت أقــوامــا حين جــابــوا ومــا بــالســمــع مــن وقــر لــو أجــابــوا

البارع ١٨٢ ، في علمي العروض والقوافي ١٥٨ ، وقد أشار الدكتور أمين السيد أنه يطلق عليه الغريب والمتئد .

(٣٤) وشاهده :

مــا لســعــدى إذا مــا أبصــرتــنــي أبــدت صــــدود وإن لم تـــرني تشــقــى

وقد ورد له شاهد آخر يقول :

مــن مجيري مــن الأشــجــان والــكــرب مــن مــزيــلــي مــن الأبــعــاد بــالــقــرب

البارع ١٨٣ ، في علمي العروض والقافية ص١٥٨ ، العيون الرامزة على خبايا الرامزة للدماميني ، تحقيق الحساني حسن عبدالله ونسبه الدماميني لأحد المحدثين ص٥٧

أن نشير الى أن الشواهد التي ذكرها النحاة لها تتسم بالصنعة والتكلف .

وهذه البحور التي أشار العروضيون إلى إنها أهملت قد وردت بعض الأشعار على أوزانها ، ومعنى ذلك أن الباب سوف يفتح أمام شعراء الجيل الجديد لأن يكتبوا عليها أشعارهم بدلا من اللجوء الى تحويل الشعر الى نثر يسمى شعرا ، كما فعل أهل الحداثة الذين يحاولون طمس معالم الأوزان الخليلية والهروب من القواعد والأصول والتقاليد الشعرية التي تعد أهم أداة من أدوات الشعر ، واذا أخذنا في الاعتبار البحور المستخدمة والبحور التي أشيع إهمالها مع امكانية الكتابة عليها وسهولة ذلك بالاضافة الى الصور النادرة ، وهي كثيرة ، أقول إذا أخذنا كل هذا في الاعتبار فاننا سنجد أمامنا مجموعة كبيرة من الأوزان العروضية التي يمكن استغلالها بالكتابة عليها بدلا من الكتابة على غير مبدأ أو تقليد أو أساس . وذلك هو باب الدخول الصحيح الى حقل الشعر .

قضية التشابه بين البحور

من مزايا التأليف عند الخليلي أنه ، عند عرضه للصور المختلفة للبحر الواحد ، كان يذكر الصور المتشابهة به من بحر آخر ، وقد ركزت كتب العروض بصفة عامة على قضية المشابهة بين بحر الوافر المجزوء وبحر الهزج[٣٥] أما مؤلفنا الشيخ الخليلي فقد ذكر صورا أخرى كثيرة تتجسد فيها المشابهة بين بحرين مختلفين ، الى حد أنها يمكن أن تمثل قضية من القضايا التي يجب دراستها من خلال هذا الكتاب ، فلم يكن يعرض هذه الصور المتشابهة فقط ، لكنه كان يشرح ويحلل ويبرر الفروق الدقيقة بين الصور ، وأخيرا كان-في غالب الأحوال-يرجح ما يراه مرجحا لديه مع تقديم الدليل ، وفيما يلي نقدم نماذج طرحها المؤلف من خلال كتابه «مظهر الخافي» :

عند تناوله لبحر الكامل التام ، تكلم عن احدى صوره وهي التي يكون فيها العروض الحذاء والضرب الأحذّ ، والحذذ هو اسقاط الوتد المجموع من آخر التفعيلة ، (متفاعلن) تصير (متفا) كما في البيت التالي :

دمن عفت ومحى معالمها	**هطل أجس وبارخ ترب**
متْفاعلن متفاعلن متفا	**متْفاعلن متْفاعلن متفا**

فانه يتناول هذه الصورة من خلال تفسير الشارح مشيرا الى أن هذه الصورة تشتبه

(٣٥) العروض والقافية دراسة ونقد د. عبد الرحمن السيد ص ٥١ مطبعة قاصد خير بالفجالة .

اذا أضمرت التفعيلتين الأولى والثانية لتصير متفاعلن بتسكين التاء بصورة من صور البحر السريع [٣٦] عندما يكون عروضه وضربه «مخبولين مكسوفين» [٣٧] ، أي تتغير مفعولات في السريع إلى معلا وتتحول الى فعلن بتحريك العين ، وفي حالة الاضمار هذه في الكامل والخبل والكشف في السريع تصير كل من الصورتين متشابهتين في الحركات والسكنات ، ويمكن نطقهما بشكل واحد وإن كانتا مختلفتين في التفعيلة :

ففي الكامل تكون : متفاعلن متفاعلن متفا

وفي السريع تكون : مستفعلن مستفعلن فعلن

وحركات كل منها واحدة : اه اه ااه اه اه ااه اااه

ومثل ذلك قول الشاعر :

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم [٣٨]

ومع أن الخليلي لم يأت ببيت للتمثيل ، وكان يتكلم بشكل نظري فقد رجح أن تكون الصورة من الكامل حيث نقل الرأي التالي عن الوافي [٣٩] «الأولى الحكم عليها بأنها من الكامل لأن عروضه وضربه لم يدخلهما حينئذ إلا الحذذ وهو من العلل الحسنة بخلاف السريع فإنه يكون حينئذ قد دخل عروضه وضربه الخبل والكسف [أو الكشف] والخبل من الزحافات المزدوجة القبيحة» [٤٠] والترجيح مبني على حجة ودليل وإن كان مبنيا على الذوق إلا أن تبريره منطقي لمن لديه خبرة في مجال علم العروض .

وخلال تناوله لبحر الكامل أيضا يتناول صورة أخرى منه مشابهة لبحر الرجز ، فعندما تضمر كل تفعيلات الكامل فتصير مُتْفاعلن بتسكين التاء تتشابه مع مستفعلن ، وهي تفعيلة بحر الرجز ، وقد رجح المؤلف أن تكون الصورة في هذه الحالة من بحر الرجز والتعليل لأصالة مستفعلن في الرجز وفرعيته في الكامل إلا إذا وجد التذييل [٤١] أو

(٣٦) مظهر الخافي (أ) ص٧٧

(٣٧) الكسف أو الكشف بمعنى واحد وهو حذف السابع المتحرك ، والخبل هو اجتماع الخبن (حذف الثاني الساكن) مع الطي (حذف الرابع الساكن)

(٣٨) العروض والقافية دراسة ونقد ص٣٦ ، ٦٦ ، وانظر الوافي لعبد الرحمن العمري .

(٣٩) الوافي عبد الرحمن العمري ص ٥، ٦٧

(٤٠) مظهر الخافي (أ) ص ٧٧

(٤١) زيادة ساكن على ما آخره وتد مجموع

الترفيل [٤٢] ففي هذه الحالة يرجح أن يكون البيت من بحر الكامل .

والقضية نفسها بين الكامل والرجز لو أصبحت تفعيلات الكامل مفاعلن [عن طريق الوقص] وهو حذف الثاني المتحرك وتفعيلات بحر الرجز متفعلن [عن طريق الخبن] وهو حذف الثاني الساكن ، ويرجح المؤلف أن يكون البيت من بحر الرجز [٤٣] والتعليل ، لأن متفعلن في الرجز ناشىء عن الخبن وهو حذف ساكن ، وفي الكامل كانت مفاعلن ناشئة عن الوقص ، وهو حذف متحرك ، ولا شك في قبح الثاني [٤٤]

وهناك صورة السريع المشطور المخبون وتصير فيه مفعولن الى معولن وتتحول الى فعولن مثل :

يارب إن أخطأت أو نسيت

فبعض العروضيين يجعل هذا من مشطور الرجز المقطوع الضرب ، أما الخليل فهو الذي يجعله من السريع ، وقد نقل الخليلي رأي الخليل بن أحمد على ما هو عليه دون تعليق ، ولعل هذا يدل على ميله لهذا الرأي وإيمانه به [٤٥] ، وقد تناول المؤلف صورا أخرى كثيرة في ثنايا كتابه لا داعي للتطويل في سردها [٤٦]

وترتبط بهذه القضية قضية أخرى على غاية كبيرة من الأهمية وهي مزج البحور في الشعر الحديث ، فهذه التشابهات بين بعض الصور للأبحر المختلفة لتدل على صحة ما يرد عند الشعراء المحدثين من مزج الأبحر كمزج السريع بالرجز ، والهزج بالوافر المجزوء ، والبسيط بالرجز ، والكامل بالرجز أو السريع ، ويبدو أن بحر الرجز قاسم مشترك بين كثير من هذه التشابهات ولعل هذا ما يؤكد حاجة هذه القضية الى دراسات مستقلة تبرز جوانبها الخفية مطبقة على الشعر العربي الحديث .

ننتقل الى نقطة أخرى في منهج الشيخ الخليلي وهي أنه اذا فاته شيء من المصطلحات التي تجب معرفتها منذ أول الأمر لتوقف معرفة صور الأبحر عليها أو معرفة علم العروض عليها ، فقد كان لا يفوته أن يتكلم عنها عند ورودها لأول

(٤٢) زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع

(٤٣) مظهر الخافي (أ) ص ٨

(٤٤) مظهر الخافي (أ) ص٨٢

(٤٥) مظهر الخافي (أ) ص١٠٤

(٤٦) انظر على سبيل المثال ص٦٠ ، ٩٠ من المخطوطة النسخة (أ)

مرة ، وقد تكرر ذلك في المخطوط ، ولعل ذلك دليل على وعيه الدقيق ومراعاة قارئه .

ومثال ذلك ما صنعه عند الكلام عن أول بحر تناوله وهو بحر الطويل ، فعندما أراد أن يوضح صورة العروض والضرب لهذا البحر أدرك أن عليه أن يعرف القارىء بمعنى العروض والضرب فبدأ بتناولها أولا ثم بيان ذلك مطبقا على الطويل (٤٧)

ومن الخطوط المنهجية التي وضعها لنفسه والتزم بها أنه كان يكمل النقص الوارد في الكتاب الذي ينظمه ويشرحه وهو الكافي للخواص ، فالخليلي ينظم الكافي ، وحين يجد نقصا خلال تناوله كان يسد هذا النقص بالنظم والشرح أحيانا أو بالشرح نثرا دون نظم ، فقد أضاف من عندياته تناوله للبحور من خلال الدوائر العروضية ، بينما تناول الخواص البحور دون الدوائر ، فأضاف الخليلي رسمة للدوائر ثم شرحها تفصيلا بعد تسجيل الحركات عليها .

وتظهر اضافته أيضا عند تناوله للمعاقبة ، وهي أن يلتقي سببان ، الجائز سلامتهما ، أو زحاف أحدهما وامتناع الآخر ، أو بمعنى آخر هي نجاة أحد السببين من الزحاف ، أو نجاة كليهما معا وتحدث المعاقبة في عشرة أبحر يلتقي فيها السببان ، غير أن الخليلي عندما اطلع على ما صنعه الخواص في «الكافي» وعبد الرحمن العمري في «الوافي» شرح الكافي وجد أنهما ذكرا تسعة أبحر فقط ، ولم يكتف بذلك فنظر في شرح الخزرجية (٤٨) لعبد الرحمن حتى يتأكد هل ذكر العاشر أم لا ، فوجد العمري عدها تسعة فقط ، فقال الخليلي «ولا المانع لها من العاشر الذي هو المجتث ، فقد التقى فيه السببان الجائز سلامتهما ، وزحاف أحدهما وامتناع الآخر ، وهي المعاقبة بعينها ، فلا مخرج له منها قطعا» (٤٩) ، ثم ذكر الخليلي أمثلة يدعم بها رأيه لتكون دليلا وبرهانا فذكر مثال السلامة لكل من السببين في قول الشاعر :

البطن منها خميص	**والوجه مثل الهلال**
مستفعلن فاعلاتن	**مستفعلن فاعلاتن**

(٤٧) مظهر الخافي (أ) ص٥٥

(٤٨) شرح الخزرجية (فتح رب البرية شرح القصيدة الخزرجية لعبد الرحمن العمري) مخطوط بدار المخطوطات برقم ١٣٦٣ عام ٣٣ ز خاص ص٢٩ ، ٣٠ ، وقد أشار إلى العاشر الشيخ نور الدين السالمي في المنهل الصافي ٤٨

(٤٩)مظهر الخافي (أ) ص٣٥

فتفعيلات البيت (بري) أي صحيحة ، ويحكم عليها بالسلامة ، وهي معاقبة .

ومثال الصدر قول الشاعر :

أولئك خير قوم	اذا ذكر الخيار
مفاعل فاعلاتن	مفاعل فاعلاتن
مشكول سالم	مشكول سالم

دخله الكف في التفعيلة في كل من الشطرين ، وهو حذف السابع الساكن في مستفعلن إضافة الى الخبن واجتماع الكف والخبن يسمى شكلا (٥٠) ، والأفضل أن تتحول التفعيلة الى متفعل لأن أصلها مستفعلن ، وعلى هذا تكون التفعيلة الأولى والثالثة (صدر) ، أي معلة مشكولة ، والتفعيلتان الثانية والرابعة (بري) : أي تفعيلتان صحيحتان (٥١)

وهكذا أضاف الخليلي الى المعاقبة ما اعتقده آمن به ، و لم يقله كثير من العروضيين ، بل انه أضاف المعاقبة نفسها والمراقبة والمكانفة وهي قضايا عروضية لم يتناولها صاحب الخواص—حسب ما قاله الخليلي—وقد أشار الى ذلك الخليلي قائلا : «ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام ونظمه في سلك هذا النظام مبحث المعاقبة والمراقبة والمكانفة وقد أهمله المصنف مع مسيس الحاجة اليه ، واشتداد التعويل عليه» (٥٢)

ثم بدأ في تناول كل منهما على حدة ، وكان في معظم الأحيان لا ينظم المعلومة التي لم ترد في الكافي شعرا ، بل كان حريصا على أن يأتي بها نثرا ، وقد أعتبر من الأمانة أن يفعل ذلك حيث إنه تعهد لأستاذه الشيخ حماد بن محمد البسط أن ينظم الكافي ، فاذا أورد شيئا على الكافي كان يذكر ذلك ، مشيرا الى أن مثل هذه المعلومات لم ترد عند المؤلف ، وأن هذا سبب لعدم نظمها وذكرها نثرا ، وهذه أمانة تحمد للمؤلف ، لأن هدفه الرئيسي نظم الكافي وشرحه حسب القضايا والموضوعات الواردة فيه ، ولهذا كان لا بد من التصريح أو التلميح عند الاضافة .

كان الخليلي حريصا على معالجة أخطاء الخواص في الكافي أو إكمال النقص ، فعندما أشار الخواص الى صورة البسيط المجزوء المقطوع العروض والضرب (القطع هو

(٥٠) البارع ١٩٨ ، الكافي للتبريزي ١٢٤

(٥١) يمكن أن تأتي تفعيلات هذه الصورة على بحر الوافر المجزوء المقطوف العروض والضرب [مفاعلتن فعولن] ،غير أنه لا يمكن اعداد هذا البيت من بحر الوافر ، إذ بحر الوافر لا يأتي—غالبا—على هذه الصورة إضافة إلى أن الكف لا يحدث به .

(٥٢) مظهر الخافي (أ) ص ٢٨ ، ٢٩

حذف ساكن الوتد المجموع وتسكين ما قبله) فتصير مستفعلن إلى مستفعل ، وتنقل الى مفعولن ، وقد مثل له صاحب الكافي بقول الشاعر :

ما هيج الشوق من طلل

و لم يكمل البيت ، فعلق الخليلي قائلا : « أتى منه لتكميل البيت على حسب ما ساعفه، والبيت الشاهد المشار اليه قوله :

مـا هـيـج الشـوق مـن أطـلال	**أضحت قـفـارا كـوحـي الـواحـي** [٥٣]
مستـفـعـلـن فـاعـلـن مـفـعـولـن	**مستـفـعـلـن فـاعـلـن مـفـعـولـن**

وهو بذلك قد صحح البيت حسب روايته الصحيحة إذ أن (من طلل) تكسر وزن البيت ، فاذا صارت (أطلال) استقام الوزن ، وهذا ما كان يفعله الخليلي في المواطن التي تحتاج الى معالجة .

ومن الملاحظ أن الخليلي كان يتناول قضايا عروضية لا يتطرق اليها كثير من العروضيين مثل طرحه لقضية : أين العروض ؟ وأين الضرب ؟ في البيت المشطور ، وعرض لآراء العروضيين الذين تناولوه ، ورجح أن يكون العروض هو الضرب قائلا : إنه ظاهر كلام أكثر العروضيين وعليه المعول» [٥٤] لأنه يؤمن أن المشطور نصف بيت لا بيت كامل ، وقد حكم على بعض الآراء بأنها خاملة ، حتى عندما طرح القضية مرة أخرى مع الرجز المنهوك أكد على رأيه مرة أخرى [٥٥]

كان الخليلي -عندما يعرف المصطلحات العروضية- حريصا على مراعاة بعض الأشياء التي تؤكد خبرته التأليفية ، من هذه الأشياء هي :

(أ) ربط ما يقوله بواقع مادي ملموس حتى يثبته في ذهن القاريء فعندما أراد أن يعرفنا طبيعة الحرف المتحرك الذي يبدأ الكلام به أشار إلى أن المقصود الحركة حتى ولو كانت لا قيمة لها ، إذ لو نقرت حجرا بآخر لكان المسموع منه تلك الحركة ، ثم لا بد لتلك الحركة من تابع بالضرورة ، ولو حرفا ساكنا ليحسن السكوت عليه .

(٥٣) مظهر الخافي (أ) ص٦٨ وقد ورد البيت في كثير من كتب العروض كما رواه الخليلي ، أنظر الوافي لعبد الرحمن العمري ص٤٤ ، البارع ١٠٠، الكافي للتبريزي ص٤٣ المنهل الصافي ٩٣

(٥٤) مظهر الخافي (أ) ص ٩١

(٥٥) مظهر الخافي (أ) ص ١٤٣

لقد ربط الحركة بصوت الحجر حتى تستقر بأذن المتلقي فلا ينساها ، وعندما تناول أنواع القوافي توقف أمام قافية المتكاوس [هي كل قافية توالت فيها أربع حركات بين ساكنيها] نراه يعلل تسمية القافية بهذا المصطلح قائلا : «سميت هذه القافية بالمتكاوس أخذا من كاس البعير اذا مشى على ثلاثة قوائم فكأن هذا النوع مضطرب لمخالفته الوزن المعتاد بتوالي أربعة أحرف متحركات ، فأشبه البعير الذي خالف عادته في المشي ، وقيل هي مأخوذة من تكاوس الابل وهو ازدحامها على الماء لازدحام الحركات فيها»[٥٦]

وقد عرض الرأيين ، ورجح الرأي الثاني ، وأشار الى أن هناك آراء أخرى لم يذكرها،ربما لعدم قناعته بها ، فاكتفى بأشهر رأيين ، وعندما توقف أمام مصطلح «الرجز» أشار اليه بقوله :

«الرجز محركة داء يأخذ الابل في أعجازها ، فترتعش فخذاها من ذلك ، فيقال فيذلك رجزت كفرحت فهي رجزاء ، وهو أرجز ، وبه سمي هذا البحر لتقارب حركاته وأجزائه وقلة حروفه ، فهو كالمضطرب» [٥٧]

(ب) عندما يتناول ظاهرة كان يعطي لها المسميات المختلفة-إن كان لها ذلك- ويعرض لأسباب الاختلاف في تلك التسمية ، ويتضح في المخطوطة كلها ، ومن أمثلة ذلك التضمين والتتميم والاصراف والاسراف-الكسف والكشف ، (الرمل والرمل) ، الخبل (تسكين الباء) أو الخبل (بتحريك الباء) [٥٨] ... إلخ ، وقد امتلأ المخطوط بذلك .

(جـ) تعديل بعض التعريفات ، وبيان صحة تعريف عن تعريف آخر ، إن وجد خلاف حول مصطلح تعديل ما ، فعند تناوله لعيب الايطاء وهو عيب عن عيوب القافية قال : «الايطاء هو اعادة كلمة الروي سواء كانت قافية نحو حوامل من قوله : بسقط اللوى بين الدخول فحومل أو بعض قافية كقوله :

كجلمود صخر حطه السيل من عل

وهذا الحد تبع المصنف فيه ابن الحاجب ، وهو أحسن من تعريفهم الايطاء : هو تكرير القافية ، لاستلزامه حصر الايطاء في تكرير جملة القافية ، فيرد عليه لزوم كون إعادة

---

(٥٦) مظهر الخافي (أ) ص١٤٣، ١٩٥

(٥٧) مظهر الخافي (أ) ص ٨٩

(٥٨) مظهر الخافي (أ) ص ٢٠٤ ، ٢٠٨ ... إلخ .

الكلمة التي فيها الروي كعل من البيت المذكور ليس بايطاء»[٥٩] ثم استمر في عرض رأي الأخفش والخليل وربط ذلك بعلم البديع ، ورجح في النهاية ما رآه مناسبا من وجهة نظره ، وخلال ذلك تناول قضايا مهمة تخص الايطاء مثل : تكرار كلمة القافية قبل مرور سبعة أبيات ، مع اختلافها تعريفا أو تنكيرا ، وعروضه لآراء الأخفش وابن القطاع وقطرب ، وانتهى إلى أن ذلك ليس بايطاء ، كذلك تناول تكرار الكلمة مع وجود قلب مكاني مثل أنيق وأينق ، وانتهى أيضاً إلى أن ذلك ليس بايطاء ، كذلك ما كرر قبل مرور سبعة أبيات ، غير أن التكرار جاء في قصة أخرى من القصيدة نفسها» .

من هنا يتضح لنا عمق الرؤية وشمولها لدى الخليلي ، وأن النهج الذي اتبعه نهج علمي دقيق ، حيث كان يحرص على جلاء الصورة بعمق ودقة محللا ومناقشا ومرجحا يساعده على ذلك وفرة المعلومات لديه في العلوم المختلفة من صرف ونحو وأصوات وبلاغة وفقه وقراءات وغير ذلك من العلوم المختلفة[٦٠]

ومن تلك القضايا المهمة التي طرحها ، والتي ما زالت تطرح حتى الآن في كتب العروضيين المحدثين قضية الاقواء في الشعر والاقواء هو اختلاف حركة الروي المطلق بضم وكسر ، والسؤال الذي طرحه . متناولا من خلاله تلك القضية هي : هل الاقواء عيب موسيقي من عيوب القافية أم عيب نحوي ؟ وقد عرض آراء النحاة والعروضيين في ذلك، ونقل تنبيها لصاحب الوافي (عبد الرحمن العمري) يقول ومن تلك القضايا المهمة التي طرحها ، والتي ما زالت تطرح حتى الآن في كتب العروضيين المحدثين قضية الاقواء في الشعر والاقواء هو اختلاف حركة الروي المطلق بضم وكسر ، والسؤال الذي طرحه . متناولا من خلاله تلك القضية هي : هل الاقواء عيب موسيقي من عيوب القافية أم عيب نحوي ؟ وقد عرض آراء النحاة والعروضيين في ذلك ، ونقل تنبيها لصاحب الوافي (عبد الرحمن العمري) يقول في نهايته فتأمل[٦١] ثم يواصل الخليلي كلامه قائلا : «أقول تأملنا في هذا التنبيه بين اختلاف علماء العروض وعلماء النحو وحاصل الكل أنه قبيح على القولين فأحسن عند العلماء ، والقول بجوازه في الكلام خارج الى حد الملام ، ولكنه إذا وجد مع قبحه ، فالقول ما قاله علماء النحو هو الأولى ، فان احتمال الضرورة في تغيير

---

(٥٩) مظهر الخافي (أ) ص ٢٠٠ ، ٢٠١

(٦٠) مظهر الخافي (أ) ص١٠٠ ، ١٠١

(٦١) الوافي بحل الكافي ص ١٣٨

حكم عامل مع من اللبس أولى من تغيير قافية لأجل وجود عامل ، ولا خفاء في أن النحو محتمل للتغيير ، ولو اختيارا في بعض المواطن كرفع المفعول به من أمن اللبس ، كما قدروه في قولهم : كسر الزجاجُ والحجرَ برفع الزجاج ونصب الحجر ، والزجاج مفعول به بلا لبس ؛ اذ لا ينكسر الحجر بوقع الزجاج عليه ، واذا ثبت ذلك اختيارا فكيف لا يثبت اضطرار» [٦٢]

وعلى هذا فالخليلي استطاع من خلال تجربته في علم النحو أن يقول رأيا حاسما في هذه القضية ، وأن يرجح رأي النحويين الذين قال عنهم صاحب الوافي بشرح الكافي «صرح جمالهم ابن هشام في كتاب الجامع الصغير بأنه من جملة المواضع التي يقدر فيها الاعراب ما اشتغل آخره بحركة القافية ، والإمام أثير الدين أبو حيان فيما ألحقه بالتسهيل من تعلقات الضرائر حيث جعل من ذلك قلب الاعراب ، قال وينقاس في الضرائر» [٦٣]

إذن نستطيع القول بأن الخليلي ذو شخصية علمية واضحة في التأليف العروضي ، يناقش ويرجح معللا ، وبما يعرضه من آراء العلماء ومفضلا رأيا على آخر ، ونستطيع القول أيضا بأن هذه القضية التي تشغل النحويين [٦٤] والعروضيين [٦٥] الآن كانت تشغلهم في تلك الفترة وفي هذه البيئة العمانية كما وجدناها في الوافي بحل ألفاظ الكافي ، ومظهر الخافي ، فالخليلي إذن كان على علم بما يجب أن يناقشه من القضايا التي تهمه أو تهم العروضيين عند التأليف .

ننتقل الى ملاحظة أخرى هي من الأهمية بمكان في بيان المنهج الخليلي ، وهي توظيف معلوماته وخبرته واطلاعه على العلوم المختلفة لخدمة علمي العروض والقافية ، ولأن الخليلي كان واسع الاطلاع فإنه كان يعلم متى يستخدم هذه المعلومات ويوظفها في الوقت المناسب إلا في بعض المواضع القليلة التي كان يسهب دون داع فيها ، ومن العلوم التي أجاد توظيفها لخدمة علمي العروض والقافية علوم البلاغة والنحو والصرف والأصوات .

ولعل ما طرح منذ قليل في قضية الاقواء هل هو عيب موسيقي من عيوب القافية أم عيب نحوي ؟

---

(٦٢) مظهر الخافي (أ) ص ٢١٠

(٦٣) الوافي بحل ألفاظ الكافي ص ٣٨ ، مظهر الخافي (أ) ٢٠٩

(٦٤) انظر كتاب فصول في فقه العربية الدكتور رمضان عبد التواب ص٧٥ ، ١٤٢

(٦٥) انظر كتاب في عروض الشعر العربي قضايا ومناقشات ، الدكتور محمد عبد المجيد الطويل ص١٩٧

أقول لعل ذلك يوضح كيف وظف الخليلي النحو ومعرفته به لخدمة القافية وترجيح رأي على آخر ، فقد تكلم كأنه نحوي فاهم لأسرار اللغة وعروضي يعرف عمق التأليف .

وعلم القافية يرتبط ارتباطا كبيرا بعلمي الاصوات والصرف فقد وظفهما في خدمة هذا العلم عند تناوله حروف القافية وعيوبها ، فعند تناوله لألف التأسيس (هو ألف بينه وبين الروي حرف ولا بد أن يكون في كلمة الروي وأن يلتزم به الشاعر طوال القصيدة) أقول عند تناوله لألف التأسيس نقل كلام العروضيين الذي يقولون فيه :«ينبغي أن يعلم أن الألف إذا كان أصلها همزة كآدم وآخر لا يجب اعتبارها تأسيسا ، وإن كانت في كلمة الروي ودليله قوله :

أرى أم عمرو دمعها قد تحدرا … بكاء على عمرو وما كان أصبرا
إن قلت هذا صاحب قد رضيته … وقرت به العينان بدلت آخرا»[٦٦]

ويبدو أن هذا القول من العروضيين لم يعجب الخليلي فقال تعليقا عليه : «قلت : لا فرق على الأصح بين الألف إن كان مبدلا من همزة أو لا إذا كان البدل محضا لا تسهيلا مع وجود الأصل ، وعلى الفصيح فالهمزة الثانية من كلمة (آخر) مبدلة ألفا محضة مثل : آتيناه وأخواتها ، وعلى هذا فهو سناد تأسيس محض على أصح ما قيل فيه .

ولا جرم فإن السناد غير مستنكر في أشعارهم وإن كان قبيحا .

نعم قد يوجد في شواذ أقوال علماء التصريف أن بعض العرب لا يبدل الهمزة مطلقا، وعليه فإذا صح مع وهنه وركاكته فليس هو سنادا ، ولو قيل بتسهيلها في الموضع لما كان محالا أو قبيحا ، لأنه اذا ثبت التحقيق مجازا مع مواضع لزوم القلب ، فالتسهيل أخف ارتكابا وأعذب موقعا ، وعليه فاذا جاز فقد خرج من حكم القلب المحض ، فكان القول بأن الاسناد–كما قال الشارح–فتنبه لهذه التفصيلات .

وإن أشكل عليك معرفة التخفيف والقلب والهمزة وأحكام ذلك فإذا شئت فعليك بكتابنا مقاليد التصريف ، فانه جماع شتيتها ، وغنية مطالبها لمن يسره الله لفهمه ، وأعانه بمنه وكرمه» [٦٧]

---

(٦٦) مظهر الخافي (أ) ص ١٧٩

(٦٧) راجع مقاليد التصريف ، فقد أفرد باب كاملا بعنوان «باب تخفيف الهمزة» في الجزء الثاني من ص٨٠ الى ص٩٦ تناول فيه الهمزة بكل تفصيلاتها وانظر المخطوطة «مظهر الخافي» أ ص١٧١ ، ١٧٦ ، ١٨٢ فقد ورد ذكر مقاليد التصريف فيها وفي مواطن أخرى .

والمتأمل لهذا النص يدرك كيف وظف الشيخ الخليلي معرفته الدقيقة بعلم الصرف توظيفا فنيا بارعا لخدمة القافية مشيرا الى مصدر مهم من مصادره وهو كتاب مقاليد التصريف لمن شاء أن يستزيد وقد ذكر كتاب مقاليد التصريف في مواضع أخرى للرجوع اليه لاستكمال بعض المعلومات الصرفية لمن أراد (٦٨)

ونجده أيضا قد وظف علوم البلاغة وخاصة علم البديع في خدمة هذين العلمين العروض والقافية ، ومثال ذلك ما ورد عند تناوله للتضمين وهو عيب من عيوب القافية معناه تعليق قافية البيت بالبيت الذي يليه فقد ربط ذلك ربطا عميقا بعلوم البلاغة فأشار إلى أن تعليق البيت بالبيت الذي يليه لا بد أن يكون على هيئة مخصوصة ، ولهذا يستثنى من ذلك أنواعا من التعليق لا تكون سببا في ايجاد عيب التضمين قائلا : «اذا تعلقت قافية البيت بما بعدها واستقلا بالفائدة كقوله :

إن أمير المؤمنين قد بنى ... على الطريق علما مثل الطوى

فليس بعيب عند الأكثرين لحصول الفائدة بقوله قد بنى ، و لم تتعلق القافية بما بعدها ، بل لو تعلق صدر البيت بما بعده كقوله :

أقول لصاحبي والعيس تهوى ... بنا بين المعيقة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

فليس بعيب لانتقاء ذلك المحذور ، نص عليه أبو العباس ، وسماه تعليقا معنويا ، وعده أهل البيان فنا من فنون البديع وسماه التفريع» (٦٩)

ثم استمر الخليلي في احصاء أشكال التعليق التي لا تعد تضمينا ، كمثل وقوع البيت الثاني مفسرا للأول ، وكذلك لو جاء الثاني جوابا للأول بعد تمام المعنى فلا يعد ذلك تضمينا ، وقد عرض لرأي جمال الدين ابن نباتة في الجناس المصحف وربط بينه وبين عيوب القافية وبين موقفه من ذلك شيء آخر نستطيع ملاحظته أن الشواهد التي أتى بها الخليلي لتوضيح الصور المختلفة أو لتطبيق دراسة القافية عليها لا تخرج كثيرا عن الشواهد العروضية التي جاءت في الكتب الأخرى ، غير أنه كان -أحيانا- ينتقي بعض أبياته لتدل على الحكمة والسلوك الحميد أو الصداقة الطيبة وأثرها ، أو الوصف

---

(٦٨) مظهر الخافي (أ) ص ٢٠٥

(٦٩) مظهر الخافي (أ) ص ٢٥

بالخصال الحميدة ، مثل الكرم والشجاعة ، ومن تلك الأبيات الواردة عنده نذكر بعضها منها على سبيل المثال :

وإذا افتقرت فلا تكن متجشعا وتجمل

لا خير فيمن كف عنا شره إن كان لا يرجى ليوم خير
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه
بالفاضلين أولي النهى في كل أمرك فاقتده
كل امرىء مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله
يوشك من فر من منيته في بعض غراته يوافقها
إذا قلت هذا صاحب قد رضيته وقرت به العينان بدلت آخرا

يستطيع المتأمل لهذه الأبيات أن يرى الحكمة أحيانا أو السلوك الحسن في حالة أخرى ، والنصيحة الراشدة في حالة ثالثة ... إلخ ، وكأن الأبيات جاءت لهدف واحد آخر، وهو الاستمتاع بها والاسترشاد ، أما النوع الآخر فلا ترد فيه مثل هذه المعاني ، والمقصود به مجرد التمثيل والاستشهاد ، ولهذا من الخير والأفضل أن يختار المؤلفون شواهد هادفة دلاليا بجوار الهدف التمثيلي .

المراجع التي اعتمد عليها مظهر الخافي

لم يكثر «الخليلي» من ذكر الكتب ، لكنه أكثر من ذكر أصحابها ، فقد وردت كثيرا في ثنايا المخطوط آراء كبار العروضيين ممن لهم باع طويل في التأليف العروضي ، وكثيرا ما تردد اسم الخليل ابن أحمد الفراهيدي ، وكان غالبا ما يميل اليها ، وتردد كثيرا اسم الأخفش في نقاشه مع الخليل بن أحمد وخلافاته معه ، ووردت أسماء كثيرة أخرى مثل: ابن القطاع الزمخشري ، الدماميني ، الزجاج ، ابن الحاجب ، ابن الخباز ، المبرد ، ابن جني ، البطليوس ، ابن رشيق ، الخواص ، الأسنوي الصفاقسي ، الزواوي ، عبد الرحمن العمري ... إلخ .

والملاحظ أن بعض هؤلاء لهم مؤلفات عروضية مستقلة من أمثال : ابن القطاع وله البارع ، والشافي ، والزمخشري وله القسطاس ، والدماميني وله العيون الغامزة على خبايا الرامزة وعبد الرحمن العمري وله الوافي بحل ألفاظ الكافي ، والكافي نفسه للخواص وابن الحاجب ومنظومته العروضية .

وبعض هؤلاء العروضيين تناول قضايا عروضية في ثنايا الكتب مثل ابن رشيق في العمدة ، والمبرد في الكامل ، والملاحظ أن الخليلي كان يعتمد كثيرا على آراء هؤلاء العروضيين في التعليل أو الترجيح ، وأحيانا كان يكتفي بعرض آرائهم فقط .

خامسا–ملاحظات حول منهج الكتاب :

لا شك أن العمل العلمي الجاد هو الذي تكثر ميزاته ، وتزداد الإفادة منه . وتقل عيوبه وأخطأوه ، كما في العمل الذي نتناوله في هذا الحديث فوفرة المعلومات التي احتواها ، وهذا النهج العلمي الذي اختطه لنفسه العلامة «الخليلي» لجدير بأن نقف أمام هذا المخطوط معترفين بقيمته العلمية الكبيرة ، وكذلك تلك الدقة في التناول ، وهذه الاضافات التي أظهرت الشخصية العلمية لمؤلفه كل هذا يعطي للكتاب أهمية كبيرة في الحقل العروضي ، والعمل العلمي الجاد المتقن لا يضيره أن تكون به بعض الهنات التي كان يجب مراعاتها ، ولا يخلو أي عمل من ملاحظة هنا أو من ملاحظة هناك ، تلك الملاحظات لا تقلل من قيمة العمل ، فلا ينقص من قيمته أن تذكر هذه الملاحظات التي ترتقي به الى الأمثل ، والكمال للّه وحده ، ويكفي أن يثير هذا المخطوط كل تلك القضايا العروضية المهمة ، وأن يخرج قارئه حاملا هذا الكم من القضايا الدقيقة لهذا العلم ، ولولا تصور وجود مثل هذه الهنات ما قال ناسخ مظهر الخافي في نهاية المخطوط «والمطلوب من اخواننا المطلعين أن يصلحوا الزلل ويسدوا الخلل ، فذلك من عادات الكرام»[(٧٠)] وهذه اذن دعوة من اطلعوا على الكتاب لقارئيه للحديث عن مثل هذه الهنات وتلك المعالجات بسد الخلل وإصلاح الزلل ، وعلينا ألا نترك تلك الدعوة ، وأن نقوم بتلبيتها للتحدث عما يمكن أن يكون وجهة نظر لا خللا ولا زللا عافانا اللّه منهما .

الاستطراد :

تجسدت عند الخليلي ظاهرة الاستطراد ، فقد كان أحيانا يخرج عما يتحدث فيه من الموضوعات ليتكلم في موضوعات أخرى ، وكان ذلك يتم بطريقتين :

الأولى : استطراد داخل علمي العروض والقافية .

الثانية : استطراد خارج العلمين .

(٧٠) مظهر الخافي (ب) ص٢٢٤

ففي الطريقة الأولى يخرج من الموضوع الذي يتحدث فيه إلى موضوع آخر داخل علمي العروض والقافية قبل اكتمال الموضوع الأول الذي يعود الى الحديث اليه مرة أخرى، أو أنه ينتقل من جزئية إلى أخرى في العلم نفسه قبل اكتمال الأولى لأدنى ملابسة ، ثم لا يلبث أن يعود الى الأولى مرة أخرى ، وقد تكرر ذلك في مظهر الخافي، ومثال ذلك عندما بدأ الكلام عن بحر الهزج أشار الى الدائرة التي يخرج منها هذا البحر (دائرة المشتبه) ، لكنه ترك بحر الهزج –وهو الهدف الرئيسي في الحديث– وجنح إلى حديث الخزرجي عن الدوائر ، وكيفية ترتيبه لها ، وما تحتويه كل دائرة ، وتفصيلات الدوائر ، واستمر ثلاث صفحات في حديثه عن الدوائر ، ثم عاد الى ما كان عليه ، مع ملاحظة أنه بعد ذلك أفرد لكل دائرة حديثا خاصا مرة أخرى ، وقد أحس الخليلي نفسه بهذا الخروج عما كان قد بدأ فيه ، فقال عند عودته إلى الحديث الأول «وقد خرجنا عن حد المقصود في هذا الموضع ، فلا بأس لأجل الفائدة ، ولنرجع هنا إن شاء اللّه إلى ما كنا بصدد ذكره» (٧١)

ومن الجيد أنه كان يلاحظ نفسه في هذا الخروج فلا يتمادى فيه ، ويعود الى ما كان عليه في بادىء الأمر ، ولعل ما جعلنا نتوقف أمام ما فعله الآن أنه ذكر الدوائر مرة أخرى عندما تكلم عن كل دائرة على حدة ، وبهذا يعد قد ذكر الدوائر في موضعين ، والمرة الأولى في حالة الاستطراد .

أما النوع الثاني من نوعي الاستطراد لدى «الخليلي» وهو أن يترك الموضوع الأصلي الذي يتحدث فيه ويتحول الى موضوع آخر خارج علمي العروض والقافية لأدنى ملابسة ، ومثال ذلك عند تناوله لبيت المنظومة التالي :

فذات طي وكشف أطولها أو مثلها اذكر أو اصلم غير منعذل

فبعد أن شرح المقصود عروضيا من البيت أشار الى قوله (وقفا اطو) وأن من لا دراية له بالعربية سوف يتساءل عن معنى أن يكون الوقف مطويا ، فان الوقف هو حذف من الزحاف قائم بنفسه ، فلا يمكن فيه الطي ، وقال ان المقصود صاحب الوقف ، أي

---

(٧١) مظهر الخافي (أ) ص٨٣–٨٥

الجزء المتصف بالوقف فهو المطوي لا الوقف نفسه ، فهناك أوجه يخرج فيه النص على الصواب من أظهرها أنه يقدر له محذوف جائز حذفه قياسا ، وهو حذف المضاف وابقاء المضاف اليه ، ثم استمر في حديثه ليتناول رأي علماء البديع في هذا النوع من الحذف وبماذا يسمى مستشهدا له من القرآن الكريم (٧٢) ، وأطال الكلام عن هذا الحديث الفرعي فظهر أن ذلك استطراد عند الخليلي .

وكما فعل مع علماء البديع في عرض آرائهم فعل مع علماء النحو عندما تناول البيت التالي بالشرح حيث يقول :

وذات جـزء وصـح صـل بـجـزئـهـم　　　تـرفـيـل خبن مـذالا صـحـة تصـل

فعندما أراد أن يشرح هذا البيت من المنظومة ، تكلم عن سبب نصب الكلمات (ترفيل ، مذال ، صحة) وأرجع السبب إلى المصدر (جزء) بفتح الجيم واستشهد لذلك بقوله تعالى (رحمة ربك عبده) (٧٣) ثم استمر في التمثيل والاستشهاد واعراب البيت بما يزيد عن صفحة ، وعندما أحس بهذا الاستطراد قال «وقد أطلنا لك القول في هذا المقام لتفهم معنى الكلام خوفا من اللبس» (٧٤) ، ومثل ذلك قد فعله في بداية الكلام عن بحر المنسرح، فقد تناول قضايا صرفية ، وأخرى نحوية عند شرح أول بيت يتحدث عن هذا البحر من المنظومة ، واستمر الحديث صرفيا ونحويا بما يزيد عن صفحتين (٧٥)

ويبدو أن الخليلي كان يصنع ذلك عن قصد وارادة لأسباب نستطيع حصرها فيما يلي :

(أ) كان الخليلي يمتلك المعلومات الوفيرة المتنوعة ويريد تقديمها وكأنه لا يريد أن يبخل بها على القارىء ، مادام يحس انها تخدم القضية التي يتحدث فيها .

(ب) إزالة لبس أو غموض يمكن أن يوجد ولو حتى على سبيل الاحتمال أو ايضاح معنى يعتقد أنه غامض على القارىء .

---

(٧٢) مظهر الخافي (أ) ص١٠٢

(٧٣) سورة مريم آية ٢

(٧٤) مظهر الخافي (أ) ص١٣٥

(٧٥) مظهر الخافي ص١٠٩–١١١

(جـ) كان يضع القارىء في ذهنه بشكل مجسد ، وخاصة المتعلمين العاديين الذين يحتاجون إلى الرفق بهم سهولة وايضاحا .

وفي غالب الأحوال كان يحس بالاستطراد فيقدم تعلة لذلك الخروج ، واذا كانت تلك ملاحظة على منهجه فقد عرضنا لمبرراتها ، والخليلي نفسه كان يشير–أحيانا– بقوله لا بأس لأجل الفائدة .

الشيخ سعيد بن خلفان

بـلاغـيـاً

الدكتور / السعيد الباز

كلية الآداب – جامعة السلطان قابوس

قسم اللغة العربية

مفهوم «البديع» في البلاغة العربية :

تدور كلمة (بديع) في معناها اللغوي المعجمي حول «الجديد والطريف والمخترع» ولا تكاد تخرج هذه الكلمة عن المعاني السابقة في النصوص الشعرية والنثرية التي وردت فيها .

وإن الألى حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد

هم ساعد الدهر الذي يتقى به ... وما خير كف لا تنوء بساعد

يقول : «قوله (هم ساعد الدهر) إنما هو مثل ، وهو الذي تسميه الرواة البديع . وقد قال الراعي :

هم كاهل الدهر الذي يتقى به ... ومنكبه إن كان للدهر منكب

والبديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل لسان [1] .

ويلاحظ من نص الجاحظ السابق أن مصطلح (البديع) كان يطلق على مجموعة من الأساليب الفنية الطريفة ، التي تكسب الكلام جمالا ؛ فمدلول (البديع) إذن كان مدلولا عاما يتسع ليشمل التشبيه والاستعارة وكل ما فيه طرافة . كما يلاحظ أنه لم يكن أول من أطلق هذا المصطلح على تلك الأساليب أو العناصر الفنية ؛ إذ إنه ينسب ذلك الى الرواة .

ويظهر أول كتاب يحمل اسم (البديع) لعبد اللّه بن المعتز (ت ٢٩٦هـ) وقد حرص صاحبه على أن يبين الباعث الذي حفزه إلى تأليف هذا الكتاب ، يقول : «قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة ، وأحاديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وكلام الصحابة ، والأعراب ، وغيرهم ، وأشعار المتقدمين—من الكلام الذي سماه المحدثون (البديع) ، ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس ، ومن تقيلهم وسلك سبيلهم ، لم

---

(١) البيان والتبيين ج١ ص٥٤—٥٥

يسبقوا إلى هذا الفن ، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف زمانهم ، حتى سمي بهذا الاسم ، فأعرب عنه ودل عليه» [٢] .

فالكتاب-كما هو واضح-قد بني على موقف من قضية نقدية هامة ، أثيرت في القرن الثالث الهجري ، عندما قام جماعة من الشعراء أغلبهم من أصل غير عربي ، ووجهوا عنايتهم الى الصياغة الشعرية وأشكال التعبير الفني ، ولم تخل نزعتهم هذه من روح عدائية تجاه ما عرف بـ (عمود الشعر) ، ونجم عن ذلك خلاف طويل عرف في تاريخ النقد الأدبي باسم (الخصومة بين القدماء والمحدثين) .

وكأننا بابن المعتز يريد أن يثبت أصالة هذا الاتجاه (البديع) ، وارتداده الى جذور عربية في القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكلام الصحابة ، وأشعار المتقدمين .

وما يزال المصطلح عاما يشمل : الاستعارة والكناية والتشبيه وغيرها من عناصر الجمال في العمل الأدبي .

ويأتي بعد ذلك قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) وأبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) ، والآمدي (٣٧١هـ) والقاضي الجرحاني (٣٩٢هـ) وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) وكل منهم يسهم في تطوير مباحث هذا الفن ، والوصول به الى درجة من النضج والاكتمال ، مع استمرار النظرة السابقة الى (البديع)باعتباره مجموعة من الأدوات الفنية لها دورها الأساسي في تشكيل المعنى وتصويره .

وما أن نصل الى البلاغيين المتأخرين من أمثال السكاكي (٦٢٦هـ) والخطيب القزويني (٧٣٩هـ) حتى نجد الجو مهيأ للتقسيم والتفريع والحصر والتحديد ، والنظر الى (البديع) على أنه تابع ، وليس عنصرا أصيلا ، ومن ثم فان الصورة التي بدت للبديع عند هؤلاء المتأخرين اختلفت عنها لدى المتقدمين ممن ذكرناهم سابقا . ونشير-في هذا المقام-الى أبرز مظاهر الاختلاف :

-**استقلت صور (البديع)** عن غيرها من الصور والفنون البلاغية ، وأصبح يطلق عليها مصطلح (علم البديع) ، الذي يذيل علمي المعاني والبيان في نظر هؤلاء .

---

(٢) مقدمة كتاب البديع لابن المعتز .

- **أصبح دور (البديع)** مقصورا على مجرد التحسين والتزيين ، وفقد وظيفته في تشكيل المعنى وصوغه . وهذا ما ينص عليه صراحة ذلك التعريف السائد (للبديع) لدى هؤلاء البلاغيين ؛ فهو : «علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلاملمقتضى الحال ، ووضوح الدلالة» .

فالبديع يأتي بعد (رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال) وهو مجال (علم المعاني) ، وبعد (وضوح الدلالة على المعنى) وهو ميدان (علم البيان) .

-**كان تناول هؤلاء البلاغين** لصور البديع هو التناول المنطقي الذي يعنى بالتعريف والسيم والحصر ؛ فأصبح (البديع) معرضا لحشد من التقسيمات والمصطلحات التي لم يكن له عهد بالكثير منها .

- شاع الاهتمام (بعلم البديع) من بين علوم البلاغة الثلاثة ، وتنافس المؤلفون البلاغيون في التأليف فيه ، وفي جمع فنونه وصوره ، وتسابقوا الى اختراع هذه الفنون إذا لم تكن موجودة ، وتأليف أمثله لها بدل أن يستخلصوا ألوان البديع وصوره من النصوص الأدبية الرفيعة كما فعل أسلافهم ممن ألفوا في (البديع) منذ ابن المعتز وقدامه (٣) .

- وقد كان من نتائج ذلك أن : «نشأ في حقل التأليف البلاغي والأدبي ما يعرف (بالبديعيات) وهي قصائد كان مؤلفوها يضمنون كل بيت من أبياتها محسنا بديعيا أو أكثر . وقد تعددت هذه البديعيات وتنافس فيها الشعراء ، وحرص كل شاعر أن يحشد في بديعيته أكبر عدد ممكن من المحسنات (٤) . ونتوقف وقفة قصيرة عند هذا النوع من التأليف ، لنتحدث عن نشأته وتطوره .

البديعيات : نشأتها وتطورها :

لعله قد اتضح مما سبق شيوع الاهتمام بعلم البديع ، والتسابق الى اختراع أنواعه

(٣) أنظر : د. علي عشري . البلاغة العربية ص١٥١

(٤) أنظر : د. شوقي ضيف . البلاغة تطور وتاريخ ص٢٦٠ وما بعدها .

وفنونه ، وهذا كله كان مؤذنا بظهور فن شعري هدفه في المقام الأول : «تقعيد قواعد البلاغة بشكل عام ، وقواعد البديع وفنونه بوجه خاص» . وقد شهد القرن الثاني الهجري نشاطا كبيرا في التأليف في عام البلاغة ، وتمخض عن ولادة فن (البديعيات) [٥] .

والسؤال الذي يتبادر للذهن هو : متى نشأت البديعيات ؟ وعلى يد من الشعراء ولدت أول بديعية ؟ هذه المنظومة التي أطلقت عقال عشرات الشعراء فيما بعد لكي ينظموا في هذا الفن الجديد .

لقد اختلف مؤرخو البلاغة ودارسو الأدب في تحديد أول بديعية ، وبالتالي اختلفوا في أول بديعي سن للشعراء هذه السنة الأدبية [٦] .

ويمكن بلورة الآراء التي تناولت هذا الموضوع في اتجاهين اثنين :

الأول : ويمثله الدكتور زكي مبارك ؛ إذ «يعزو بشيء غير قليل من الجزم-نشوء أول بديعية إلى الشاعر ابن جابر الأندلسي ، ويربط نشوء البديعيات ببردة البوصيري (٦٩٦هـ) ويذكر أنه بعد موته بسنتين ولد أبو عبدالله محمد المعروف بابن جابر الأندلسي ، وكان ضريرا ، ولكن لم تمنعه تلك العاهة القاسية من الرحلة الى المشرق ، فدخل مصر والشام، واستوطن حلب . وقد افتتن ابن جابر بقصيدة البردة وظهر أثرها في شعره .. وقد شغل نفسه بمعارضة البردة ، ولكن أي معارضة ؟ لقد ابتكر فنا جديدا هو (البديعيات) ؛ وذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول ، ولكن كل بيت من أبياتها يشير الى فن من فنون البديع ومطلع هذه البديعية :

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم   وانثر له المدح وانشر أطيب الكلم

وقد رأى معاصرو ابن جابر قيمة هذا الفن الجديد ، فتقدم صديقه أبو جعفر الالبيري بشرح بديعيته ، واعترف له بالسبق ، إذ قال في مقدمة الشرح : (نادرة في فنها ، فريدة في حسنها ، تجني ثمار البلاغة من غصنها ، وتنهل سواكب الاجادة من مزنها ، لم ينسج على منوالها ، ولا سمحت قريحة بمثالها) [٧]

ويعدد بعد ابن جابر أسماء الشعراء الذين نسجوا على منواله في صنع (البديعيات)

---

(٥) أنظر : د. محمود الربداوي . ابن حجة الحموي شاعرا وناقدا ص ١٨٧

(٦) السابق نفسه .

(٧) المدائح النبوية ص١٦٨. وانظر د. محمود الربداوي : السابق ص١٨٨

فيقول : «وفي عصر ابن جابر وضع صفي الدين الحلي المتوفي سنة ٧٥٠هـ قصيدة سماها : (الكفاية البديعية في المدائح النبوية) ، وأنشأ عز الدين الموصلي المتوفي سنة ٧٨٩هـ بديعيته [٨] ... إلخ) .

وهناك اتجاه آخر [٩] يرى أن صفي الدين الحلي كان أسبق من ابن جابر في نظم أوائل البديعيات ؛ ولهذا الاتجاه حججه التي دفعته إلى تبني هذا الرأي وترجيحه .

ومنها : أن الحلي توفي سنة ٧٥٠هـ ، وتوفي ابن جابر سنة ٧٨٠هـ ، كما أن ابن حجة الحموي اعترف بأسبقية الحلي في عدة مواضع من خزانته [١٠] .

ومنها : أن الحلي لديه من مسوغات السبق في نظم (البديعيات) أكثر وأرجح مما لدى ابن جابر ؛ فالظروف التي أحاطت بتأليف الحلي لبديعيته تشبه ظروف البوصيري في تأليفه لبردته ، وتتمثل في الرؤيا التي راها في منامه بعد علة لازمته فهذه الرؤيا—من وجهة النظر هذه—تذكرنا فورا بمنام البوصيري ، وتقاضي الرسول المديح منه . ولا غرابة—والحالة هذه—أن ينشط الحلي بمعارضة البوصيري في قصيدة كقصيدته ما دامت دواعي النظم متشابهة . فلماذا لا يستريح الحلي من البحث عن بحر وقافية وموضوع لقصيدته ما دام يعيش التجربة نفسها التي عاشها البوصيري ([١١] ؟! .

يضاف الى ذلك «أن كل الذين نظموا بديعيات في القرن الثامن وهم الطليعة لنظم البديعيات كانوا يعارضون الحلي ، ولا يقولون انهم عارضوا ابن جابر الأندلسي ، مثل شهاب الدين أحمد العطار (٨٠٠هـ) له بديعية اسمها (الفتح الالي في مطارحة الحلي) وعارضه العلوي في بديعيته المسماة : (الجوهر الرفيع ووجه المعاني في معرفة أنواع

---

(٨) المدائح النبوية ص١٦٩. وانظر : ابن حجه شاعرا وناقدا ص١٨٨

(٩) ممن ذهب الى هذا الرأي .

– الدكتور جواد علوش في : (شعر صفي الدين الحلي) .

– الدكتور محمود الربداوي في ؛ (ابن حجة الحموي شاعرا وناقدا)

(١٠) د. جواد علوش : السابق ص١٢٦ . وأنظر : الريداوي : السابق ص١٨٨

(١١) د. الربداوي : السابق ص١٨٨ حيث يذكر أن الحلي صرح في مقدمة شرحه لبديعيته بأنه اعتزم على تأليف كتاب في البلاغة ، مسايرا بذلك الحركة الناشطة في التأليف البلاغي في عصره، لولا أن علة لازمته ، فعدل عن تأليف كتاب في البلاغة الى تأليف منظومة يجعلها بمثابة كتاب لقواعد فن البديع .

البديع) فتصدى مثل هؤلاء المعاصرين تقريبا للمعارضة إقراراً منهم بأن الحلي فاتح باب هذا الفن[١٢] » .

على أن هناك من أصحاب هذا الاتجاه السابق من حاول أن يرتد «بالبديعيات» - في نشأتها وابتكارها - الى القرن السابع الهجري ، متلمسا لها جذورا عند الاربلي [١٣] (٦٧٠هـ) : فقد وجد في ترجمة هذا الشاعر قصيدة لامية ، نظم فيها جملة من أنواع البديع ، وضمَّن كل بيت منها نوعا منه - أولها الجناس التام والمطرف . وهو :

بعض هذا الدلال والإدلال حال بالهجر والتجنب حالي

ثم يقول :

جرت إذ جرت ربع قلبي وإذلالي صبراً ، وأكثرت من إذلالي

والقصيدة لامية غزلية ، عدد أبياتها ستة وثلاثون بيتا ، وهي ليست في مديح الرسول الكريم ؛

«وفكرة نظم أمثلة البديع يمكن أن يكون الاربلي المذكور هو أبا عذرتها ، وان لم يتقيد ببعض الشروط ، التي أصبحت فيما بعد ملازمة للبديعيات ، كالبحر البسيط والقافية الميمية ومدح الرسول [١٤] » .

وعلى أية حال فقد انطلق الشعراء ينظمون في هذا الفن ، محاولا كل منهم أن يحوز قصب السبق في هذا الميدان . وقد كثرت هذه البديعيات كثرة لافتة ، «أحصى منها الدكتور أحمد ابراهيم موسى في كتابه (الصبغ البديعي في اللغة العربية) أربعا وأربعين، منها ما هو مشروح ، ومنها ما هو مجرد ، ومنها ما هو مطبوع ، ومنها ما هو مخطوط [١٥] » .

وتتفق (البديعيات) في عدة أمور :

أولها : أنها تتخذ من مديح الرسول صلى الله عليه وسلم موضوعا لها .

ثانيها : يختار الشاعر لبديعيته البحر البسيط .

---

(١٢) السابق : ص١٩٠-١٩١

(١٣) هو الشيخ علي بن عثمان بن علي بن سليمان أمير الدين السليماني الإربلي الصوفي الشاعر ، توفي بالفيوم سنة ٦٧٠هـ - راجع : «فوات الوفيات» جـ١ ص١١٨ وما بعدها .

(١٤) ابن حجة شاعرا وناقدا ص١٩٠

(١٥) نقلا عن الدكتور أحمد مطلوب : مناهج بلاغية ص٣٢٤

ثالثها : القافية ميمية .

رابعها : يضمن كل بيت فيها نوعا من أنواع البديع ، وقد يصرح باسم هذا النوع ، وقد لا يصرح . وتتجلى هذه الخصائص من ملاحظة التطور الذي أصابها على يد الرعيل الأول من الناظمين فيها ، فصفي الدين الحلي سمى بديعيته (الكافية البديعية في المدائح النبوية) ، ولم يلتزم تسمية النوع فيها ، وقد بلغت أبيات البديعية (١٤٥) بيتا مبينا فيه (١٥١) نوعا من أنواع البديع ثم شرحها بشرح سماه (النتائج الإلهية) ، وهو شرح موجز ، يورد البيت من البديعية ، ويثني بشرحه وإيراد الشواهد عليه [١٦] .

ومطلع البديعية :

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم واقر السلام على عرب بذي سلم

وأما بديعية ابن جابر فسماها : (الحلة السيرا في مدح خير الورى) . وقد قال عنها السيوطي :

«إن نظمها عال ، ولكنه أخل بذكر أنواع من البديع كثيرة جدا [١٧] » . وعدد أبياتها (١٢٧) بيتا ، ويبدو أن لهذه البديعية شرحين : أحدهما للناظم ، والآخر لأبي جعفر الرعيني الغرناطي المتوفي سنة ٧٧٩هـ رفيق ابن جابر ، وقد سمى شرحه (طراز الحلة وشفاء الغلة) [١٨] .

ومطلع هذه البديعية (وقد سبق) :

بطيبة أنزل ويمم سيد الأمم وانثر له المدح وانشر أطيب الكلم

فاذا تجاوزنا البديعتين الأوليين : بديعية الحلي وبديعية ابن جابر ، وسرنا مع تطور شكل البديعيات ألفينا ثمة شيئا جديدا قد حصل فيها ، وكان السابق اليه في هذه المرة عز الدين الموصلي [١٩] ، وهو التزام الشاعر بذكر اسم النوع البديعي في بيت البديعية .

واستمرت الظاهرة القديمة وهي أن ينظم الشاعر البديعية ، ويمنحها الاسم ، ثم يثني عليها بالشرح أو يشرحها غيره ، ويسمى هذا الشرح اسما جديدا ، فالحلي سمى بديعيته (الكافية البديعية في المدائح النبوية) وشرحها هو ، وسمى شرحه (النتائج الإلهية) ، وابن جابر سمى بديعيته (الحلة السيرا في مدح خير الورى) ، وشرحها أبو جعفر ، وسمى

(١٦) الربداوي : السابق ص ١٩١ بتصرف

(١٧) وجه الأخلال أنه لم يستوف الأنواع البلاغية كلها بل أخل بنحو سبعين نوعا من الأنواع .

(١٨) السابق نفسه .

(١٩) ت ٧٨٩ هـ .

شرحه (طراز الحلة وشفاء الغلة)، وجاء الموصلي فنظم بديعية وشرحها، وسمي شرحه (التوصل بالبديع إلى التوسل بالشفيع)؛ ثم تلاه ابن حجة [٢٠] فنظم بديعية وشرحها وسمى شرحه (تقديم أبي بكر) [٢١]».

هذا، ومطلع بديعية عز الدين الموصلي:

براعة تستهل الدمع في العلم　　عبارة عن نداء المفرد العلم

ففي قوله (براعة تستهل) إشارة الى (براعة الاستهلال).

أما بديعية ابن حجه الحموي فمطلعها:

لي في ابتداء مدحكم يا عرب ذي سلم　　براعة تستهل الدمع في العلم

وقد جاءت شروح البديعيات معرضا من معارض الثقافة العامة؛ إذ يتخذ الشاعر شرح بديعيته لعرض ثقافته الأدبية، ومحفوظاته من الشعر والنثر والقرآن والحديث، كما يتخذها مجالا لاظهار البراعة في استبعاد بعض الآراء وتقريب بعضها الآخر، غير ناس أن يدلل بين الحين والحين على الجانب الآخر من ثقافته الأدبية باستعراض نماذج من شعره ومقارنتها مع مثيلاتها من الشعر المشابه؛ فلذا زخرت شروح البديعيات بالشعر والنثر وتخريج الآراء البلاغية، ومناقشة أحكام السابقين من النظام، ونقد ما قدموه من شعر وآراء بلاغية [٢٢].

ولعل شرح ابن حجة الحموي المسمى بـ(تقديم أبي بكر) من أبرز هذه الشروح، وأوفاها وفيه حاول صاحبه أن يثبت تفوقه على من سبقه في هذا المضمار. «لقد نظر ابن حجة في البديعيات الثلاث التي سبقته فلم تعجبه، وقال في وصفها: (بيد اني أقول وبالله المستعان إن العميان اختصروا جانبا كبيرا من البديع، وما أجادوا النظم فيما وقع اختيارهم عليه؛ والشيخ صفي الدين الحلي أجاد في الغالب لخلاصه من التورية في تسمية النوع، ولكنه قصر في مواضع نبهت عليها في مظانها؛ والشيخ عز الدين- رحمه الله-قصر في غالب بديعيته، لالتزامه بتسمية النوع البديعي ومراعاة التورية، والبحث مقرر مع كل منهم في اجادته وتقصيره عند ايراد بيته على ذلك النوع الوارد»

فعندما قرأ هذه البديعيات و لم تعجبه شمر عن ساعد الجد، وبرز للمعارضة، وأخذ على نفسه أن ينظم بديعية تبز كل هذه البديعيات، وقد دفعه إلى المضي في هذا

---

(٢٠) (٢١) السابق ص١٩٢

(٢٢) السابق ص١٩٣

المضمار صديقه ناصر الدين البارزي الذي وقف في دمشق على بديعية عز الدين الموصلي ، ورسم له فخطط معارضتها [٢٣] ...»؛ ومن ثم كانت بديعيته وشرحه المذكور سابقا .

وعلى هذا الشرح اعتمد الشيخ سعيد بن خلفان في تأليفه لمخطوطته ، التي سماها (سمط الجوهر الرفيع في علم البديع) .

وصف المخطوطة :

وردت المخطوطة في ١٢٩ مائة وتسع وعشرين صفحة من الحجم الكبير ما عدا الفهرس وفي نهاية المخطوطة توجد العبارة الآتية : «تم نسخ الكتاب بقلم سالم بن سعيد بن حمود بن سعيد الغاوي» .

وتطالعنا المخطوطة -بعد التسمية- بحمد اللّه والصلاة والسلام على رسوله المصطفى وآله وأصحابه ومن تمسك بحبلهم المتين ؛ وقد قدم المؤلف هذا في بضعة أسطر لا تتجاوز الأربعة ، لينتقل الى السبب الذي كان وراء عمله هذا ، والنهج الذي انتهجه ، والتسمية التي اختارها .

وقد قدم كل فن تحت عنوان : (فصل الجناس المركب والمطلق) . (فصل في الملفق). (فصل الجناس المعنوي) . (فصل الايجاز) ... إلخ . ما عدا الفن الأول فلم يعرف له عنوانا، وانما بدأ الكلام مباشرة بقوله : (قال ابن حجة) . وإضافة كلمة (فصل) إلى العنوان تميز هذا العمل عن (تقديم أبي بكر) أو ما سمي (بخزانة الأدب) ؛ إذ يرد العنوان غير مقترن بكلمة (فصل) .

والمخطوطة تسير وفقا لعمل ابن حجة في (تقديمه) فتورد الألوان البلاغية بالترتيب الذي وردت عليه في (التقديم) . وطبيعي أن يلتزم كلا العملين هذا الترتيب ؛ إذ هو الترتيب الموجود في (البديعيات) كما نظمها أصحابها . فالترتيب هنا أو هناك لا ينم عن اجتهاد من هذا أو ذاك ، كما انه لا يدل على فلسفة كامنة وراء ايراده بهذه الصورة .

---

(٢٣) الربداوي . السابق ص١٩٥-١٩٦ وما به من مصادر .

وعادة ما يبدأ بعد العنوان مباشرة بابن حجة فيذكر عبارة : (قال ابن حجة) أو (ابن حجة) بدون كلمة (قال) ، أو : (قال تقي الدين الحموي) ، أو (قال الشيخ ابن حجة) ، أو (بيت ابن حجة) أو : (قال ابن حجة الحموي القادري) ، أو (قال الشيخ الحموي ابن حجة القادري) أو نحو ذلك ، ويورد بيته المشتمل على اللون البلاغي ، متبعا ذلك ايراد ما يتصل بهذا اللون من تعريف وتقسيم وشواهد وما إلى ذلك ، مستمدا من شرح ابن حجة في كثير من الأحيان ، ثم يورد بعد ذلك أبيات البديعيات الأخرى التي تتناول اللون البلاغي نفسه ، مناقشا ما احتاج الموقف الى مناقشة .

وهو في عرضه لهذا اللون البلاغي أو ذاك يذكر أحيانا عبارة تنبيء أن الكلام لابن حجة ؛ كأن يذكر عبارة : (قال الشيخ) ، أو : (قال ابن حجة) ، وفي أحيان كثيرة لا يذكر شيئا من ذلك ، اعتمادا على فطنة القارىء وسياق الكلام .

والشيخ سعيد بن خلفان ليس مجرد عارض أو ناقل ؛ وانما تتبدى شخصيته واضحة في اختياره لنهجه الذي اتبعه ، وفي اختياراته ومناقشاته ، وإبداء وجهات نظره المعللة. وسنعرض فيما بعد لبعض الشواهد التي تدعم ذلك .

النهج الذي اتبعه ابن خلفان في مخطوطته :

تحدث «ابن خلفان» عن الدافع الذي دفعه إلى كتابة هذه المخطوطة ، والنهج الذي اتبعه فيها فقال :

«إنه قد سألني بعض الأصحاب أن أكتب له في علم البديع نبذة موجزة ، ولكنها بحل معانيه المفيدة منجزة ، فأجبته الى ما أراد ، وانتخبت له خلاصة المراد . ولكنني سلكت في هذه المحجة معتمدا على بديعية الشيخ ابن حجة ، والتقطت له هذا السمط الوجيز من شرحها البسيط المجيز . فتارة أكتب المعنى بلفظه ، وطورا أميل عن نص كلامه لرفضه، فأتيت منه ما يستوجب أن به يعتنى ، وأهملت منه ما عنه كفاية وبدونه غنى ، وأضفت اليه التنبيه والتوضيح والمزيد لمعنى حسن صالح صحيح ، وكتبت بعدها البديعيات الثلاث كما ذكرها ، وزدت رابعة أخرى نظم السيوطي [٢٤] دررها . وسميت هذا التأليف الشريف : (سمط الجوهر الرفيع في علم البديع) .

والحمد لله الذي بذكره حسن لنا الابتداء والختام ، وعلى رسول الله أفضل الصلاة

---

(٢٤) ت ٩١١هـ

والسلام . وهذه منظومة الشيخ العلامة فريد دهره ووحيد عصره أبي المحاسن تقي الدين أبي بكر ابن حجة الحنفي القادري الحموي ، منشىء دواوين الانشا الشريف بالديار المصرية والممالك الاسلامية . وقد سمى منظومته هذه (تقديم أبي بكر) وهي كما ترى :

قال ابن حجة :

لي في ابتداء مدحكم يا عرب ذي سلم براعة تستهل الدمع في العلم[٢٥]

من النص السابق يتبدى لنا أن هناك سببا مباشرا لتأليفه هذه المخطوطة ، يتمثل في الاستجابة لرغبة بعض الأصحاب أن يكتب له في «علم البديع» نبذة موجزة ، بحل معانيه المفيدة منجزة . ويبدو أن هذا السبب التقى بدافع يكمن في أعماق شيخنا ، ويستكن في فؤاده ، ويتمثل في رغبته تقديم عمل مختار منتخب يضم صورة وافية لما انتهى اليه فن البديع . وقد اعتمد في عمله هذا على بديعية الشيخ ابن حجة ، والتقط (هذا السمط الوجيز من شرحها البسيط المجيز) .

وهو تارة يصرح بأنه يكتب المعنى بلفظه ، أي ينقل النص نقلا حرفيا من غير أن يبدل شيئا من لفظه أو معناه ؛ وطورا يميل عن نص كلامه لرفضه له ؛ ذلك أنه منه (ما يستوجب أن به يعتنى) ومنه (ما عنه كفاية ودونه غنى) .

ثم أضاف الى ذلك كله (التنبيه والتوضيح) ، (والمزيد لمعنى حسن صالح صحيح) .

ولما كان (تقديم أبي بكر) قد ضم مع بديعية (ابن حجة) البديعيات الثلاث الأخرى لابن جابر الأندلسي ، والحلي والموصلي ، فان الشيخ سعيد بن خلفان قد كتب أيضا بعد بديعية ابن حجة هذه البديعيات الثلاث كما ذكرها ابن حجة ، ثم يضيف رابعة أخرى نظم السيوطي دررها ، وبهذا يضم عمله خمس بديعيات ؛ وقد سمى هذا التأليف الشريف (سمط الجوهر الرفيع في علم البديع) .

وإذا ما عرفنا أن مؤلف ابن حجة المسمى (تقديم أبي بكر) مطبوع في مجلدين كبيرين يقتربان في مجموعهما من ألف صفحة من الحجم الكبير ، واذا ما أخذنا في اعتبارنا البديعية التي زادها للسيوطي -أدركنا الجهد الفائق الذي بذله شيخنا في اخراجه لمخطوطته بهذه الصورة التي بين أيدينا .

---

(٢٥) ص٢ من المخطوطة .

وعلى سبيل المثال لا الحصر فصل (كالتورية) يستغرق عند ابن حجة في المجلد الثاني من صفحة ٣٩ الى صفحة ٢٥١ ، أي أكثر من مائتي صفحة ، وقد عرضه الشيخ ابن خلفان فيما لا يتجاوز أربع صفحات ، مستوفيا تسمياتها المتعددة ، ومفهومها ، وأقسامها مع الاستشهاد لكل قسم بشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر ، ومع الاشارة إلى من أغفلها في بديعيته كالموصلي والسيوطي ؛ ومع ترجيح أن (التورية) هي (الايهام) ، ولكن أهل البديعيات اعتمدوا على إفراده عنها ، ومن ثم فسيذكره-أي الايهام-إن شاء الله في موضعه هنالك تبعا لهم .

قد يقول قائل : إن هذه الطريقة التي سلكها ابن خلفان قد تكون على حساب اللون البلاغي أو البديعي ، الأمر الذي يمكن أن ينال من عمله ويجعله مشوبا بالاخلال أو النقص .

والاجابة عن مثل هذا القول ينبغي أن تحتكم الى العمل نفسه والى العرض الموجز الذي قدمه الشيخ ابن خلفان ، وستجد-إن فعلت-أنه كان أمينا في عمله ، وفيا بما أعلنه في نهجه .نعم ، لا غنى للأديب ولقارىء التراث العربي بعامة على أن يعود الى الأصل ليغترف من ما شاء له أن يغترف ، ويتزود مما حواه من أشعار وأخبار متخيرة تدور حول هذا الفن (التورية) نشأته وتطوره وأبرز من برعوا فيه ، والتنافس القوي بين شعراء عصر ابن حجة ، ونماذج من شعره هو ... الى آخر ما حواه (التقديم) ؛ ومع ذلك فورود هذا الفن البديعي بالصورة التي عليها في مخطوطة ابن خلفان محقق للغرض ومغن عن الرجوع الى المطولات والمصادر .

هناك-إذن-جهد واضح من الشيخ ابن خلفان يتمثل في القراءة الواعية في مجال البلاغة بوجه عام ، والبديعيات بوجه خاص ؛ وفي الانتقاء والاختيار والقصد إلى تقديم عمل موجز مفيد يغني قارئه عن الرجوع الى كثير من المصادر القديمة في التراث البلاغي والنقدي . وظل (تقديم أبي بكر) باعتراف ابن خلفان نفسه-الأصل الذي يستمد منه ، والمحور الذي تلتف من حوله الآراء وتلتقي .

الفنون البلاغية التي حوتها المخطوطة :

تضم المخطوطة الفنون البلاغية التي نظمت شعرا في (البديعيات) المتناولة ، والمشار اليها فيما سبق ، وتصل ال« ١٣٦ فنا إذا اعتبرنا (الجناس) بأقسامه نوعا واحدا ؛

ولكن بعض الدارسين قد ينظر الى هذه الأقسام على أنها أنواع منفصلة مستقلة؛ ومن ثم يكون عدد هذه الفنون ١٤٧ فنا أو لونا .

ومن الملاحظ أنها بدأت بما يسمى (براعة الاستهلال) ، وختمت بما يسمى (حسن الختام) ، وبين براعة الاستهلال وحسن الختام ينتقل المؤلف من لون الى لون ، فيعرض لهذه الفنون التي تسهم في تشكيل العمل الأدبي ، وتقديمه في صورة فنية جميلة ، سواء أكانت هذه الفنون من صميم مباحث علم البديع ، أم كانت تندرج تحت ظلال علم البيان، أم كانت تشكل جزءا من علم المعاني ، أم كانت تمثل صفات من الجودة لا غنى عنها لكل أديب .

وهذا يجعلنا نقول : إن مفهوم (البديعيات) هنا مفهوم عام وشامل ، ولا يقتصر على تلك الألوان البلاغية التي تندرج تحت علم (البديع) كما عرف عند البلاغيين المتأخرين من أمثال السكاكي ومن نهج نهجه . وكأننا به —بهذا الشمول والعموم— يرتد مرة أخرى إلى سابق عهده في تلك الفترة التي كان فيها مصطلحا عاما يشمل فنون البلاغة كلها . تلك الفترة التي شهدت أعلاما في مجال البلاغة والنقد الأدبي من أمثال : الجاحظ وابن المعتز وقدامة وابي هلال ، والآمدي ، والقاضي الجرجاني ، وعبد القاهر ، وغيرهم .

لن نعجب —إذن— إذا ما وجهنا بألوان تتخذ أسماء : (الجناس) . (الاستطراد) . (المقابلة) . (الالتفات) . (الطي والنشر) . (المطابقة) . (الايهام) . (التتميم) . (مراعاة النظير) . (التورية) . (الاعتراض) ... إلى غير ذلك من الألوان التي تدرس تحت (علم البديع) .

ولن ندهش إذا ما التقينا بفنون أخرى تأخذ عناوين : (الاستعارة) . (التمثيل) . (التشبيه) . (الكناية) . (المجاز) . وكلها تندرج تحت (علم البيان) .

كما لن تفاجأ إذا ما قرأنا فصولا عن : (الإيجاز) . (الحذف) . (المساواة) . (ائتلاف اللفظ مع المعنى) ... إلى غير ذلك من الألوان التي تدخل في اطار (علم المعاني) .

وأخيرا ؛ لن نشعر بالغرابة اذا ما وجدنا أبوابا لا تمت بصلة إلى علوم البلاغة الثلاثة السابقة ، وانما تمثل صفات أساسية ينبغي أن تتحقق في كل من ينشىء أدبا ، حتى تتم له الخصوصية ويتحقق له التفرد . مثل الفصل المعقود لـ(التهذيب والتأديب) ولـ(حسن البيان) والحق ان هذا الجانب أدخل في باب (النقد) منه الى البلاغة . ومن المعروف أنهذين

الجانبين يتداخلان ويرتبط بعضهما ببعض برباط وثيق لا انفصام له .
وما يهمنا-في هذا المقام-أن نشير الى أن الشيخ ابن خلفان لم يكن بلاغيا فحسب ، بل كان ناقدا أيضا ، فمثله بذوقه وثقافته لا بد وأن يمتلك من الحس الأصيل والنظرة الفاحصة المدققة ما يمكنه من مواجهة النص الأدبي وكشف أسراره .

ومن هنا كان ابن خلفان في مواطن كثيرة يتوقف ليدرس ويوازن ويرجح ، وهو في هذا كله يتسلح بعدة الناقد وأدواته الأساسية المتمثلة في ذوقه وثقافته وخبرته الواسعة بالنصوص .

وعلى سبيل المثال يتوقف ابن خلفان عند البيت الأول في البديعيات المعبر به عن (براعة الاستهلال) ، وقد ذكرنا بيت ابن حجة سابقا ، وبعد أن يورد ما قدمه ابن حجة من شرح ومناقشة حول هذا اللون البلاغي ومدى تحققه في الأبيات الأخرى من البديعيات أو عدم تحققه-يلاحظ أن «ابن حجة التزم ذكر البديعيات في كل نوع من أنواع البديع الا في المطلع ، فانه أغفل بيت شيخه عز الدين الموصلي ؛ لأنه سلخه وملخه لفظا ومعنى . والبيت المشار اليه هو قوله :

براعة تستهل الدمع في العلم   عبارة عن نداء المفرد العلم[26]

ثم يورد أول البديعية السيوطية :

من العقيق ومن تذكار ذي سلم   براعة العين في استهلالها بدم

وبعد أن يذكر طبيعة التغزل والتشبيب في قصيدة المديح النبوي ، وارتباطه بالأماكن الحجازية كالعقيق وذي سلم وكاظمة والنقا وسلع ونحوها-وهي في هذا كله يعتمد على ابن حجة-يقول : ان السيوطي«أحسن التورية في التسمية ، حيث جعل براعة العين في استهلالها البكاء بالدم بدل الدمع ، مع اكثار ذكرها للعقيق وبكائها حتى غلبت الحمرة على الدمع مجانسة للعقيق» .

ثم يعقب على ذلك بقوله : «وانظر الفرق بينه وبين قول ابن حجة ، مع أخذه بيت شيخه الموصلي » [27]

فهو هنا يتوقف ليدرس ويوازن ، ولا يفوته اغفال ابن حجة لبيت شيخه ، ويصل الى السر في هذا الاغفال ، ثم يقدم بيت السيوطي ، ويفضله على بيت ابن حجة ،

(٢٦) ص٤ من المخطوطة .

(٢٧) السابق نفسه .

معللا لذلك ، راجعا إلى ما يضمه البيتان من معان ، وطريقة التعبير في كل منهما .

هذه الوقفات النقدية كثيرة في مخطوطة ابن خلفان . وقد ذكرنا من قبل أن هناك فصولا بأكملها من صميم النقد الأدبي وأوضح مثال على ذلك (فصل التهذيب والتأديب) فبعد أن يذكر بيت ابن حجة :

تـهـذيب تـأديـبـه قـد زاده عـظـمـا   في مـهـده وهـو طـفـل غير مـنـفـطـم

يقول : «ولا شاهد لنوع التهذيب والتأديب يخصه) لأنه وصف عام لكل كلام منقح محرر ، وردد النظر في إحكامه حتى لم يبق فيه مجال لجائل ولا مقال لقائل . وكل ما قيل فيه لو وضع مكان هذه الكلمة غيرها ، أو لو تأخر هذا المتقدم ، أو بالعكس ، أو لحذفت هذه الكلمة ، أو لو تتم هذا النقص بكذا ، أو لو اتضح هذا المقصد وتسهل هذا المطلب لكان الكلام أحسن أو ما أشبه ذلك ، فان هذا لا يكون مهذبا» .

ويربط هذا النوع قديما بزهير بن أبي سلمى ، فقد كان معروفا عنه بالتهذيب وله قصائد تعرف بالحوليات ... فلا جرم أنه كان قليل السقط ، ويقدمه عمر بن الخطاب-رضي اللّه عنه-على سائر الفحول من طبقته» .

ثم ينقل وصية أبي تمام للبحتري لما قصده ، قال : «وكنت في حداثتي أروم الشعر وأرجع فيه الي طبع سليم ، و لم أكن قد وقفت له على تسهيل حتى قصدت أبا تمام ، فقال: يا أبا عبادة تخير الأوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم . واعلم أن العادة في الأوقات إذا أراد الإنسان تأليف شيء أو حفظه أن يختار وقت السحر ؛ وذلك أن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عنها ثقل الغذاء ، وصفا من أكثر الأبخرة والأدخنة جسم الهواء ، وسكنت الغمائم ، ورقت النسائم ، وتغنت الحمائم . وإذا شرعت في التأليف تغن بالشعر فإن الغناء مضماره الذي يجري فيه ....»[٢٨] .

وينتقل بعد ذلك لينقل كلاما لابن أبي الاصبع في هذا الصدد يقول فيه : «ينبغي لك أيها الراغب في العمل ، السائل عن أوضح السبل أن تحصل المعنى قبل الشروع في النظم، والقوافي قبل الأبيات ، ولا تكره الخاطر على وزن مخصوص وروي مقصود ، وتوخ الكلام الجزل دون الرذل ، والسهل دون الصعب ، والعذب دون المستكره ، والمستحسن

(٢٨) نص الوصية ص٦٥-٦٦ من المخطوطة .

دون المستهجن[٢٩] .

وبعد أن ينتهي من كلام ابن أبي الاصبع يورد عبارة : (انتهى والله اعلم) ؛ ثم يورد أبيات الشيخ صفي الدين الحلي ، وعز الدين الموصلي ، والسيوطي ، مفاضلا بين السيوطي وابن حجة ، مرجحا للسيوطي عليه ، معللا لذلك[٣٠] .

تعقيب :

لعله قد تبين لنا من العرض السابق ومدى ما بذله الشيخ ابن خلفان في إعداد مخطوطته ، ومدى ما قدمه من فكر بلاغي ونقدي . وتبقى لنا بعد ذلك وقفة قصيرة مع بعض الأمور التي ربما تنال من هذا العمل .

وفي مقدمة هذه الأمور اختلاط أقواله وآرائه بأقوال وآراء ابن حجة ، ففي كثير من الأحيان يحار القارىء ولا يتبين ما اذا كان الكلام الذي يطالعه كلام ابن حجة أو كلام الشيخ ابن خلفان . وكان من السهل على الشيخ أن ينهج في الكتابة نهجا ييسر السبيل لقارئه ، وينير معالم الطريق أمامه .

ثم تأتي متابعة الشيخ ابن خلفان لكل ما أورده ابن حجة من ألوان بلاغية نظمها أصحاب البديعيات ، وهي كثيرة جدا . وبعضها مكرر ، أو لا وزن له في ميزان البلاغة . ومع أن ابن خلفان نفسه قد فطن الى ذلك ، وأشار الى شيء من هذا ؛ فإنه قد آثر أن يسير في نفس الدرب ، ويسلك نفس الطريق .

---

(٢٩) راجع نص الكلام ص٦٦ من المخطوطة .

(٣٠) انظر ص٦٦–٦٧ من المخطوطة .

شاعرية المرحوم
سعيد بن خلفان الخليلي

الدكتور / عبد الحفيظ محمد حسن
كلية الآداب - جامعة السلطان قابوس
قسم اللغة العربية

شاركت عمان في إثراء الأدب ، والنهوض بالشعر في جنوب شرق الجزيرة العربية ، والخليج مشاركة جادة وعميقة ، كان لها أثر بارز منذ العصر الجاهلي . وظهر في عمان جمهرة من الشعراء المعدودين وعلماء اللغة والأدب ، ممن تركوا تراثا أصيلا كان شاهدا لهم على امتداد الحقب والأزمان .

بيد أن غالب هذا التراث الشعري واللغوي لم يزل مخطوطا يحتاج الى جهود مخلصة للكشف عنه وازاحة غبار الزمن عن جواهره .

ومن الشعراء المجيدين الذين ساهموا في النهضة الأدبية في عمان في العصر الحديث ذلك الشيخ المحقق العارف بالله سعيد بن خلفان الخليلي . ولدراسة جوانب شاعريته ينبغي التعرف على حياته والحياة الأدبية في عصره ، وأغراض شعره ثم دراسة الصورة عنده وأدوات تشكيلها :

أولا : (حيـــاته وعصـــره)

منذ ما يقارب قرنين من الزمان كان ميلاد العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي؛ فقد عاش بين عامي ١٢٣٦-١٢٨٧هـ ، وخلال خمسة عقود-أو تزيد قليلا-عاشها هذا الشيخ الرباني ، استطاع أن يلعب دورا رائدا في احياء الأدب العماني وبعثه من ضعفه الذي كان مسيطرا عليه ، ومن تستره وراء ألوان البديع وبعده عن روح الاصالة ، وغلبة الشكل الزخرفي على الصورة والفكرة .

واذا كان الشعر في ذلك الوقت قد غلب عليه طابع العصور الأدبية السابقة من السجع، والمحسنات المعنوية واللفظية فإنه مع ذلك لم يكن يخلو من اللمحات الفنية حينما كان الشعراء ينطلقون مع طبيعتهم دون التقيد بالمحسنات [1] .

ومع بداية القرن الميلادي التاسع عشر ظهرت الاتجاهات الفنية الأصيلة عند الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي ، ومن جاءوا بعده مثل (أبو مسلم) و (أبو وسيم) و (ابن شيخان)

---

(١) راجع : د. علي عبد الخالق علي-الشعر العماني(مقوماته واتجاهاته وخصائصه)-دار المعارف مصر ١٩٨٤ ص ٦٩-٧٦

و (الخليلي) وغيرهم . فقد خطا هؤلاء بالشعر خطوات ذات أثر فعال في نهضته وبعثه واحياء ديباجته .

والواقع ان هذه الفترة التي مر بها العالم العربي –مع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ومطلع القرن التاسع عشر –شهدت ظهور طائفة من الأدباء الذين رادوا حركة الاحياء والبعث للأدب العربي ،بل محاولة الاتصال بمنابعه الأولى في عصوره الزاهية ، ومحاولة اعادة القصيدة العربية الى قوة الصياغة التي عرفتها على يد البحتري وأبي تمام والمتنبي وأبي العلاء .

وليس غريبا أن يتزامن ظهور سعيد بن خلفان في عمان وريادته للنهضة الأدبية مع ظهور البارودي في مصر (١٨٣٩–١٧٠٤) ، مع فارق زمني قليل ، يجمعهم الاحساس بخطورة ما وصل اليه حال الأدب من ركود وضعف ، وخطورة ما يتعرض له العالم الإسلامي من غزو أوروبي عسكري وفكري ، لمصر والمغرب العربي ، وظهور الاستعمار البريطاني والفرنسي في الخليج العربي .

وإذا كان هذان الشاعران قد رادا بدايات النهضة ، فقد تألق بعدهم عدد من الشعراء في كلا البلدين ، وكان بينهم تواصل فكري وفني ، فكانت تلك المدرسة التي جددت شباب الشعر العربي حقا ؛ فمضت به خطوات أكبر ، وسارت في الطريق نفسه ، ولكنها أوغلت في سيرها حتى أصبح ابداعها تجديدا ، بحكم الثقافة التي كان عليها أصحابها، والمناخ الفكري والنفسي الذي تنفسه الشعراء أيامها .

كان سعيد بن خلفان الخليلي في عمان رائد ذلك الاتجاه الذي يطلق عليه الاتجاه المحافظ البياني ، وكان ازدهاره فيها على يد تلميذه (أبو مسلم الرواحي) ، و (أبو وسيم) و(ابن شيخان) و (عبدالله الخليلي) وكان أحمد شوقي في مصر (١٨٦٨–١٩٣٢) قمة هذه المدرسة التي ينتمي اليها حافظ ابراهيم ، واسماعيل صبري ، والشيخ محمد عبد المطلب ، وأحمد محرم وأحمد الكاشف وآخرون كثيرون [٢] .

نشأ سعيد بن خلفان نشأة دينية وتثقف ثقافة اسلامية ، وكان روحا عظيمة فانتصر على كل ألوان الخمول والدعة ، وعاد بالشعر الى منابعه الأولى الصافية ، خلصه من الجمود وأعاد اليه ديباجته الناصعة فكساه أسلوبا جزلا ، وأضفى عليه ديباجة بدوية ،

---

(٢) راجع : د. أحمد هيكل –تطور الأدب العربي الحديث في مصر –دار المعارف –مصر
د. الطاهر أحمد مكي –الشعر العربي المعاصر ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الرابعة ١٩٩٠ ص١٢–١١٥ .

واذا كان قد رجع الى القديم واختار روائعه يعارضها ، فقد تجاوز التقليد حين صاغ بعضا من تجاربه الخاصة وأحداث عصره من فتوحات امامية ، أو أحوال اجتماعه ، في شعر قوي ليس دونه شعر كبار شعراء العصر العباسي .

عوامل النهضة الأدبية :

١- المعارضات :

بدأت دلائل النهضة الأدبية بمحاولة سعيد بن خلفان -ومن جاء بعده- بعث الاتجاهات الفنية الأصلية البعيدة عن الزخرف في قصائدهم ، فرجعوا الى التراث العربي الأصيل عند فحول الشعراء مثل أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، وابن دريد ، وابن زيدون ؛ درسوا دواوينهم ، وتذوقوا أساليبهم ، وتأثروا بهم ، وصاروا يصدرون عنها في كثير من إنتاجهم ، يستلهمونه حينا ، فتأتي قصائدهم على روي سابقيهم ، ويعارضون حينا آخر ، حتى تمكنوا من بعث الروح الفنية في الأدب العربي .

وكان للمعارضات علاقة وثيقة بتأصيل الاتجاهات الفنية العميقة التي أعادت للشعر رونقه بهاءه بما أبرزت من صور فنية لها أثر قوي في هذا الجانب . كما كان لهذه المعارضات قيمة لغوية أثرت الأدب العماني بحيث أصبح يستمد مقوماته من الأصالة العربية ؛ ذلك أنهم فيما صدروا عنه من معارضات كانوا يتمثلون روائع الأدب بما حملت من ثروة لغوية أمكنها أن ترجع بالشعر إلى لغته القوية ، كما أصبح لتلك المعارضات -في أغراضها ، وطول نفسها ، وتعدد خصائصها- أثرها في تأصيل كثير من الاتجاهات المختلفة في الأدب العماني .

فالشيخ سعيد بن خلفان عارض امرأ القيس ، وعارض جميل بن معمر كذلك في قصيدته الغزلية الشهيرة :

ألا ليت أيام الصفاء جديد ودهرا تولى يا بثين يعود

عارضها الشيخ بقصيدته الرائعة «سموط الثناء» ومطلعها :

سموط ثناء في سموط فريد بكل لسان قد بشن وجيد

وهي في الثناء على اللّه -تعالى- ومدحه والتضرع اليه ، وعدد أبياتها (٨٤) بيتا ، قسمها الى مقدمة وسبعة فصول وخاتمة :

جعل المقدمة في إخلاص الشكر للّه والحمد والمدح والثناء للّه -تعالى- .

والفصل الأول في الاعتراف بالذنوب وطلب المغفرة.

- الفصل الثاني في إظهار الضعف وخلوه من الحول والقوة وقطعه الأمل والرجاء في سواه .

- الفصل الثالث في تنزيه اللّه سبحانه وتعالى عن رده وقطع مطامعه ، واعتراف بتقصيره في أعماله وأقواله وجهاده لإظهار دين اللّه ، و لم يبق له الا أن يتمسك بعروة ركن اللّه .

- الفصل الرابع في التحسر على ضياع سنن الاسلام وتعطيل الأحكام والتطلع الى من ينصر دين اللّه ويغيث الداعي إلى اللّه .

- الفصل الخامس في الدعاء على أعداء اللّه بقطع دابرهم واستئصال أولهم وآخرهم .

- الفصل السادس في الدعاء بإظهار دين اللّه على يد قائم بأمر مولاه .

- الفصل السابع في دعائه لنفسه .

- الخاتمة في سؤال الاجابة لهذه الدعوى المشتملة على تلك الأدعية المستطابة ، وبها ضرب بمسك الختام على أنيق هذا النظام (٣) .

يدل هذا التقسيم لأجزاء القصيدة وترتيب موضوعاتها على دقة بالغة وعقلية واعية ومنطقية في التقسيم والترتيب ؛ فالمقدمة تمهيد بإخلاص الشكر للّه ، ثم يبدأ بالاعتراف بالذنب ويظهر الضعف وينزه اللّه عن رده ، ثم ينتقل من المستوى الخاص إلى المستوى العام ، وهو التحسر على حال المسلمين ويتطلع الى منقذ يغيث الداعي الى اللّه ، ثم يدعو على أعداء اللّه وفي المقابل يدعو بإظهار دين اللّه . وفي النهاية يدعو لنفسه ، وتكون الخاتمة مقابلة للمقدمة في سؤال الاجابة عامة .

ولعله جعل فصولها تطلعا الى الكمال فالسماوات سبع والأراضون سبع ، وأيام الأسبوع سبع ... إلى غير ذلك . وهي قصيدة رائعة في الحب الإلهي جديرة أن تضعه في مصاف أئمة التصوف السني الايجابي مثل الامام جعفر الصادق (ت١٤٨هـ) والمحاسبي (ت٢٤٣هـ) والجنيد (ت٢٩٧هـ) ثم الامام الغزالي (ت٥٠٥هـ) .

وقد نالت هذه القصيدة بعض ما تجدر به ، فشرحها الشيخ العلامة جمعة بن خصيف -رحمه اللّه- شرحا يدل على علم وافر باللغة والنحو والصرف والبلاغة ، وهو

---

(٣) راجع : مقدمة الشيخ جمعة بن خصيف لشرحه للقصيدة -مخطوط .

- شرح جدير بالدراسة على مستويات علمية متعددة ، يقع في ٦٩ ورقة ، ومؤرخ في نهايته ٣ رمضان سنة ١٣١٥هـ . وخمسها الشيخ (أبو مسلم) ناصر بن سالم بن عديم الرواحي ، وخمس الى جانبها جوهرة ثانية من جملة ما أفاضه اللّه على شيخنا الجليل سعيد بن خلفان وهي قصيدته الميمية التي يقول فيها :

تقدم إلى باب الكريم مقدما ... له منك نفسا قبل أن تتقدما

وسماها أبو مسلم «ثمرات المعارف وطيبات العوارف» يقول في تعليل تلك التسمية: «ولا شك أنه اسم طابق مسماه ، فان هذه الجوهرة الثمينة لا تثمرها إلا المعارف ، ولا تثمر الا المعارف ، وهي أطيب عارفة أفاضها اللّه على عبد من عباده »[٤] .

خمس أبو مسلم (سموط الثناء) وهو يعترف بعجزه عن مجاراتها ؛ يقول في مقدمة تخميسه :

«لا جرم أني خدمت هذه القصيدة بتخميس ، وملء إهابي جهل وغفلة وفتور ، وما كان لي من حق أن أزج بنفسي في بحر من أبحر النور ، فاني أعترف من نفسي بقفر ماحل ، ومن حولي بالعجز عن العوم في هذا البحر بل عن مقاربة الساحل ، ولكن شرف العبد بوطء أثر أسياده ، واستئثار التبعية زاخرا في زاده . على أني أبرأ الى اللّه من مباراة أهله ، فلا يستهدف لهذا الخطر الا هالك ، مفتون بجهله . بيد اني قذفت بنفسي في هذا المرام ، تيقنا بأن لا يحرم من خدم الكرام ، ولهذا تطفلت بسوء الأدب على جليل هذا المقام »[٥] .

واذا كان أبو مسلم قد وجد حرجا في نفسه من تخميس قصيدة سعيد بن خلفان ، فإنه قد عارض (ابن دريد ٢٢٣-٣١٢هـ) في مقصورته التي أنشأها في مدح (آل ميكال)[٦] ، وتبلغ ٢٥٤ بيتا ، «وهي تمثل منهجا سامقا من الأدب ، وتعد من أحسن شعره وأجوده ،

---

(٤) أبو مسلم الرواحي ص٢٧٩ مخطوط

(٥) المرجع نفسه

(٦) عبداللّه بن ميكال وابنه أبو العباس اسماعيل ، وقد كان (المقتدر باللّه) الذي أصبح خليفة ٢٩٤هـ قد ولى عبد اللّه بن ميكال الأهواز فقصده (ابن دريد) مادحا بهذه المقصورة .

انظر : مقدمة ديوان شعر الامام أبي بكر بن دريد الأزدي بتحقيق السيد محمد بن الزين العلوي ، القاهرة ١٣٦٥هـ، ١٩٤٦ لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى .

ولها أهمية خاصة في الأدب »[٧] . ومطلعها :

يـا ظـبـيـة أشـبـه شـيءٍ بـالمهـا　　　　تـرعـى الخزامـى بين أشـجـار الـنـقـى

عارضها أبو مسلم بمقصورته التي بلغت ٢٣٥ بيتا ومطلعها :

تـلـك ربـوع الحي في سـفـح الـنـقـا　　　　تـلـوح كـالأخـلاق مـن جـد الـبـلـى

وليس التخميس كالمعارضات ، فالشاعر في المعارضة يعجب بقصيدة ويتأثر بها فينسج على منوالها عملا خاصا به مستقلا عن العمل الأول ، تبرز فيه شخصية الشاعر المعارض وفكره وفنه–أما التخميس فيعمد الشاعر فيه الى قصيدة أعجبته ويجعل كل بيت خمسة أشطر ، فيضيف ثلاثة أشطرمن انشائه في معنى البيت الأصلي لا يخرج عنه، فيكون العمل أشبه بالنظم منه بالشعر ، ويكون اللاحق فيه تابعا للسابق ، وعليه أن يجاريه في المعنى وفي مستوى الصياغة ، فكأنها مباراة يؤكد الشاعر فيها مقدرته اللغوية ، بل إن بعض النقاد عدها معوقا ومضعفا لهذه الحركة [٨] .

وقد عارض عبدالله الخليلي (ابن دريد) و (أبا مسلم) ، كما انه عارض (البحتري) و (شوقي) . هذا إلى جانب ما كان لهم من محاولات كثيرة يجارون فيها (البارودي) و (ابن زيدون) وغيرهما ، وقد حالفهم التوفيق إلى درجة كبيرة فيما انتهوا اليه .

٢–النشأة الدينية و الثقافية العربية المحضة :

نشأ الشيخ سعيد بن خلفان نشأة دينية ، تربى فيها على مائدة القرآن الكريم والحديث الشريف ، ودرس علوم الفقه واللغة والأدب ؛ ومن ثم برز دوره في مجال النهضة على أساس الدعوة الدينية ، ونبع مضمون شعره من قيم الاسلام ، نهل من فيضه ، واغتنى بمنهجه وأسلوبه ونماذجه ، واستمد منه عناصر الصدق والطهارة والقوة والدقة والأمانة ، واستشرف منه الغاية ، واغتنم الوسيلة ، سلاحه الكلمة الطيبة . ﴿ **ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، توتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون** ﴾[٩]

---

(٧) د. علي عبد الخالق –الشعر العماني ص٨٤

(٨) انظر : د. علي عبد الخالق–الشعر العماني ص١٠٣

(٩) ابراهيم ٢٤–٢٥

ومن خلال تلك النشأة الدينية نبغ كثير من الشعراء في السلوكيات ، والمدائح النبوية، والتصوف ، منهم (أبو مسلم) تلميذ شيخنا ، وخلفان بن جميل السيابي ، وعبداله بن علي الخليلي [١٠]

ثانيا : الأغراض الشعرية عنده :

مجموع قصائد الشيخ سعيد بن خلفان ١٣ قصيدة ، بالاضافة الى مقطوعة من خمسة أبيات نظمها في (ضبط الصواع بالوزن المعروف) . وهو شاعر مجيد ، تميز بطول النفس ؛ فقد بلغت احدى قصائده (٢٢٠) بيتا أو يزيد ، وهي بعنوان (المعراج لسالك المنهاج) ، وله ثلاث قصائد جاوزت كل منها المائة بيت ، وثماني قصائد تراوح عدد أبياتها بين ٥٧ و ٧٠ بيتا ، وأقصر قصيدة له أبياتها ستة وأربعون ، وهي في السلوك .

واقتصر شعر الشيخ على السلوك ومحامد الأخلاق والحب الإلهي ، والتأملات الصوفية ، والاصلاح الاجتماعي ، ومدح الإمام (عزان بن قيس) ومتابعة فتوحاته ، وقد كانت تربطه به علاقة قوية .

وشيخنا له باع طويل في التصوف ، فمطولته التي بلغت ٢٢٠ بيتا هي في التصوف وسلوك طريقه ومقاماته المختلفة ، وكذلك قصيدته التالية لها في الطول ، بالاضافة الى ثلاث قصائد أخرى ، وله قصيدة واحدة قيمة في الاصلاح الاجتماعي وله ٤ قصائد في مدح الإمام (عزان بن قيس) من خلال متابعة فتوحاته . وهو في ذلك كله يتمثل آيات القران وأحاديث رسوله العظيم ، وسأتناول ذلك بشيء من التفصيل ، يقول في قصيدته (المعراج لسالك المنهاج) :

سلوك طريق العابدين بعرفان ... يلذ لأرواح غذين بايمان
يطيب لها فيه عناها فلم تزل ... مسافرة لا تستقر بأوطان
من العلم أعلام لها ودلائل ... ومن همة شماء والعزم ظهران
وزاد من التقوى لتقوى بنهجها ... ومن فقرها أوفى رفيق ومعوان
ومن ورع درع وسيف من الحجى ... وحصن من التفويض في كل حد ثان
فقامت على حكم التوكل ترتجي ... بلوغ المنى ما بين خوف وأحزان
كليلة أعياء لقد شفها الوجى ... خميصة بطن في تعطش ظمان

ثم يقول :

تهيم بتذكار الحبيب ولا ترى ... إلى راحة رجعى ومال وأخذان

---

(١٠) راجع : د. علي عبد الخالق ، الشعر العماني ص٨ وما بعدها .

ويدعو إلى المسارعة في سلوك الطريق فيقول :

أخي قم وشمر في الطريق مصمما ... لطي الفيافي في بكور وأصلان
فمن نفس منه مضى عن سلوكها ... جنيبا فما أولى بغبن وخسران
وخل الهوينا عنك فهي بعيدة ... كثيرة أخطار قليلة أعوان
وخفف من الأثقال إن عقابها ... صعاب تعاب تنصب السالك الجاني
طريق لها مستو وعر دارس به ... كمين الأعادي من رجال وفرسان

يشبه سالك الطريق بالمسافر تشبيها تمثيليا ، ويستقصى كل ما يحتاجه ذلك المسافر ، فلا بد له من دافع داخلي روحاني يجعله يستعذب العناء ، واحساس بالغربة في هذه الدنيا ، ثم يتخذ لسفره عدته كما يلي : المرشد والدليل علمه ، ولراحلته همته وعزمه ، والزاد تقواه ، والرفيق المعوان فقره ، والسلاح : درع وسيف وحصن وهي على الترتيب الورع والحجى ، والرضا . وبعد اتخاذ الوسيلة يكون التوكل ، وهو في صوره السابقة جسم المعنى وجعله ساريا ملموسا .

وهنا نجد العديد من المصطلحات الصوفية والمقامات مثل : الطريق ، الغربة ، العرفان ، الفقر ، الخوف ، الحبيب . وفي البيتين الأخيرين يستوحي حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : «أحكم السفينة فإن السفر طويل ، وخفف الحمل فإن العقبة كؤود» .

وهو كثيراً ما يستوحي آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، ومن ذلك استيحاؤه لحديث الرسول عن المقامات الثلاث : «الإسلام ، والايمان ، والاحسان» .

أما القصيدة الأولى في المخطوط فهي في العقيدة ، ولعل في جعلها في مقدمة القصائد إشارة الى مكانها وأهميتها ، فكل شيء يأتي تابعا للعقيدة ، وتلك القصيدة بعنوان (في نفي الرؤية عن اللّه–تعالى–وفي الرد على مدعيها) فيقول :

وعن النبي رووا ترون إلهكم ... كالبدر لا غيم عليه استكنفه
أترى مقالهم بلا كيف سوى ... إفك يزاد لقائل ما أسخفه
لو كان منظورا وغير مكيف ... لنفى الإله الكيف إذ أبقى الصفه
فعلام تأنف أن يكون مكيفا ... وهو الذي التكييف لن يستكنفه
إذ كل منظور فذاك مكيف ... أو لا فهات دلالة عن معرف

وفي هذا الرد يتضح أن للشيخ باعا في علم الكلام ، فالأبيات فيها قدرة على الاستقصاء والتفنيد والقياس المنطقي .

وفي القصيدة يدعو الى عدم التقليد والاتباع لغير الرسل ، وعدم أخذ التأويل إلا عن الرسول ، وينفي الزخرف عن القرآن الكريم ويصفه بمساواة لفظه معناه .

أما قصيدته الوحيدة في الحديث عن الفساد ومحاولة إصلاحه ، فهي قصيدة رائعة جديرة بأن تجعله في مقدمة زعماء الاصلاح المعاصرين في الأمة الإسلامية ، مثل جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده ، والشيخ نور الدين السالمي ، فضلا عن الشعراء المجيدين .

يعرض في قصيدته أنواعا من المفاسد ؛ أخلاقية ، اجتماعية ، وسياسية ، ويدعو إلى محاربتها واصلاحها ، ويدعو اللّه بإظهار الحق ، يقول :

تلألأ برق في الدياجي مشعشع … تضاحكه أبكاك فالعين أدمع
أم التاع من بين الأحبة والنوى … فؤاد بتذكار الهوى يتصدع
أم ارتاع من دهر أداني صروفه … تكاد الجبال الشم منه تزعزع
زمان به الدين الحنيفي دارس … وناصره مستضعف ومروع
فيالك دهرا قد شجتني خطوبه … به عصفت للجور نكباء زعزع
تجدلت الاحكام فيه وعطلت … حدود وسيم الخسف ما اللّه يرفع
ونال به أهل الديانة والتقى … هوان به عز الجهول المضيع
تباح دماء المسلمين ظلامة … ولا ملجأ يحمي ضعيفا ويمنع
وتنتهب الأموال في كل محفل … ولا قائما بالعدل عن ذاك يدفع
فكم فيه مظلوم إذا مد طرفه … تشكى وأبواب السماء تقعقع
وأرملة جنت بفرط بكائها … لقلة حاميها إلى اللّه تضرع
كأن اليتامى والمساكين جيفة … للحماتها تلك النوابح تسفع
وكم من بيوت اللّه أضحى خرابة … وكانت بيوت اللّه بالذكر ترفع
وكم قد غدت للفسق والكفر معقلا … بها أمس قد كان المشائخ تركع
تكاد بقاع الأرض تشكو من الأذى … لوا استنطقت كادت بذاك تصدع
تظاهر فيها بالفواحش جهرة … رعاع لجمع المنكرات تجمعوا
كم اقتطعوا نهج السبيل وفعلهم … بناديهم من النكر أفظع
وقد أمروا من مترفيهم أكابرا … بهم جمع غوغاء الهوى قد تشجعوا

قدم لنا الشاعر هذه النفثات ، وتلك المشاعر نحو صور الفساد المذهلة معتمدا على نوعين من الحوار : الحوار الداخلي ، والحوار الخارجي ، أما الحوار الداخلي فيجريه مع نفسه وهو حوار أقرب إلى (المونولوج الداخلي) حيث يسائل نفسه الحزينة المعذبة

سر عذابها ، وعن سر دموعه المتواصلة ولوعة فؤاده ، أهي على الديار ، أم لوعة لفراق أحبة ، ولكن يضرب عن ذلك كله بـ (أم) المنفصلة بمعنى (بل) في البيت الثالث ، ويقرر انه ارتاع من صروف الدهر التي تكاد الجبال الراسية أن تتزعزع منها .

ثم يحاول الشاعر أن يخرج من حواره الداخلي مع ذاته القلقة إلى حوار يجريه مع الدهر وبلده عمان ، يصور فيه تلك المفاسد التي ألمت بوطنه وأبنائه ، ويصور ألمه وحزنه . وقد اعتمد في تصوير ذلك على المفارقة التي تحفل بها أبيات القصيدة ، بالاضافة إلى المقابلة التي يعقدها بين المفارقات وتأمل المفارقات التي تحفل بها أبيات القصيدة ، بالاضافة إلى المقابلة التي يعقدها بين المفارقات وتأمل المفارقات في قوله (ناصره مستضعف) و (تجدلت الأحكام) و (سيم الخسف ؛ ما اللّه يرفع) و (نال به أهل الديانة والتقى هوان) و (عز الجهول) .

وتظهر تلك المفارقات بوضوح في قوله :

وكم من بيوت اللّه أضحى خرابة ... وكانت بيوت اللّه بالذكر ترفع
وكم غدت للفسق والكفر معقلا ... بها أمس قد كان المشائخ تركع

فالصورة التي رسمها الشاعر للمساجد في ذلك الوقت تتنافي مع الصورة التي رسمها القرآن الكريم لها ، وذلك لينفر الناس من صورتها الراهنة ووضعها المنافي لحقيقتها ، يقول تعالى : ﴿ **في بيوت أذن اللّه أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والاصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار** ﴾(١١)

وفي كلمة (ترفع) في الأبيات تورية ، فالمعنى القريب لها هو (البناء والإقامة) ، ورشح ذلك ورود كلمة (الذكر) في البيت وهي مرتبطة بذلك المعنى في الآية الكريمة ، وكذلك ورود كلمة (خرابة) التي تقابل الإقامة والبناء ، ولكن المعنى البعيد هو المراد ، وهو رفع القدر والقيمة ، حيث وردت بعد كلمة (الذكر) لا قبلها كما هو في الآية ، فهو نتيجة وليس مقدمة .

وفي حواره مع الدهر نجد بعض الصيغ الإنشائية التي توحي بالدهشة والحيرة ، مثل الاستفهام في البيتين الأولين ، والتعجب في البيت الرابع . وتبرز ظاهرة التكرار ، وهو تكرار يساعد على تكثيف شعوره بهول المأساة وفداحتها ، ولنتأمل هذا التكرار في قوله: «الدين الحنيفي» «أهل الديانة والتقى» ، «بيوت اللّه» ، «بالذكر ترفع» ، «المشائخ تركع» ، وكذلك «تجدلت الأحكام» و «عطلت حدود» و «تباح دماء المسلمين» و «تنتهب الأموال» ،

---

(١١) النور—الآية ٢٤

«لا قائما بالعدل» ، وكذلك : «الجور» و «الخسف» و «ظلامة» و «هوان» ، و «مظلوم» .. وهي وإن لم يكن بينها تكرار لفظي ، ففيها تأكيد للمعنى . ويحاول الشاعر في حواره مع عمان أن يخرج من أحزانه والتياعه وقلقه إلى الأمل في اظهار اللّه للحق، فيستخدم ألفاظ الأمل والرجاء وتبدو في أبياته النجوم وتطلع الأقمار ، يقول :

عسى أن يكيد اللّه للدين مرة ... يبور بها من كيدهم ماينوع

لعل زمان الفتح تبدو نجومه ... وأقماره بالعدل والفضل تطلع

ثم يلوذ الشاعر بتأملات نفسه في الوجود والكون ، عائدا مرة أخرى إلى حواره الداخلي لعله يجد شيئا من العزاء ، فيما يسوقه من حكمة وتأملات عميقة في هذه الحياة يقول :

فما أزمة تشتد إلا تفرجت ... وللّه لطف عرفه يتضوع

وما ينتهي شيء إلى حد طوره ... سوى أنه من بعد ذلك يرجع

ثم ينتقل مرة أخرى إلى الحوار مع الليل متعجبا مستنكرا :

فيالك ليلا قد دجى فتكدرت ... شموس الضحى فالصبح أسود أسفع

ألا تنجلي يا ليل عن صبح فتية ... كرام بهم قد رد للعدل يوشع

تظاهر أنوار المعالي عليهم ... وألوية العز الجلالي ترفع

أشداء يوم البأس في حومة الوغى ... أولو رحموت بينهم لا تقطع

يشكو الشيخ من ثقل الليل على نفسه مثلما اشتكى من ذلك امرؤ القيس ، ولكن ليل شيخنا ليس كليل الشاعر الجاهلي ، فهو ليل الفساد الذي امتد اثره إلى (الشموس) رموز الهداية والصلاح فجعلها تتكدر ، ويصبح الصبح شؤما شديد السواد كلون الغراب .

ويعقد أمله على (الفتية) أن يعيدوا عهد يوشع (عليه السلام) في العدل . ويستطرد في وصف هؤلاء الفتية مستوحيا آيات القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿**محمد رسول اللّه والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من اللّه ورضوانا**﴾[١٢]

وفي الختام يلجأ الشيخ إلى اللّه سبحانه وتعالى ضارعا ، فهو خير مقصود وأعظم قادر ؛ يقول :

فيارب عجل منك للدين نصرة ... يقوم بها ليث من الناس أشجع

يجر اليهم بحر جيش عرمرم ... لديه شتيت الأكرمين تجمعوا

خميس ولو أن الجبال تعرضت ... له كاد منها صخرها يتقلع

---

(١٢) سورة الفتح الآية ٤٨

تسيل تلاع الأرض منه جحافلا تفر لها الأعداء رعبا وتخضع
بهم غضب اللّه كادت سيوفهم بأغمادها من فيحه تتقطع

يشبه القائد المأمول بـ«ليث أشجع» ، ويشبه جيشه بـ«بحر عرمرم» ، وقائده أمامه كأنه يجره . ثم صور قوة ذلك الجيش فيجعل صخر الجبال يتقلع ، وقد نسب الفعل «يتقلع» إلى الصخر إشارة الى الطاوعة ، وفي ذلك تشخيص للصخر . وفي البيت الأخير جعل السيوف تمتزج بالجنود وتتفاعل معهم وتحس بغضبهم الذي يشبه النار فينتقل ذلك الغضب إليها حتى تكاد أغمادها من فيحه تتقطع . ولفظة (فيح) توحي بالشدة والفظاعة إذا ارتبطت بالنار في حديث رسول اللّهﷺ .

وتأتي بعد هذه القصيدة—في ترتيب الديوان المخطوط—قصيدته في فتح نفعاء—على يد الإمام عزان بن قيس) وكأن اللّه قد استجاب لدعائه باظهار الحق ، فمَّن على البلاد بذلك الإمام . ويختتم الديوان بقصائده في الفتوحات ومدح الإمام ، وكأن ذلك غاية ما يصبو اليه ، يقول :

ولما أن أراد للّه يقضي قضاء فيهم بالانتقام
أقام لهم ليدعوهم اليه ويرشدهم الى دار السلام
إمام العصر عزان بن قيس ابن عزان بن قيس بن الإمام
دعاهم دعوة لله يرجو بها رضوان ربهم السلام
إلى حكم الشريعة قد دعاهم وأخذ الحق منهم بالتمام

ثم يقول :

وسل أرجاء سمائل عن فعال الـ إمام تجب وبحر الشر طامي
أطاعته العلاية والرواحي فآبوا بالسلامة في اغتنام

ويدعو أهل عمان إلى مناصرة الإمام فيقول :

وأهل عمان أدعوهم جميعا وكل موحد بطل همام
إلى نصر الإله وأن يكونوا متى يدعون أنصار الإمام

ويدعو إلى التوحد ونبذ الفرقة والعصبية فيقول :

فما في الدين هذا غافري ولا فيه هناوي يرامي

وهكذا نجد الشيخ سعيد بن خلفان قد تخلص في مديحه ذوي الثراء والجاه للتكسب والنباهة الى مدح أهل الفضل والإصلاح المستحقين للمدح من الأئمة والحكام ؛ لما قاموا به من أعمال ، ولما فتحوه من أمصار .

وتدافع الشعراء بعد ذلك على مدح الإمام ، في شعر وطني صادق العاطفة ، ومنهم الشاعر (أبو وسيم) الذي مدح كذلك علماء المذهب الأباضي الذين رفعوا راية العدل مع الإمام في عمان .

وهكذا سرت في الأدب العماني نزعة دينية وطنية ، أصبحت واضحة الملامح في شعر كثير من أدباء عمان الذين ظهروا إبان حكم الإمام (عزان بن قيس) وما بعده . (١٣)

أدوات التصوير الشعري عنده :

اعتمد الشيخ سعيد بن خلفان في تصوير تجربته الشعرية على مجموعة من الأدوات الفنية منها :

الألفاظ ، والأساليب ، والصورة الأدبية بأنواعها المختلفة من تشبيه ، وتشخيص ، وتجسيد ، وتجريد ، والقص ، والحوار ، و المفارقة ، وسوف أتناول ذلك بشيء من التفصيل .

أولا : معجمه الشعري (الألفاظ) :

إذا كان من شأن الألفاظ أن تقع موقعا حسنا في الاستعمال بحيث تكون مناسبة في أداء المعنى المراد ، وفي ايحاءاتها ، لا ركاكة فيها ولا ضعف ولا غرابة ، فالنظرة إلى شعر الشيخ من هذه الناحية تشير إلي أن ألفاظه جاءت–في معظمها–متسقة مع الغرض الذي سيقت له ، فنجد ألفاظه ترق وتعذب في مواطن الحب الإلهي ، وتفخم وتجزل في مواقف القوة والشدة والأمور العصبية والحماسة والوطنية والفتوحات ، ويدل ذلك على ما كان له من اقتدار على الألفاظ وتمكن اللغة وفهم لأسرارها .

وقد استمد معجمه الشعري من القرآن الكريم ومن أحاديث الرسول صلى اللّه عليه وسلم ومن الصوفية ومن التراث الأدبي .

١– ألفاظ القرآن الكريم :

وظف الشيخ ألفاظ القرآن الكريم في التعبير عن أفكاره وتصويره عواطفه بما تستدعيه من ظلال وايحاءات مثل : إفك ، فيح ، عتيد ، عنيد ، كنود ، و(العدوة الدنيا) و (العدوة القصوى) .

---

(١٣) راجع د. علي عبد الخالق–الأدب العماني ، ص٥١ وما بعدها .

وكذلك (الخوالف) التي تستدعي معها قصة من تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ ، وحالهم وحكم الله فيهم ، ولكن شيخنا يوظفها في تصوير حال من يتخلف عن تلبية دعوة الصوفية والخروج في طريقها ، وذلك يوحي بخطورة موقف هؤلاء المخلفين ، ويشعر بأن الصوفيين في جهاد ، كل ذلك أوحت به لفظة واحدة وذلك في قوله :

ولاتك مثلي قاعدا متخلفا — هجيراي دعوى أو منى وتوان
فلم يتخلف قط الا خوالف — لغير اجتهاد بالجهاد يعاني
فكم قاعد عنها إليه تداركت — مناياه لم يدرك منى وأماني
يرى بالأماني الغنى وله العنا — بها ولها يمسي ويصبح عاني
ولو أنه أمسى خليا بنفسه — لما خلته يهوى بذل هوان
هنيئا لمن قد مات سكرا بحانها — عليه سلام الله كل أوان

أما الحديث الشريف فقد أمده بالعديد من الألفاظ ، وقد وظفها في مكانها مثل : الشرك الخفي ، الدرهم والدينار ، الايمان ، الإسلام ، الإحسان ، حقيقة الإيمان ، وغير ذلك كثير .

٢- ألفاظ صوفية :

وقد أمده المصدر الصوفي بوفرة هائلة من المصطلحات ، والألفاظ التي أضفت على شعره جوا روحانيا ، ومن هذه المصطلحات والمقامات : القبض ، البسط ، الهيبة ، الأنس، الشوق ، الجذب ، السكر ، كرامة ، مقامات ، أهل السلوك ، عرفان ، كشف، مشاهدة ، فيض العلم ، عين اليقين ، حق اليقين ، التوبة ، الخوف ، الرجاء ، المجاهدة ، الرضا ، العبودية ، الفقر .

كان الشيخ سعيد بن خلفان يحسن استخدام الألفاظ في مكانها المناسب ؛ بحيث تفيض بالإيحاءات والمشاعر وتحمل من الدلالات أكثر مما تحمله من معناها اللغوي ؛ ففي شعر التصوف تجده يكثر من استعمالات كلمات : الحب ، والوجد ، والذكر ، والخمر ، والسكر والأنس ، إلى غير ذلك من الكلمات التي تعطي دلالة نفسية في مكانها ، ولا يمكن لغيرها أن يوحيه ، ولا أن توحيه هي في مكان آخر .

يقول في وصف حال المتصوفة :

فمن بعد علوي النوم والشّبع والرّوا — غدوا خلف إلف السهد والجوع والظما

وهنا تجد مراعاة النظير في الألفاظ بين شطري البيت ليبين تبدل حال المتصوف إلى عكس ما كانت عليه في سابق أمره .

ومما تجدر الإشارة اليه أن تصوف الشيخ سعيد بن خلفان لم يكن سلبيا ، و لم يكن فيه تلك الشطحات الصوفية من الحلول أو الاتحاد أو وحدة الوجود التي وجدت عند ابن عربي أو ابن الفارض أو الحلاج وأضرابهما ، وانما كان تصوفه تصوفاً سنيا إيجابيا .

ثانيا : الصـورة الأدبية :

إن دراسة الصورة الأدبية في معانيها الجمالية ، وفي صلتها بالإبداع الفني أمر له أهميته في مجال الدراسة الأدبية ، ولا يتيسر ذلك إلا إذا تحققت النظرة لاعتبارات التصوير في العمل الأدبي بوصفه وحدة ، وإلى موقف الشاعر من تجربته ، ومدى تعمقه في تصويرها، وأثره في الصورة النابعة من داخل العلم الأدبي نفسه ، المتآلفة في إبراز الفكرة .

وتنوعت الصورة عند الشيخ سعيد بن خلفان فمنها الصور الجزئية والصور الكلية، وهناك الصور المفردة ، والصور المركبة ، وقد اعتمدت صوره الجزئية على التشبيه ، والتشخيص والتجريد والتجسيد ، والمفارقة ، واعتمدت الصورة المركبة على الصور الجزئية المتجاورة أو المتداخلة :

-التشبيه :

من صوره التشبيهية قوله :

سموط ثناء في سموط فريد ... بكل لسان قد بشن وجيد

شبه هذه الأبيات المتضمنة للثناء على اللّه-تعالى-بحبات الدر-في الحسن والشرف-المنظومة في سلوكها المفصلة بأنواع الجواهر الشريفة ، وفي هذا التركيب لف ونشر لأنه لف أولا بين سموط الثناء وسموط الفريد ، ثم نشر آخر ، فرد كلا من طائفتي الحسان الى موقعه ، فبث سموط الثناء على اللسان ، وسموط الفريد بجيود الحسان ، وهو تركيب فائق في بابه .

وفي قوله :

فندمانهم عاد البكاء تندما ... وأزمانهم بالنوح قد عدن مآتما

وأوردهم بالحزن لجة أدمع ... وأورى بهم للخوف نار جهنما

شبه الأدمع بلجة ، وشبه الخوف بنار جهنم ، وجسد الحزن فجعله لجة ، يورد اليها المتصوفون ، وهم في ذلك مسلوبو الإرادة . هذا بالإضافة إلى ما في البيت الأول من

تصريع يقوي الموسيقى ، وهو كثيرا ما يصرّع في وسط القصيدة ، بل كثيرا ما يسجع في البيت فيحدث ذلك موسيقى داخلية في الأبيات بالاضافة إلى الموسيقى الخارجية في الأوزان والقوافي .

- **التشخيص :**

وهو أن يجعل الشاعر الشيء المعنوي مشخصا حيا عن طريق الاستعارة ومن أمثلة ذلك عند الشيخ قوله :

ويـزري بـنـور الشـمس نـور ابـتسـامـة إذا مـا تجلـى في صـحـائـف سـود
لمن هـو أهـل الحمـد والمدح والـثـنـا لـذي الـفضـل والآلاء خير مـفـيـد

وقد شخص الذكر وجعل له ابتساما يزري بنور الشمس ، وفي البيت كذلك مفارقة، في البيت الثاني تجد الألفاظ نامية متصاعدة ؛ فالحمد أعم من الشكر ، والمدح أعم من الحمد والشكر ، والثناء أعم من الجميع . وبين (الحمد) و (المدح) جناس .
وقوله :

وجـودك اذ عـز الشـفـيـع وسـيـلـتـي وجـودك إذ عـز البريـد بـريـدي

شخص الشيخ فيه جود اللّه-سبحانه وتعالى-فجعله رسوله الى ربه ، بعد أن جسده في البيت الأول فجعله وسيلته إليه-سبحانه-.

- **التجسيد :**

من الصور المجسدة عند شيخنا قوله :

مـهـلا هـديت دع المراء عـلـى الـهـوى واخـلـع بـهـيـمـتـي الصـفـات المتـلـفـه
والـبس صـفـات مـقـدس مـلـكـيـة تـكـسـى مـن الأنـوار أضـفـى مـلـحـفـه

في البيتين ثلاث صور مجسدة فقد جعل الصفات البهيمية وكذلك الصفات الملكية ثوبا يلبس ويخلع ، فأبرز المعنوي في صورة مادية مجسدة ، وجعل الأنوار كساء يكساه العبد ،وقوله :

وحـمـد تـغص الـكـائـنـات بـنـشـره إذا نشـرت مـنـه أجـل بـرود

شبه الحمد بشيء مادي (عن طريق الاستعارة المكنية) تغص منه الكائنات بجامع الضيق في كل منهما . وفي كلمة (بنشره) أي رائحته الطيبة استعارة أخرى جسدت الحمد فجعلته طيبا بجامع الاستلذاذ في كل . وفي الصورتين مفارقة ، حيث تختلف القوابل عند الصوفية للفيوضات الإلهية .

وفي كلمة (برود) استعارة ثالثة جسدت ماانتشر من صيت هذا الحمد فغشى أفراد الكائنات وكساها جمالا بالبرود بجامع التحسين والتزيين فيها .

- **المفارقة :**

وهي حدوث شيء بعكس ما حقه أن يكون ، وقد تكون الأشياء متناقضة في ظاهرها والحقيقة غير ذلك ، وهذه الطريقة في التصوير تكثر عند الشيخ في المجال الصوفي ، فهم يؤمنون بأن الأشياء لها ظاهر وباطن ، ولا يدرك بواطن الأمور إلا أصحاب البصيرة ، ومن ثم فهم يرون الأشياء على عكس ما يراها عامة الناس ، فيأتي الكلام كأنه ألغاز ، وهم يدركون ذلك .

ومن ذلك قول الشيخ :

لم أر اذ فكرت في أمري ... قضية أعجب من فقري
تهت على دهري فاستمع ... عجائبا أبرزها شعري
مالي دينار ولا درهم ... ولي كنوز الدر والتبر
وليس لي بغلة يوم وكم ... قد أطعم الجائع من يسرى
وما ليس معي قط غلام وقد ... قامت لي الغلمان في أمري

ومنه قوله :

مرادي لي أن لا أرى لي إرادة ... وتلك له عين الارادة في العمى
فصمتي ذكري والسكون تصرفي ... ونومي وردي حيث كان المنوما
وأشهد منه المنع ضربا من العطا ... وفي الفصل معنى الوصل قيما

ومن تلك الألغاز الصوفية قوله :

ولكن وفري في الزكاة بذلته ... إلى غير من للفقر ظل يعاني
زكاتي أجريها علي وبذلها ... إلي ما به نص الكتاب حباني
وعيني لو جنبتها لأجانب ... لجانبت رشدي وارتكبت شناني
وأشرب في شهر الصيام تعمدا ... نهارا بأوطاني ولست بجاني
وقد صمت أعيادي ولبيت محرما ... بحجي وشهر الحج لي رمضان
وكعبة حجي حيث وجهت وجهتي ... ففي كل حال حولها جولاني
وحاشاي عن ترك الأمور معرضا ... وعن فعل ما عنه نهيت حشاني

- **الموسيقى :**

اعتمد الشيخ سعيد بن خلفان في أشعاره على نوعين من الموسيقى : الموسيقى الخارجية ، والموسيقى الداخلية . أما الموسيقى الخارجية فهي الأوزان الخليلية والقوافي، وقد وافاها زميلي الدكتور أحمد عفيفي حقها في جلسة الأمس .

أما الموسيقى الداخلية فهي التي تنشأ من تناغم الألفاظ في أصواته ، واتساقها في معانيها ، أو من تسجيع داخل شطري البيت أو موازنة بين ألفاظه ومراعاة النظير فيما بينها .

ومن أمثلة الموسيقى الداخلية الناشئة عن التشجيع قول الشيخ :

وحاشاك عن ردي وقطع مطامعي ... لشؤم جدودي واتضاح جمودي

فبالاضافة للتصريع بين شطري البيت ، نجد سجعة داخلية تحدثها كلمة (ردى) في الشطر الأول ، وكلمة (جدودي) في الشطر الثاني .

ومن ذلك قوله :

فجد بمتاب عن مقر مصرح ... بذنب وتقصير وطول صدود
منيب يرجي عندك العفو مولع ... بذكرك لا ذكر اللوى وزرود
فقير لما أسديت من كل نعمة ... شكور لما أوليت غير جحود

تظهر الموسيقى الداخلية واضحة في هذه الأبيات تحدثها الموازنة بين الألفاظ ، والتسجيع والانسجام ، وكذلك توالي الصفات .

وقوله :
أعاد وأبدى من أياديه أنعما ... فيا أنعم المولى بدأت فعودي

وفي هذا البيت تنشأ الموسيقى الداخلية من رد العجز على الصدر .

ولكن على الرغم من هذه الصور البيانية الجيدة وتلك الصياغة اللغوية المتينة في أشعاره إلا أن هناك بعض الصور المبتذلة ، وميلا من الشيخ إلى الغريب من الألفاظ ، ولكن يكفيه أنه استطاع أن يخرج الشعر العربي في عمان من طور الجمود والركاكة إلى جدة الصورة ومتانة الأسلوب ونصاعة البيان .

وبعد فان بحر شيخنا زاخر يحتاج إلى قوة الهمة واكتمال العدة والمتسع من الوقت لاستخراج درره ولآلئه ، وما أظنني إلا وقفت على شاطئه .

وإني لأسأل الله العلي العظيم أن يجعلنا ممن آثره واجتباه ، وأرشده إلى الحق وهداه، وألهمه ذكره حتى لا ينساه ، وعصمه من شر نفسه حتى لا يؤثر على غيره سواه ، واستخلصه لنفسه حتى لا يعبد إلا إياه .

الشيخ العلامة

سعيد بن خلفان الخليلي وفكره

إعداد / مبارك بن عبدالله الراشدي

جامعة السلطان قابوس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله الذي شرف العلم وأهله إذا اشتق اسمهما من إسمه العليم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الكريم وعلى آله وصحبه الذين اتبعوه بإحسان ، وجاهدوا في سبيل ربهم حتى أتاهم اليقين .. وبعد :

فكان من قدرة الله-تعالى-أن تطلب مني ادارة المنتدى الأدبي المشاركة بإعداد بحث عن العلامة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي تحت عنوان «الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي وفكره» مساهمة في اقامة ندوة بالمنتدى المذكور تكريما للشيخ المشار اليه .

فما كان أمامي بد من الاستعانة بالله-تعالى-على تقديم شيء ولو يسير واعتبرت ذلك مساهمة بوريقات وليست بحثا بمعنى الكلمة ، وفتحا لآفاق بحوث يتبناها من كانت له رغبة في التنقيب والاظهار لهذه الشخصية والله على ما أقول شهيد .

أما خطة البحث : فقد كانت في ثلاثة فصول وخاتمة وحاولت تخصيص الفصل الأول لحياة الشيخ ونشأته وأخلاقه وشيوخه والبيئة التي عاش فيها ويتكون من ستة مباحث

والفصل الثاني في ثمرات الشيخ العلمية تدريسا وتأليفا ومكانة ، مزاحمة بين الاقران،وجهودا في الدعوة، ومواقف للذب عن الدين من الابتداع ، ونماذج من مخالفاته ومعارضاته ومراسلاته وكان ذلك في ثمانية مباحث والفصل الثالث : فكره العلمي : لغة وفقها وأصولا وفروعا الى غير ذلك ، والخطة شارحة ذاتها ضمن البحث ثم وضعت مبحثا في الاستدراك على ما جاء في التمهيد من الناحية الفنية فقط .

أما صعوبات البحث فيكمن أكثرها في صعوبة المصادر والمراجع ، لأن الباحث لا يجد المادة العلمية الكافية الا صفحات قليلة لا تلبي له رغبته لولا ما توجها من مقابلات شخصية وتجميعا لما يتصيده الباحث من مواقف علمية ، ولا أعتقد انني الوحيد في ذلك، فكل الباحثين في هذه الندوة لا قوا ذلك ، بل ليس الشيخ سعيد هو الوحيد في هذا الاطار مع قرب الزمن بيننا وبينه ، ولكن جل العلماء العمانيين سواء في الاختفاء ، وذلك ما زلنا نعزوه في كل حين الى عدم رغبة هؤلاء العلماء في الظهور من ناحية

وعدم الاهتمام بالتاريخ من ناحية أخرى ، لأن علماء عمان يقدمون الأهم من ذلك وهي القيام بواجب الأمة وتدوين المبادىء والمثل قبل تاريخ الشخصيات ، والواقع أن هذا يجب أن نقلع عنه ، لأنه سبب كثيرا من المشكلات ، منها الضمور في التاريخ ، والجمود في الخلف ، والعناء لدى الباحثين ، وانقطاع نسبة العلم الى غير ذلك ، كيف وان اللّه تعالى قد أخبرنا في كتابه عن قصص الماضين فكفى به قدوة مع قوله عز من قائل: ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى**﴾ يوسف آية ١١١ ، ولولا كتابة التاريخ ما عرفنا عن نبينا الكريم وصحابته الميامين وآثارهم شيئا ، واللّه الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

كما أستميح القارىء عذرا في عدم استيعاب البحث لجوانب هذه الشخصية ، ولكن ما لا يدرك جله لا يترك كله .

ولا يفوتني مع ذلك أن أسجل شكري الجزيل لوزارة التراث القومي والثقافة وعلى رأسها صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد الموقر وجميع القائمين على المنتدى الأدبي على قيامهم بتكريم أمثال هذه الشخصيات الفذة لاخراجها من ركام التاريخ واظهارها بين يدي الباحثين والطلاب ، كما أشكر جميع من ساعدني على إخراج هذا البحث المتواضع حتى وصل الى وضعه الحالي واللّه من وراء القصد وهو المستعان .

الباحث مبارك بن عبداللّه الراشدي

الفصـــل الأول

حيـاة (١) الشيـخ الخـاصـة

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : ولادته ونسبه .

المبحث الثاني : نشأته وبيئته .

المبحث الثالث : دراسته وشيوخه .

المبحث الرابع : حياته الاجتماعية وأسرته .

المبحث الخامس : صفاته وأخلاقه .

المبحث السادس : تعظيمه لما عظم الله .

المبحث الأول–نسبه وولادته :

هو العلامة الشيخ سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح بن يحيى بن أحمد بن عامر ابن ناصر بن عامر بن بوسالم بن أحمد من نسل الامام الخليل بن عبدالله بن عمر بن محمد بن الامام الخليل(١) بن العلامة شاذان بن الامام الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي نسبة الى خروص بن شاري بن اليحمد بن عبدالله وعبدالله هو الحمى من سلالة نصر بن زهران بن كعب بن حارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن أزد

---

(١) يظهر أن هناك حللا في النسب ، ما بين الامام الخليل بن شاذان وجده الصلت بن مالك وذلك لأن شاذان بن الصلت كان له دور في دولة الامام عزان بن تميم عام ٢٧٧هـ إذ استخلفه الامام المذكور على نزوى عندما ذهب ليصلي على القاضي عمر بن محمد بازكي ، وكان هدا القاضي أحد العاقدين على الامام والامام الخليل بن شاذان قد عقدت عليه الامامة في القرن الخامس الهجري حوالي ٤٥٠ هجرية ، في زمان الامام أبي اسحاق ابراهيم بن قيس بن سليمان الحضرمي ، وقصائد هذا الامام تنطق بذلك ، والحضرمي هو الذي ثار على الصليحي في حضرموت وقد دامت امامة الامام الخليل حوالي سبعة عشر عاما ، فبين هذا الامام وشاذان ابن الصلت حوالي ٢٣٧ عاما على الأقل ، فلا يمكن أن يعيشا في فترة واحدة من الزمن ، لكن يمكن أن يقال: أن الخليل الامام هو حفيد الخليل شاذان ، فيصبح : الامام الخليل بن شاذان بن الخليل بن شاذان بن الامام الصلت. وهذا على أقل تقدير .

ومن الجدير بالذكر ان الامام نور الدين ذكر في تحفة الأعيان أن امامة الخليل بن شاذان كانت حوالي ٤٠٧هـ على سبيل التقدير ، لكن الصليحي الذي حاربه أبو اسحاق واستنجد لحربه بهذا الامام كان بعد هذه الفترة بأربعة عقود من الزمان فلينظر في ذلك ، وأنظر : نور الدين السالمي تحفة الأعيان : ٢/٢٩٥ وما بعدها .

ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود عليه السلام [٢]

ومن المعلوم أن النبي هود عليه السلام من أنبياء العرب ، وقحطان هم العرب العاربة، إن هذه السلسلة الذهبية من النسب لهي سلسلة زكية المنبت عطرة الذكر لما لها من تاريخ مجيد ، فالشيخ من عقد نسبي تخلله عدد من الأئمة الكرام ، الذين عقدت عليهم البيعة من العلماء أهل الحل والعقد بعمان ، في زمانهم ، وقد بلغ عددهم قبل الشيخ المذكور–حسب المشهور من الأخبار–واحدا وعشرين إماما ، وكلهم قد قاموا بواجبهم تجاه المجتمع العماني ، من الاصلاح والقيام بأمور الرعية ، واشاعة العدل والطمأنينة بين أبناء هذا القطر ، وجاهدوا في سبيل اللّه حق جهاده ، وذادوا عن حمى عمان بالسيف والقلم ، فكتبوا سطورا مشرقة في جبين التاريخ [٣]

والشيخ من أرومة المجد هذه ، التي تسنمت العلم ، اذ كان آباؤه أهل علم وفضل وقيادة وعدل . ويقول الامام محمد بن عبداللّه الخليلي–رحمه اللّه–وهو حفيد الشيخ، فيما ينقله عنه الشيخ محمد السالمي–رحمه اللّه–عن الشيخ سعيد الذي نحن بصدد ذكره (يلتقي هو والشيخ جاعد بن خميس الخروصي في أرومة واحدة ، اذ تجتمع سلسلة نسبهم في الامام الخليل بن شاذان ، الذي نوهنا عليه من قبل ، ولكن أسرة الشيخ أبي نبهان انتسبت الى الأصل وهو خروص بن شاري ، وأسرة الشيخ سعيد انتسبت الى الفروع ، وهو الامام الخليل بن شاذان الخروصي رحمهم اللّه)

ولد هذا الشيخ ببوشر عام **١٢٣٦هـ** [٤] هذا هو المشهور ، وذكر الشيخ الخصيبي أنه ولد في عام **١٢٢٦هـ**[٥] ويرفع الشيخ أحمد بن حمد الخليلي عن الشيخ سيف بن ناصر الخروصي أن عمر الشيخ يوم وفاته كان سبعا وخمسين سنة [٦] فتكون ولادته على هذا

---

(٢) السالمي أبو بشير محمد بن عبداللّه السالمي–نهضة الأعيان : ٣٢٣ وأشار الى نقله سلسلة هذا النسب الى الشيخ خلفان بن عثمان الخروصي ، وقد نقله هذا من خط جده الشيخ خميس بن جاعد بن خميس الخروصي .

(٣) أنظر الخصيبي محمد بن راشد–شقائق النعمان : ٢/٢٠٠–٢١٢

(٤) أنظر : أبا بشير–محمد السالمي–نهضة الأعيان : ٣٢٥–٣٢٦

(٥) أنظر الخصيبي محمد بن راشد شقائق النعمان : ٢/٣٣٣

(٦) حفظه الشيخ أحمد بن حمد الخليلي من كتاب الارشاد في شرح مهمات الاعتقاد للشيخ سيف بن راشد الخروصي–رحمه اللّه

عام ١٢٣١هـ ولعل الواحد في الرسم حرفت الى ٦ فلينظر فيه ، وكان آباؤه يسكنون بوشر بني عمران ، وهي مسقط رأس الشيخ ، فنشأ وترعرع فيها ، وكان فيها الشيخ سعيد ابن عامر بن خلف الطيواني ، أو الطائي وسيأتي ذكره . وتوفي والد الشيخ وهو خلفان ابن أحمد والشيخ صغير ، فعاش يتيما في كنف جده أحمد بن صالح كما سيأتي :

المبحث الثاني-نشأته وبيئته :

نشأ الشيخ سعيد في قرية بوشر بني عمران[٧] في حضن هذه الأسرة العريقة المحتد وفي ظل جده الكريم ، دمث الطباع ، وتربى على الفضل والاستقامة في الدين ، لأن جده كان على جانب من الخلق والاستقامة ، فنشأ الشيخ نشأة مباركة ، ما زال يطلب غيها المعالي ، ويكتسب المحامد ، ويسارع إلى الخيرات ، ومسجده موجود الى اليوم في نفس البلدة ويسمى مسجد النجار ، وكان وطن آبائه الأول مدينة بهلا العظيمة الشأن ، القديمة التاريخ ، فقد كانت حاضرة العلم ومهد العلماء ، منذ ظهور الاسلام في عمان وما تزال ، فتخرج منها علماء كثيرون ، وكانت لها مواقف ضد الجور ، وقلعتها القديمة معروفة ومشهورة لا تحتاج الى تعريف ، وقد صنفت ضمن التراث العالمي .

ومدينة بهلى تبعد عن العاصمة مسقط بحوالي ٢٣٠ كيلو مترا ، وتقع على الغرب من نزوى ، وهي مدينة باسقة النخل ، كثيرة الأشجار ،غزيرة المياه ، يتخللها واد تمر فيه السيول المنحدرة من الجبال والسهول ، وكانت يحيط بها سور من الطين ، ظاهر للناظر الى اليوم .

---

(٧) وادي بوشر الذي انتقلت اليه أسرة أجداد الشيخ يضم الغبرة وبوشر الداخلية التي هي جنوب الغبرة والخوير ، والأنصب ، والحمام ، وغيرها من البلدان المنضمة الى الوادي ، وهي الآن في محافظة مسقط ، ومركزها الاداري الغبرة ، وبوشر الداخلية تضم عدة قرى منها بوشر بني عمران وسيبا والفتح وغيرها من القرى ، والمنطقة ذات زراعة بالنخيل والأشجار الحمضية والأمبا والسفرجل والخضروات وتكتنفها الجبال ، التي تتخللها الشعاب ويفيض بها الوادي المسمى وادي بوشر ، ومما قاله الشيخ صالح بن عامر الطائي في بوشر :

وقائلة ما بالك اخترت بوشرا ... على سائر البلدان إذ هي أحقر
فقلت لها كفي الملامة إنها ... بلاد الفتى من دينه فيه أوفر

وقال أيضاً :

ثلاث من الآفات قد خصصت بها ... حطاط وعافى الله منهن بوشرا
فمنهن متق النخل والمحل في القرى ... ومنها الزنابير التي تلسع الورى

أنظر : شقائق النعمان : ٢/ ٢١٠

ولا تزال قبيلة آل خليل تقطن بهلا حتى الآن[8]

فكانت هذه المدينة هي وطن آباء الشيخ ، قبل انتقالهم الى بوشر ، ولعلهم نزحوا الى بهلا خروجا من نزوى ، لأنهم من نسل الامام الخليل بن شاذان ، وقد كان بنزوى وتوفي بها [9]

وسبب خروجهم من بهلا الى وادي بوشر ، تشريد الحاكم سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني لهم ، بعدما كانت بينهم وقائع دامية ، في القرن التاسع الهجري ، بسبب تغريق الامام عمر بن الخطاب الخروصي لأموال بني نبهان ، بعد حكم القضاة في ذلك [10] فأراد سليمان الانتقام منهم لأنهم خروصيون ؛ لأجل الحمية الجاهلية ، ولكونهم أبناء عم الامام ، وسبب تغريق أموال النباهنة هو أن حكام آل نبهان ، قد أخذوا أموال الناس بغير حلها ، وسفكوا الدماء ونهبوا المتاع ، وفرضوا الجبايات الباهظه بغير حق وتوارث أولئك الحكام هذه الأموال واحداً بعد واحد ، منذ عهد المظفر بن سليمان ابن المظفر ، إلى آخرهم وهما سليمان وحسام ابنا سليمان .

ولما ان نصب الامام عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–عام خمس وثمانين وثمانمائة للهجرة النبوية ، . وبعد مضي سنة من امامته ، ثار عليه سليمان بن سليمان المذكور فوقعت بينهما وقعة كبيرة في وادي سمائل ، في بلدة يقال لها حممت كان النصر فيها للنبهاني ، ثم كر الامام عليهم مرة ثانية ، فانتصر عليهم عام سبع وثمانين وثمانمائة للهجرة .

---

(٨) من الجدير بالذكر أن سماحة مفتي عام سلطنة عمان الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي أبقاه الله ، من مدينة بُهلى ، ولا يزال بعض آبائه وأسرته هناك ، وانما رحل والده إلى زنجبار فولد الشيخ ثم عاد إلى عمان .

(٩) أنظر : السالمي نور الدي–تحفة الأعيان : ٣٠٣/١

(١٠) سيأتي بيان ذلك .

وبعد ذلك تذاكر المسلمون أمر الأموال المغصوبة والتي جبيت بغير حق من قبل ملوك بني نبهان ، فنصب الامام وكيلا عن أصحاب الأموال ، ووكيلا آخر عن بني بنهان ، وأقيمت الدعوى أمام القضاة فحكم القضاة في آخر الأمر باستغراق أموالهم في المظالم وأن تعود الى بيت المال ، إلا من جاء من أهل الأموال ببينة على عين ماله ، فانه يعطى اياه (١١)

ولهذا السبب ثار سليمان وأخوه حسام على بني خروص في بُهلى ، فقتل منهم ونهب أموالهم ، وكانت بينهم معركة في نجد السحاماة قرب ازكي وبعد اشتداد الأمر عليهم انتقل أحمد بن صالح بن يحيى جد الشيخ سعيد الى ازكي ، والشيخ مبارك بن يحيى جد الشيخ جاعد الى الجبل الأخضر ، فلاحقاهما هناك ، ودارت بينهم وقائع مرة أخرى .

وبما أن المغترب لا يكون متمكنا في الدفاع عن نفسه في غالب الأحيان ، فقد ارتحل جد الشيخ سعيد الى بوشر ، وبقي هناك ولم يخرج منها ، ثم أولاده من بعده ، حتى اتخذ الشيخ سعيد سمائل وطنا آخر له .

أما الشيخ مبارك فانتزع النباهنة منه امارة الجبل ، وصادروا أمواله الموجودة به ، في مقابل ما أخذه الأئمة عليهم ، والله يؤتي ملكه من يشاء (١٢)

وللبيئة تأثير في نشأة الانسان ، فان هذه المعاناة التي عانى منها آباء الشيخ سعيد أثرت في تكوينه الشخصي ، وجعلته يتوق الى طلب العلم ، ويتقرب إلى الله–تعالى– في جميع أوقاته وخلواته ، وزرعت فيه الأنفة من الظلم والبغي ، وحببت اليه السير على المنهاج الذي رسمه الله لعباده (١٣)

---

(١١) أنظر : نور الدين السالمي ؛ تحفة الأعيان : ٣٧٢/١ ، جوهر النظام : ٣٥٩ط النصر–القاهرة بلا تاريخ .

(١٢) أنظر : أبا بشير محمد السالمي–نهضة عمان : ٣٢٦ نقلا عن الشيخ عبد الرحيم بن سيف ابن حماد الخروصي

(١٣) أنظر : الخصيبي محمد بن راشد–شقائق النعمان : ٣٣٣/٢

وسبب انتقاله إلى سمائل ، ان أعيان القبائل الساكنة مدينة سمائل[١٤] من بني رواحة وآل سعد وآل بكر والسيابيون وغيرهم دعوه، ليقيم بينهم ، فيقوم بنشر العلم ويكون مرجعا لهم ، فطاوعهم على طلبهم ، وهو أول من جاء اليها من آل الخليل ، وبنى منزلا فيها ، وتأثل أموالا ، وحبب اليه المقام فيها ، وما يزال منزله باقيا وهو بيت السيحية ، ومسجده مسجد رحب . وهو الذي يقع جنوب المنزل المذكور ، والمنزل يقيم حاليا فيه الشيخ عبدالله بن علي وأولاده بعد وفاة أبيه .

وبعدذلك حدثت له ضغائن من بعض أهلها ، فأحس منهم الكراهية له ، فهم بالرحيل منها ، ولما سمع به الشيخ سيف بن أحمد الراشدي الأول وهو جد أولاد سيف بن أحمد الموجودين حاليا في وادي بني رواحه ،–وكان هو الشيخ في جماعته من بني رواحة يومئذ–ويرجعون في بعض الأحيان الى سيف بن سليمان الريامي–أتى اليه وطلب منه التأخير ، فلم يوافق في أول الأمر حتى وعده سيف بن أحمد أن يكون هو وجماعته عضدا له ، فوافقه على ذلك ، فأعلن الشيخ سيف في جماعته : أن الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي في ذمته وحمايته ، وأنه هو المرجع والشيخ الكبير في بني رواحة [١٥] وأخبرهم بعدم الرجوع الى الريامي بعد ذلك اليوم ، فقبلوا ذلك ورجعوا اليه في مهماتهم ، واستمر الحال كذلك ، وقام الشيخ بواجبه في سمائل خير قيام فنشر العلم ، والتف اليه الطلاب ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وصار ينتقل بين بوشر وسمائل ، ففي الصيف أكثر ما يكون في بوشر ، وله أموال في الجانبين وانتقال الشيخ الى سمائل كان بعد ما تبحر في العلم على أيدي مشايخ أجلاء وبعد أن كان أهلا لذلك ، وسنذكر مشايخه في المبحث التالي :

المبحث الثالث–دراسته وشيوخه :

بدأ الشيخ سعيد دراسته–كغيره من العمانيين الأقدمين–في مدرسة القرآن الكريم في بلده الأصلي بوشر ، حفظا وتلاوة ، ولا ندري هل كان في نفس قريته أم في القرى المجاورة ، ثم انتقل بعد ذلك للدراسة في مبادىء العربية نحوا وقراءة وكتابة وغير ذلك، مع مبادئ علوم الدين الاسلامي على يد الشيخ سعيد بن عامر بن خلف الطيواني في

(١٤) سمائل مدينة كبيرة تقع جنوب غرب مسقط ، وتبعد حوالي ١٠٠ كيلو تقريبا عنها ، وهي عريقة في القدم بها حصون وقلاع ، وتزرع فيها النخيل والأشجار والخضروات والموز ، وبها أفلاج كثيرة ويسكنها العديد من القبائل .

(١٥) محادثة شفوية بيني وبين المشايخ المعاصرين ، وانظر السالمي محمد–نهضة الأعيان : ٣٢٤–٣٢٦ ، الخصيبي–شقائق النعمان : شقائق النعمان: ٢/١٧٢–١٧٣

قرية سيبا من بوشر [١٦] ثم تاقت نفسه الى التحصيل أكثر وأكثر فتتلمذ على الشيخ حماد ابن محمد البسط من أهل الباطنة وكان هذا هو الشيخ ضليعا في العربية ، والفقه وله يد في العلوم الأخرى ، له همة عالية ، يحب المعروف وأهله ، سريع البديهة قوي الذاكرة [١٧]

ولما تبين للشيخ حماد قدرة تلميذه سعيد بن خلفان الفائقة في العربية نحوا وصرفا وعروضا ، طلب منه نظم كتاب الكافي في العروض والقوافي فلبى دعوة شيخه ، ونظمه ثم شرحه وسماه : مظهر الخافي المضمن الكافي في علمي العروض والقوافي والكتاب موجود وما يزال مخطوطا .

وبعد ذلك رأى من الصواب له أن يتلقى العلم الاسلامي الواسع كأصول الدين وأصول الفقه بتوسع ، والفقه بأبوابه المختلفة على يد الشيخ العلامة النحرير : ناصر بن أبي نبهان الخروصي ، وكان هذا الشيخ له باع طويل في علوم الشريعة الغراء ، وأصبح شيخ زمانه ، وقد تلقى العلم على يد والده العلامة الكبير المسمى بالعالم الرباني والسيد الرئيس جاعد بن خميس الخروصي ، إذ كان هذا الشيخ راسخ القدم في علمي الحقيقة والشريعة وله مصنفات كثيرة ، ولم ينشر منها الا رسالة في أحكام الذبائح ، وكتابه المصور في أحكام الحج والعمرة .

أما الشيخ ناصر بن أبي نبهان فقد ابتلي بأهل زمانه وناله من الأذى الشيء الكثير بسبب قيام والده بالأمر في نزوى ، ولا مجال لذكره هنا ، بيد أن هذا الشيخ كان ضليعا في علوم العربية والعلوم الاسلامية والفلك .

فلازمه الشيخ سعيد ونهل من معينه الفياض ، واستفاد من علمه ما أهله لأن يكون خير خلف له في تلك العلوم ، بل زاد عليه وأجاد وتأثر الشيخ سعيد كثيرا بأسلوب شيخه ناصر هذا ، كما أن الشيخ ناصر كان متأثرا جدا بأسلوب والده الشيخ جاعد ، فالثلاثة كلهم روافد لنهر واحد شرب منه من جاء بعدهم ، وما أشبه أسلوب الثلاثة بأسلوب الشيخ أبي سعيد الكدمي –رحمه الله– وهو الذي يطلق عليه إمام المذهب في الأثر المشرقي .

---

(١٦) مقابلة مع الشيخ أحمد بن حمد الخليلي –حفظه الله– وروى لي بعض قصص عنه تحكي سرعة بديهته ولكني تركتها و لم أستطع الحصول على معلومات اضافية عنه ولا عن ولادته ووفاته .

(١٧) لم أستطع العثور على معلومات كثيرة عنه ولا عن سنة وفاته ، ولكنه كان موجودا الى عام ١٢٦٧ هـ من واقع نسخ الكتب له ، وأورد الشيخ محمد الخصيبي في شقائق النعمان : ٢٠٦/٣ معلومات عن أخيه الشيخ صالح بن عامر .

وكان الشيخ ناصر –في أول أمره– مستقرا مع والده في بلدة العليا من وادي بني خروص ، التي تقع على سفح الجبل الأخضر من جهة الشمال ، الا أنه بعد وفاة والده صار متنقلا من مكان الى آخر لظروف اقتضت ذلك ، وتردد كثيرا بين بلاد قومه بني خروص ، وبين نزوى وسافر الى زنجبار ، وعاني من عدم الاستقرار وشظف المعيشة وسوء الأحوال . خاصة بعدما دمرت أموال والده .

ويحكى عنه أنه عاش في علاية نزوى مدة سنة كاملة ، ليس له قوت سوى الخبز اليابس بالليمون والملح والماء[18] وقال حاكيا بنفسه عن ذلك :

معيشتنا خبز لغالب قوتنا ... وماء وليمون وملح وقاشع
فإن حصلت مع صحة الجسم والتقى ... فيا حبذا هذا بما هو قانع[19]

وبعدما علم السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي حاكم عمان يومئذ ، بمكانة الشيخ العلمية ، وبسوء حاله في نزوى طلبه ليأتي اليه بمسقط ، ويروى أن مستشاري السيد أو وزراءه أشاروا اليه باستقدامه ، وفي ظاهر الأمر أنهم عابوا عليه ما حل بالشيخ من البلاء والجهد والفاقه في نزوى ، (فلما وصل عنده حياه وكرمه ، وعظمه وكساه ، وجعل له فريضة معلومة ، وبيوتا مستورة ، وتزوج له من أحسن نساء أهل زمانه ، ومهما مشى خطوة في حضر أو في سفر ، أخذه في صحبته وأطعمه من طعامه ، واستشاره في أكثر أموره ، في طول زمانه ، الى أن توفاه اللّه الى رحمته ، توفاه في حجره وجواره في بندر زنجبار)[20]

هكذا كان الشيخ آخر عمره متنقلا مع السيد سعيد بن سلطان ، ولعله كان الشيخ يتردد عليه قبل هذه الفترة ، وعندما يكون في مسقط لقربها من بوشر .

ورفع لي بعض المشائخ : أن الشيخ ناصر كان يأتي هو الى بوشر مع الشيخ سعيد فيقضي رمضان عنده كل عام ، لأن الشيخ سعيد كان ذا وفرة من المال الذي آل اليه بالارث من آبائه ، فكان الشيخ يأكل التمر والماء فقط ، ثم يأبى بعد ذلك من أكل العشاء حتى السحر ، تعففا منه ، ولئلا يثقل على تلميذه ولا يشبع بطنه[21]

---

(١٨) أنظر السالمي نور الدين–تحفة الأعيان : ١١٧/٢

(١٩) م ن والصفحة

(٢٠) أنظر السالمي نور الدين–تحفة الأعيان : ٢٧/٢ نقلا عن ذي الغبراء خميس بن راشد العبري .

(٢١) مقابلة شفوية مع الشيخ سالم بن حمد الحارثي أبقاه اللّه .

وكان هذا الشيخ عارفا بالله -تعالى- ، كثير الانقطاع اليه ، يظهر ذلك من توسلاته بالمولى -عز وجل- ، مشمرا في المطالعة والتحصيل ، كثير التوكل على الله -عز وجل- والمتتبع لأجوبته يلاحظ رسوخ قدمه في أصول الدين ، ومسائل العقيدة المرتكزة على الكتاب والسنة ، واجماع السلف ، ويظهر منها أيضا بعد نظره في مسائل الخلاف وتأصيلها ، وفق قواعد أصول الفقه والاختلاف بين علماء الأمة في مسائل الرأي ، ويمتاز أيضا بكثرة التخريج للمسائل الفقهية وتفريع الفروع فهو عالم واسع الاطلاع ، يأخذ بالرأي في موضعه .

وللشيخ مؤلفات عديدة نذكر منها ما يلي :

العلم المبين والحق اليقين ، ويطلق عليه تنوير العقول في علم قواعد الأصول ، الديوان المصطفى في الصنعة الفلسفية والحكمة الربانية ، طرف الألطاف والسر الخفي في شرح مربع الشكل القافي والشكل الألفي ، وكتاب الجواب وكتاب الاخلاص ، وكتاب محك الأشعار ، وكتاب مبتدأ الأسفار ، وكتاب الصفي المصفى ، وكتاب غاية المنى ، وكتاب المعارج ، وكتاب سراج الآفاق ، وكتاب رسالة الصون ، وكتاب المستغرق للحجج ، وكتاب منتهى الكرامات ، وكتاب المعارف ، وكتاب رسالة الأوضاع ، وكتاب السر العلي ، وكتاب السر المعظم ، وكتاب التنبيه ، وكتاب رسالة الفوز ، وكتاب الرسالة المديدية ، وكتاب سلامة الحال (٢٢)

وله أجوبة كثيرة لم يعتن أحد بجمعها واخراجها حتى الآن ، ومنها مجموعة أجوبة أرسلها الى الشيخ سعيد بن يوسف المصعبي بالمغرب ، وهي مخطوطة بخط مشرقي (٢٣)

وأكثر ما أخذ الشيخ سعيد عن الشيخ ناصر بن أبي نبهان ، الى أن ارتحل هذا الشيخ الى زنجبار ، وتوفي فيها في يوم ٢١ من جمادى الأولى عام ١٢٦٣هـ ومولده ببلد العليا من وادي بني خروص ، وعمره ٧١ عاما (٢٤)

وللشيخ ناصر أخوة علماء ، وهم نبهان وقد قتل في نزوى ، ويحيى وسعيد وخميس وهو الذي طلب منه أن يكون اماما قبل عقد الامامة على عزان بن قيس ، فأبى ، وغيرهم .

---

(٢٢) ابن رزيق حميد بن محمد -الفتح المبين في سيرة البوسعيديين : ١٥٠ ط وزارة التراث القومي والثقافة ١٣٩٧-١٩٧٧م

(٢٣) صورتها من جربه .

(٢٤) السالمي نور الدين -تحفة الأعيان : ٢/٢١٧

وقد نظم الشاعر حميد بن محمد بن رزيق ديوانا كاملا في مديح الشيخ ناصر هذا [٢٥] وكان الشيخ ناصر بمكانة عالية لدى تلميذه الشيخ سعيد بن خلفان ، وعندما تعرض عليه جواباته للنظر فيها يعتز بها كثيرا ، ومن أمثلة ذلك قوله :

أ- وما كنا بتاركي قول شيخنا ولا رادين على أحد من علماء مذهبنا الا حيث لا يجوز الاتباع لخرقه الإجماع [٢٦]

ب- إنه كلام من حسن من قول شيخنا [٢٧]

جـ- ان قول شيخنا الفقيه في هذه المسألة العظيمة ، هو الحق الذي لا يأباه منصف ، ولا يتجاوزه الا متعسف فهو القول الصحيح والحق الصريح [٢٨]

وهو متأثر بشيخه هذا أكثر من تأثره بغيره من مشايخه ومع هذا فله مخالفات معه [٢٩]

وعند ذكر أي رجل من الشخصيات البارزة في أي مجتمع فلا بد من ذكر الحياة الاجتماعية لذلك الرجل ، اذ لعله يؤثر أو يتأثر بها ، وما هو حال أسرته بعده وهذا ما سأقوم بذكره في المبحث التالي :

المبحث الرابع-حياته الاجتماعية وأسرته :

بعدما شب الشيخ سعيد وترعرع وبلغ الحلم أراد جده أن يحصنه بالزواج ، وربما كان ذلك بطلب منه بنفسه ، فزوج له جده ابنة الشيخ سليمان بن ماجد الخروصي ، وهي أم ولديه محمد وعبدالله والدا الأسرة الباقية من نسله اليوم ، ووالد الامام محمد-رحمه الله- وبنت واحدة وهي شمساء ، التي تزوجها الامام عزان بن قيس بعد توليه الامامة ، ولكنه لم ينجب منها ، فتأيمت عليه بعد قتله ، ولم تتزوج من بعده ، ثم تزوج الشيخ سعيد زوجة ثانية وهي خروصية أيضا ولدت له ولدا واحدا هو الشيخ أحمد بن سعيد ، وتوفي وله أربعة أولاد فقط كما رأيت .

فأما محمد فقد استشهد معه وعمره في حدود السابعة عشرة فقط ، وأما عبدالله فقدكان عمره يومئذ حوالي الرابعة عشرة كما يقول بعض أحفاده ، وتسع سنوات كما

---

(٢٥) يوجد هذا الديوان بمكتبة معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي بالسيب .

(٢٦) جواب الشيخ سعيد بن خلفان مخطوط بمكتبة وزارة التراث القومي المخطوطة .

(٢٧) م ن والصفحة

(٢٨) م ن والصفحة

(٢٩) أنظر الفصل الثاني من هذا البحث ، المبحث الثامن .

ذكر الشيخ محمد السالمي في نهضة الأعيان .

وكان عمر أحمد يومئذ سبع سنين ، وكانا في بوشر لمنزل والدهما ، فحملهما بنو رواحة خفية الى سمائل ليقيما في منزل أبيهما الثاني ، وليكونا تحت مراقبتهما للقيام بواجب تربيتهما والاحسان إليهما ، تأدية لحق والدهما ووفاء بالذمام من أجل الصداقة والصلة التي كانت بين والدهما وبني رواحة ، وتزوجت والدة الشيخ سعيد بعد وفاة والده ببلدة سيبا من بوشر .

ونشأ الشيخ عبدالله وطلب العلم صغيرا ومراهقا ، حتى أصبح عالما أديبا وشاعرا ماهرا ، فقرض الشعر وله يد طولى فيه يقول عنه الشيخ محمد السالمي :

(وكان عالما جليلا كثير الاطلاع على فنون العلم ، كثير قيام الليل ، وهو الأمير والسيد المطلق في وادي سمائل ، وله اليد الطولى والنصيب الأوفر في الحظ والمجد ، يجر الجيوش بعمان ، لقهر من خاصمه وردع من ناوأه) [٣٠]

وقال عنه الشيخ محمد بن راشد بن عزيز : (الشيخ العالم الجليل النبيل أبو عمرو عبدالله ابن سعيد بن خلفان الخليلي كان من الأدباء المشهورين في وادي سمائل وكان مسكنه في العلاية منها) [٣١] أي في منزل والده .

وأورد له قصائد من شعره ، تنبيك عن مكانته الراسخة في الأدب ، منها قوله :

لـو كـنـت بـالـرزق المقـدر أقـنـع ... مـا كـنـت في عـمـري لخلـق أخضـع
أتـعـبت نـفـسـي في لـعـل وفي عسـى ... وجـمـيـع أفـراس الأمـاني ظـلـع
مـا كـنـت أحسب أن أصـاحـب مـعـشـرا ... أبـدا الى مـرضـاتـهـم أتصـنـع
هـيـهـات لا يـرضـى بصـحـبـة مـثـلـهـم ... إلا الـذي عـن غـيـه لا يـرجـع

إلى أن قال :

إن تـقـصـدوا بـاب الملـوك فـمـقـصـدي ... بـاب الـذي يـعـطـي الملـوك ويمنـع
وإذا طـمـعـتـم في نـفـائس نـيـلـهـم ... فـأنـا الـذي فـيـمـا لـديـه أطـمـع

---

(٣٠) السالمي محمد–نهضة الأعيان : ٣٣٢

(٣١) محمد بن راشد الخصيبي–شقائق النعمان : ٢٤٣/٢

إلى أن قال :

يـا رب عـبـدك قـد أتـى مـتـنصـلا ... مما جـنـى والى جـلالك يضـرع
خـلـفت خـلـفـي بـاب كـل مـؤمـل ... وأتـيت مـفـتـقـرا لـبـابك أقـرع
فـأنـظـر الي واغـنـنـي يـا واسـع ... عـن كـل خـلـق ان فضـلك أوسـع
مـالي سـوى فـقـري الـيك ذريـعـة ... فـهـو الشـفـيـع وفي نـداك مشـفـع[٣٢]

وفي قصيدة أخرى يقول :

أجـاهـل قـدري انما أنت لي عـذر ... فـمـا أنت تـدري بـي ومـا الخبر الخبر
أتـنـظـر عين الشـمس عين عـمـيـة ... وتسـمـع قـول الـرشـد أذن بـهـا وقـر

الى أن قال :

ألست مـن الـقـوم الـذيـن تـظـاهـروا ... عـلـى طـاعـة المولى لـه الخلـق والأمـر
أولـئك قـوم يـعـلـم الـلّـه أنـهـم ... بـهـم يـعـرف المجد المؤثـل والـفـخـر
لـهـم قصـبـات السبـق في حـلـبـة العلى ... لنعم على من تحتها اخمصها الغفر[٣٣]

وكفى بما أورده العلامة السالمي والعلامة الخصيبي من الثناء على هذا الشيخ ، وجاور السلطان تيمور بن فيصل جد جلالة السلطان قابوس–حفظه اللّه– ، منذ شهر المحرم عام ١٣٣٢هـ في عهد الامام سالم بن راشد الخروصي ، ولم يمكث عنده الا أربعة أشهر ، وكان ذا حظوة عنده ، وأفاض عليه من نائلة رفده ، وقتل في بلدان الحواسنة في شهر جمادى الثانية من هذه السنة برمية سايبة[٣٤] وخلف ولدين هما الامام العلامة العامل محمد بن عبداللّه الخليلي–رضي اللّه عنه– ، والشيخ الجليل علي بن عبداللّه والد الأسرة الحالية ، وسيأتي ذكرهما .

وأما الشيخ العلامة أحمد بن سعيد فهو علامة مقدام ورع لا يخاف في اللّه لومة لائم، يقول عنه السالمي : (أما العلامة الشيخ أحمد بن سعيد فانه عاش علامة فقيها ورعا ، عليه مدار الفتيا والقضاء بوادي سمائل ... وكان شهما جريئا يأمر بالمعروف وينهى

---

(٣٢) م ن ص ٢٤٤–٢٤٥

(٣٣) م ن والصفحة

(٣٤) أنظر السالمي محمد ، نهضة الأعيان : ٣٣٢–٣٣٣

عن المنكر في وقت الكتمان ولا يرد أمره)[٣٥] وقال فيه الشيخ الخصيبي :

(وأخو الفضل أحمد بن سعيد   من خليل بيت العلا والأناة
كان علامة وشهما جريئا   وزكيا كريم نفس وذات
نظمه قد بدا عجيبا مفيدا   يتجلى كالشمس في الضحوات)

ثم قال : كان بحرا زاخرا في العلم ، عليه مدار الفتوى والقضاء في وادي سمائل ، وكان شهما جريئا يقول الحق ويرد الباطل ، ولا يبالي[٣٦] وله غيرة على الدين ، يذب ويحامي عنه ، بيده ولسانه ويراعه ، وكان ورعا نزيها عفيفا سهلا للمهتدي ، شديدا على المعتدي ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولا يرد أمره واستفاد من علمه خلق كثير ، وقد زهرت البلاد بوجوده ، واستنارت بعلمه ، وكثرت الخيرات ببركته وسيرته، فلله دره من عالم قضى حياته في طاعة اللّه ونصرة الحق ، ونشر العلم وارشاد الناس، فقد خدم الاسلام بالنصح والاخلاص)[٣٧] وكفى بما ذكره من ثناء على هذا الشيخ فلم يبق فيه قول لقائل ولا مدح لمادح ، فهو أعلم به لأنه كليهما من سمائل .

وقد أورد بعضا من قصائده في السلوك وبعض النصائح وبعضها في الفقه سؤالا وجوابا ، وله أسئلة وأجوبة نظمية ونثرية ، أدمجها الشيخ سالم الحارثي ضمن أجوبة ابن أخيه الامام محمد بن عبداللّه الخليلي في الكتاب المسمى «الفتح الجليل من أجوبة الامام أبي خليل» .

ورأيت له مجموعة أجوبة على أسئلة أرسلها اليه الشيخ عيسى بن صالح الحارثي في مكتبة المخطوطات بوزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ، ولا أدري هل ضمنت جواباته المطبوعة في الفتح الجليل أم لا ؟ .

وابتلي الشيخ رحمه اللّه بالصرع وكان في صراع معه ، حتى وافته المنية بسببه اذ سقط في فلج السمدي بسمائل ، فغرق فيه ، وكان ذلك في اليوم الحادي عشر من شهر

---

(٣٥) م ن ٣٣٢ ، الفتح الجليل من أجوبة الامام أبي خليل : ٧٧

(٣٦) أخبرني الشيخ العلامة حمد بن عبيد السليمي –رحمه اللّه– أن الشيخ أحمد سمع ذات يوم بأحد المبشرين يوزع الانجيل هدايا بسمائل ، فغضب الشيخ فأمر بجمعها ثم احراقها أمامه فلله دره من غيور .

(٣٧) الخصيبي ، محمد بن راشد–شقائق النعمان : ٣/١٤٦–١٤٧، ٢/٢٤٤

ذي الحجة من عام ١٣٢٤هـ وعمره نيف وأربعون سنة [٣٨] قضاها في الجد والتحصيل والاستفادة والافادة–رحمه اللّه– ، ولم نعلم أنه ترك ذرية .

ونعود الآن الى ذكرى ولدي الشيخ عبداللّه بن سعيد وهما محمد وعلي حسبما وعدنا بذلك من قبل .

ونقدم ذكر الامام محمد–رضي اللّه عنه–لفضله وتقدمه ، وكونه لا عقب له ، وسأذكر نبذة عنه فقط ، حسبما يقتضيه هذا البحث ، والا فسيرة هذا الامام لا يأتي عليها مجلد ولا مجلدان ، وسآتي باليسير لأجل التعريف ، فأقول : هو الامام محمد بن عبداللّه بن سعيد ، عقدت له الامامة على يد العلماء والقضاة والرؤساء في عصره في اليوم الثالث عشر من ذي القعدة من عام **١٣٣٨هـ** بجامع نزوى ، وكان مولده بقرية سمائل عام **١٢٩٩هـ** ونشأ في حجر أبيه العلامة عبداللّه بن سعيد ، وقرأ النحو والصرف على الشيخ محمد بن عامر الطيواني ، وأخذ العلم أيضا عن أبيه وعن عمه الشيخ أحمد بن سعيد الآنف الذكر ، وبعد وفاته هاجر الى القابل بالشرقية ليتلقى العلم بتوسع من الشيخ العلامة نور الدين عبداللّه بن حميد السالمي–رضي اللّه عنه– ، وكان في سمائل قبل سيره الى القابل ، دائم المذاكرة والمسامرة لأبي وسيم والشيخ حمد بن عبيد السليمي والبحر الأسود عبيد بن فرحان [٣٩]

يقول عنه محمد السالمي: (ثم هاجر إلى شرقية عمان لدراسة العلوم ، فقرأ على نور الدين السالمي التفسير والحديث والأصول ، وفنون العلم فصار علما من الأعلام وحجة في المعقول والمنقول والمنثور والمنظوم ، فهو اليوم أكبر عالم بعمان ، اليه منتهى رئاستها ، وفي الحلم والعلم وحل المشكلات وكشف العويص ، قضى أيامه مكبا على التعليم فأحرز قصبة السبق) [٤٠]

أما أخلاقه–رحمه اللّه–فلا أجدني أستطيع وصفه ، لايعرف واصفه كيف يصفه ، بما يعجز عنه الواصفون ، ورأيت من الأحسن أن أورد ما أورده العلامة السالمي حيث يقول : (بعيد من الصلف ، بعيد الغضب ، لا تراه غضبان أبدا الا اذا انتهكت محارم اللّه ، دائم الفكر ، حمول للأذى ، واسع الصدر ، أكثر دهره صامتا ، اذا تكلم تكلم بعلم ، واذا

---

(٣٨) م ن والصفحة ، السالمي محمد ، نهضة عمان : ٣٣٢ ، الفتح الجليل : ٧٧٠

(٣٩) أنظر : السالمي محمد ، نهضة ، عمان : ٣٢٢–٣٢٣

(٤٠) م ن ٣٢٣–٣٢٤

سكت فعن أدب ، أعطاه اللّه «صدق» التوسم فاذا دخل عليه الزائر وجه نحوه شعاعا قويا من عينيه ، فاستخرج بتوسمه ما أكنه بين يديه فعبر له عن فكره قبل أن يفوه بمراده ، بعبارة وجيزة لا يحسنها الزائر ، وأعرب له عن قصده الذي جاء اليه ان خيرا أو شرا ، فيتحقق بعد الفحص صدق حدسه ، حتى إن بعض الوفود يرتج عليه أن يفوه عنده بشيء ، يباسط الناس الخاصة والعامة ، ويقص لهم القصص الدينية والآداب الدنيوية أحرز الحالتين ، يسلي المتوجع ، لا يرد سائلا ولا مسترفدا ، ولا يملك ما بيده، أكرم أهل زمانه ، كانما عناه القائل :

ولو لم يكن في كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق اللّه سائله

يقضي نهاره في خدمة المسلمين ، يجره المرأة والخادم والصغير والكبير ، والضعيف والقوي ، لا يإنف من أحد فيقضي حاجتهم ويرجع إلى مجلسه حتى انه في بعض الأوقات يتولى بيده علاج بعض المرضى من الضعفاء ويتولى كل أمور المسلمين ، حتى بروات[41] الطعام لدواب الضيوف ودواب الدولة ، ملك روح الشعب بالمحبة والسياسة واللين ، لا بالقوة والجبروت ، عظمه الناس لصغر الدنيا في عينيه ، فلا يرى لها قدرا .

كان قبل ارتقاء عرش الامامة في رغد من العيش وتأنق من اللباس لانه كان غنيا ، فلما ولي الأمر رغب عن ذلك مع كثرة غناه ، فكان يطوي الأيام والليالي ، ويفطر على التمر والعوال [42] كثير صيام التطوع حتى ابتلي بنقصان في بصره ، لكثرة صيامه وتقشفه في المعيشة ، بقى خمسة أشهر مكفوفا ، فاحتاج الى علاج الدكتور فأرسل إلى توماس الأمريكي من مسقط [43] فلبى دعوته ، فعالجه فأبصر من احدى عينيه .

كان لا يلوم أحدا على ما يكون العذر في مثله ، يلتمس العذر لاخوانه والتخلص له من العثرة ، لا يشكو وجعا ولا صاحبا ، ولا ينتقم من الولي على العدو ، ولا يغفل عن الولي ، لا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه ، ولا يتبرم ولا يتضجر ، تأتيه الحوادث وتطرقه الكوارث ، فلا يتغير ولا يتضعضع ، يتلقاها بصدر أوسع من الدهناء ، فاذا جاء الجد فهو الليث عاديا .

كانت له ثروة خاصة عدا بيت المال ، وهي مما ورثه من آبائه الكرام ، فباع أصولها

---

(٤١) بروات جمع بروة وهي الرسالة الصغيرة القليلة الأسطر ، وهي لهجة عند العمانيين ويعنى بها أوامر الاطعام الى خازن بيت المال .

(٤٢) العوال هو السمك المجفف من نوع خاص

(٤٣) كان هذا طبيبا في الارسالية الامريكية بمطرح أيام السلطان سعيد بن تيمور وعيادته هي التي يقال لها الآن مستشفى الرحمة .

بمائة ألف قرش وخمسين ألف قرش .. [٤٤] أي أنفقها كلها في سبيل اللّه لاعزاز الكلمة ، وأن تكون له ذخرا عند اللّه ، وتوفي و لم يعقب ولدا ولا مالا فهو–رحمه اللّه–منقطع القرين) [٤٥]

أوردت هذا النص بطوله ، لأنه جاء مستوفيا لأخلاق هذا الامام وقائله معاصر له ومتتبع لأحواله وهو وال من ولاته ، فلن نبلغ ما بلغه في القول ولو قلنا بعده .

وتوفي بنزوى في الحصن الشهير في صباح يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر شعبان من عام ثلاثة وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة فرضي اللّه عنه وأرضاه [٤٦]

وأما أخوه علي بن عبداللّه فقد بقي ببوشر واليا للسلطان تيمور بن فيصل مدة طويلة وتوفي بمطرح في عصر أخيه الامام في يوم **٢٨** ربيع الأول من عام ثمانية وستين وثلاثمائة وألف للهجرة رحمه اللّه وغفر له [٤٧]

وتحلّى الشيخ سعيد بحميد الصفات وكمال الأخلاق من صغره ، واليك البيان :

المبحث الخامس–صفاته وأخلاقه :

كان الشيخ سعيدا رجلا متواضعا للصغير والكبير ، يلبي للناس دعوتهم ، ويقضي حاجتهم ، رفيقا بهم ، قائما باصلاح ذات البين بينهم ، شديدا في الحق لا تأخذه في اللّه لومة لائم ، واسع الصدر للناس الا اذا انتهكت محارم اللّه ، محبا للمؤمنين ، لا يقر على الضيم ، ولا يسكت عن انكار المنكر عند حدوثه ، ينفق أمواله في سبيل اللّه–تعالى– ، يطعم الطعام ، وينفق على المتعلمين من خالص ماله ، وخاصة المنقطعين اليه لطلب العلم الشريف ، كان كثير الصلاة والتقرب الى اللّه–تعالى–بأنواع القربات ، أوقف كثيرا من أمواله ببوشر وسمائل لبيت المال والمساجد ، كثير التوسل الى اللّه تعالى والتضرع الى المولى عز وجل بقصائد نظمية أو أدعية نثرية لنيل العلم والفضل والتوفيق على القيام بالاصلاح الاجتماعي ، كثير التأسي على فقدان الحق وأهله وظهور الباطل ، وانطماس السنن

---

(٤٤) المراد به القرش النمساوي الذي كان مستعملا في عمان ووزنه سبعة مثاقيل فضة ولا يزال موجودا لدى تجار العملة وبائعي صوغ الفضة ، وهذا المبلغ يساوي نصف مليون بصرف اليوم ، ولكنه في القيمة الشرائية يساوي أكثر من خمسة ملايين ريال عماني .

(٤٥) السالمي محمد ، نهضة الأعيان : ٣٢٤–٣٢٥، الخصيبي، شقائق النعمان : ٢/٢١٥

(٤٦) م ن ص ٤٣٠

(٤٧) م ن ص ٣٣٤

المحمدية [٤٨]

له قصائد مطولة في السلوك فريدة في فنها ، وألهمه اللّه-عز وجل-علم الأسرار ، وكان يحب طلبة العلم كثيرا ، ولكنه يختبرهم قبل أن يخلص لهم ليتعرف على صدق عزمهم في الطلب ، وهي طريقة اتخذها كثير من علماء السلف يوم أن كان الطلاب للعلم كثيرين ، وطلب العلم فاشيا بين الناس ، وخاصة علم الأسرار ، فكان يختبرهم الشيخ خوفا من تضييع العلم وعدم القيام بواجبه كما جاء في جوهر النظام :

والعلم فحل لا يطيق حملا　　　له سوى من كان منا فحلا[٤٩]

فكان علماء السلف يتخيرون الطلاب ، ليكون من يقع عليه الاختيار أهلا لهذا المطلب ورجاء تحقق المطلوب فيه ، فيسطع في قلوبهم نور العلم ، اذ الدر لا يلقى على الكلاب ؛ والمزارع الماهر هو الذي يتخير التربة التي يضع فيها البذر ليكون الزرع صالحا ومنتجا .

فكان الشيخ يتخير من الطلاب أشدهم صبرا ، وأكثرهم مثابرة وعزيمة وألينهم عريكة وأعظمهم أخلاقا وتواضعا ، وأوفاهم بالعهد ، وأكثرهم تحملا في مواطن الضيق ، وسيأتي بيان تبكيته لسائله تهذيبا له في آخر هذا المبحث ، وكان الشيخ كثير الشكوى من زمانه وأهل زمانه ، لما رآه من انحطاط القيم وانهيار الأخلاق وكثرة الاعتداءات على حدود عمان ، والطمع فيها من قبل الغير ، وعدم الاستقرار والأمن ، واهانة العلماء والضعفاء من مثل قوله :

ومن لي بهذا في زمان مضاعة　　　به سنن الاسلام بين قرود
ومن لي بأن يرضي الاله لدينه　　　بتعطيل أحكام ورفض حدود
ومن لي بأن يرضى لأمة أحمد　　　وقد سامها بالخسف كل كنود[٥٠]

---

(٤٨) أنظر الخصيبي ، شقائق النعمان : ٤٠٧/١ وقال عنه في قصيدته :

والخليلي ذو العلوم سعيد　　　ابن خلفان كاشف المعضلات
الامام المحقق القدوة الثبت　　　زكي الفعال خير التقاة
أشرقت في السلوك عنه قواف　　　تتلألأ سنا لكل الهداة
وله في وقائع الحرب نظم　　　باهر لا تحده بصفات
ولكم في العلوم عنه نظام　　　من أراجيز أحكمت نيرات

(٤٩) السالمي نور الدين ، جوهر النظام ١٩٢

(٥٠) الفتح الجليل من أجوبة الامام أبي خليل : ٧٧٤

رقة الايمان والابتعاد عن الفضائل ، والانهماك في الملذات وحب الذات وكثرة الأطماع ، وعدم القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فصار ينشد استقامة السلوك الحميد في المجتمع ، ويلهب قلبه حماس الايمان ، والغيرة على الاسلام .

ومع هذا فانه ما كان يدعي المعرفة والعلم ، بل كان متواضعا جدا في هذا المسلك فتراه يحتقر نفسه في العلم ولا يحب الافتاء كثيرا ، ولا يلزم الناس بالأخذ بقوله (٥٤) ، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا في أجوبته ورسائله الفقهية ومن الأمثلة على ذلك ما نصه : (وقد اعترفت بقلة المعرفة ولست أنا من أهل الفتيا ولا من أهل الرأي والقياس ، ولا تقبلوا شيئا مما أقوله لكم الا بعد النظر فيه فان وافق الحق والا فليترك ، ولا تتكلوا على مسائلي فإني قليل المعرفة ظاهر الجهل عارف بذلك ، وإنا وإياكم كلنا ضعفاء ينبغي أن نسأل غيرنا من العارفين حتى يدلونا على أمر ديننا الذي يعنينا) (٥٥)

وقال في موضع آخر : (اللّه أعلم وما أخوفني الا أن تكونوا بحالي مغترين مع كونكم الى البحث كالمضطرين ، لعدم الفقهاء وقلة العلماء في هذا الزمان الكدر ، والذي أعلمه من نفسي وأخبركم به عني ، أني كثير الجهل قليل العلم ، متكلف النظر ، لا من أهل الرأي ولا من ذوي البصر ، وعلى ما بي من قلة الدراية والتفطن للدقائق من النظر والغوص على غوامض الحقائق من الأثر) (٥٦)

وكفى بهذين النصين دلالة على عدم تبجحه بالعلم والظهور بمظهر الرائد والحارس في الميدان ، فهو يقر لغيره بالسبق ، ويعترف بفضل السلف ومن على شاكلتهم ، ويدلنا ذلك أيضا على توجهه الى اللّه –عز وجل– وابتغاء ما عنده ، بل انه يعيب على طلبة العلم السايرين في هذا المسار ، الراغبين بعلمهم الفوز في هذه الدار ، وانظر اليه حيث يقول في ذلك : (فلا تسألني عن شيء فإني لا أجيبك بعدها وإني لا أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي ، ما وجدت الى ذلك سبيلا ، الا أن يشاء اللّه ربي وسع ربي كل شيء علما ، لأني ضعيف العلم قليل الفهم ، وفي المناظرات دقائق وآفات موبقات ، قل أن يسلم منها سائل أو مجيب اذ لا يسلم منها الا أولو الألباب وقليل ما هم (٥٧)

---

(٥٤) أنظر على سبيل المثال : ١٨٦ ، ٢٠٨/٥ من التمهيد

(٥٥) التمهيد : ٦٩/٦

(٥٦) م ن جـ٢١٨/٢

(٥٧) لعله استشف من السائل المناظر في هذا رائحة المباهاة والعجب ببحثه هذا .

وأعلم إنا وإياك هذا مسئولون ، وبصدق الارادة فيه مطالبون ، وبه عليه مجزيون يوم لا يقبل الا الحق ، ولا ينفع الا الصدق ، ولا ينجي من العذاب مع العفو الا الاخلاص ، وكيف الخلاص يوم لات حين مناص ، اذا كشف الغطاء ، وظهر ان ذلك كان منا لغير ذات اللّه ، وأعلن به ظهورا على رؤوس من الأشهاد انه انما كان على وجه المباهاة والمراء والمفاخرة وارادة الشهرة واستمالة ألباب العامة ، وحب المحمدة والاستتباع والاستعلاء على الناس أو أنه لأجل المأكلة والعطاء والتقرب عند الأمراء الى غير ذلك من الأخلاق الذميمة والأوصاف اللئيمة والمطالب الدنيوية التي اتصف بها لصوص العلماء سراق العقول علماء السوء المقبلون على الدنيا ، وذلك هو الخسران المبين ، فياحسرتنا ان كنا كذلك وصرنا من حزب أولئك الذين هم على غير شيء وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، واني لأرى هذه الأوصاف وأشباهها التحقت بأهل زماننا هذا من الطلبة الا قليلا منهم) (٥٨)

فكأن الشيخ أنتقد السائل في هذا الجواب بكثرة مناظرته فأراد أن يبكته وأن يهضم نفسه أمامه ، وطالما هضمها أمام مولاه وأمام العلم ، وألقى حظوظها في التراب ، فلا حظ للنفس عنده ولا ميزان لها بين يديه ، ومواقفه كلها تدل على ذلك فهو القائل : (فإن مقصودي في السلوك لمعبودي تطهير نفسي من معايبها وانقاذها من شوائبها ، حتى تتخلى عن هواها ، فتصلح لأن تتجلى في خدمة مولاها ، فاني لم أخلق لسواها) (٥٩)

كيف لا وهو الذي تذلل بين يدي مولاه ، للوصول الى رضاه ، وقصائده السلوكية تشهد بذلك ، وهو فارس ميدان سباق التوسل الى اللّه –عز وجل– ، وطلب الفتح الالهي من عنده واقرأ قوله :

عــرج عــلــى بــاب الــكــريم المفضــل ... وألـــثـــم ثـــراه ســاعـــة وتـــذلـــل
فــلــئـــن رزقت لـــدى حـــمـــاه وقـــفـــة ... تـــربت يـــداك بـــنـــيـــل مـــا لم تـــأمـــل
ولـــئـــن نشـــقت شـــذى ذراه ســـاعـــة ... فـــلك الـــبشـــارة بـــالمقـــام الأطـــول (٦٠)

---

(٥٨) التمهيد : ١١/٩٩ ، ٢٣٠–٢٣٢/١٠

(٥٩) م ن جـ ١٣٨/١٢ .

(٦٠) شقائق النعمان : ٣٣٨/٢

الى أن قال :

يا من يشاهد أو يرجي غيره ... كمل بصيرتك التي لم تكمل
ان كنت تعرفه وترجو غيره ... فلأنت من عرفانه في معزل
ولئن شهدت لمن سواه تكرما ... فلقد عدلت عن الطريق الأعدل
هل عاينت عيناك قاصد باب ذي ... كرم فعاد بخيبة وتنصل[٦١]

وللشيخ شروط في التوسل وطلب العلم ، فهو لا يصلح كل واحد ، ولا تستطيع كل نفس الوصول الى ذلك السبيل ، فمنها العلم بالله–تعالى–وكمال الايمان به والتقوى والورع والعزم والتوكل واقرأ هذه الأبيات في ذلك:

سلوك طريق العارفين بعرفان ... يلذ لأرواح غذين بايمان
يطيب لها فيه عناها فلم تزل ... مسافرة لا تستقر بأوطان
من العلم أعلام لها ودلائل ... ومن همة شماء والعزم ظهران
وزاد من التقوى لتقوى بنهجها ... ومن فقرها أوفى رفيق ومعوان
ومن ورع درع وسيف من الحجى ... وحصن من التفويض في كل حدثان
فقامت على حكم التوكل ترتجي ... بلوغ المنى ما بين خوف وأحزان[٦٢]

ومن أخلاقه انصافه للناس جميعا ولو كان من الأباضيه لغيرهم ، فلا تجوز اعانة الاباضية على غيرهم لأن ذلك من الابتداع في الدين ، ومن غير سيرة أهل العدل ، بل في الغالب على الدنيا ، فليس بعد هذا انصاف من النفس ، بل هذا من تمام مكارم الأخلاق ، والتزام الحق ولو على النفس [٦٣]

وكان الشيخ سعيد كثير التوكل على اللّه–تعالى–، لا يتعلق بالأسباب ، وذلك ظاهر من كلامه في مراسلاته وأجوبته لسائليه ، ومن مظاهر توكله–رحمه اللّه–انه اطلع على بيتين من الشعر فيهما تعلق بالمسببات في طلب الرزق فأراد أن يرد على ذلك القائل بما يؤكد التوكل على المولى سبحانه في الرزق ، لا بالأسباب ، والبيتان اللذان اطلع عليهما هما :

من خاف من ناب الزمان وعضه ... فليزرع القت النضير بأرضه
في كل شهر منه تأتي غلة ... تغنيك عن دين البخيل وقرضه

---

(٦١) م س ٣٣٩

(٦٢) م ن ص ص٣٣٤

(٦٣) أنظر التمهيد : ٢٠٧/٨

وهذا رد الشيخ على البيتين :

من خاف من ناب الزمان وعضه	فليدع رب العرش خالق أرضه
في كل يوم منه تأتي رحمة	تغنيك عن دين البخيل وقرضه[٦٤]

وكان الشيخ -رحمه الله- من عمق ايمانه بالله وخضوعه لهيبته وجلاله ، يظهر على حياته وسلوكه وأقواله تعظيمه لما عظمه سبحانه ، فانه من مظاهر الحب للمحبوب تعظيم ما يحبه ويجله ، وقد فنيت روحه في ذلك ، وفي المبحث الآتي سأبين جانبا من هذا الموضوع إن شاء الله .

المبحث السادس : تعظيمه لما عظم الله -عز وجل- :

كان الشيخ رحمه الله محبا لله ورسوله شديد التعلق بهما ، وهذا آية من آيات ايمانه الخالص لله -. تعالى-، وقد استقر في قرارة نفسه أنه لا يتم ايمانه بالله حتى يتم تقديم حب النبي صلى الله عليه وسلم على الأهل والولد والمال ، وقد وجه اليه سؤال لشرح معنى قوله صلى الله عليه وسلم : «والله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ماله وولده والناس أجمعين» فقال :

(إن حب الله -تعالى- هو حب النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعناه أن لا يأخذ ولا يعطي ولا يفعل ولا يترك الا لله ورسوله ، قال تعالى : ﴿ **قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾[٦٥] فدل ذلك على أنه لا يتم ايمان العبد إلا بأن يكون الله ورسوله أحب اليه من الآباء والأبناء ، وآية ذلك أن يرضى بقضاء الله وحكمه وأوامره فيهم وهم بين عينيه ، فهذا هو الايمان ، وبدون ذلك فلا ايمان وهو المقصود في الحديث)[٦٦]

وبصمات حب النبي من هذا الشيخ واضحة في هذا الجواب ، وهو دليل تعظيم للنبي ﷺ وتعلقه به ، شغفا بمقام حضرة النبوة ، وتكريما للمقام الخاص بالنبي ﷺ .

---

(٦٤) التمهيد : ٧٠/١

(٦٥) الآية ٢٤ من سورة التوبة .

(٦٦) التمهيد : ١٤/١٣

ولم يتوقف حبه على النبي صلى اللّه عليه وسلم ، بل حتى الأنبياء عليهم السلام ، واسمع الى الأبيات التالية من قصيدته النونية :

ولي من جميع المرسلين خلائق فمن عند ابراهيم حلمي وايقاني
ومن آدم توب من الحوب بعده انابة داؤد وأوب سليمان
ولي صبر أيوب على الضر اجتلي شكية يعقوب لرائد أحزاني
ومن خوف يحيى نلت زهد ابن مريم ويونس اقراري بظلمي نجاني
ومن زكريا رغبتي حين رهبتي وإن أتوكل كنت والد قحطان
وبي غم يعقوب الوعود تشوقا ليوسف تقوى حافظ غير خوان
وكنت شعيبي النصائح تابعا لدى غضبي للّه موسى بن عمران
ومن جملة الأسرار هذا نموذج وتفصيله يربو على رمل كثبان
فمن جملة الأملاك والرسل أجتلى لطائف لم تودع صحائف رهبان

....

ومالي لا أحوي الجميع وانني اجتليت شروح الكتب من متن قرآن
وأمري حميد لا تباعي لأحمد ومن نوره علمي وحكمي وبرهاني
فلي أسوة فيها ومنها نهايتي إليها بها عن غيرها هي تنهاني
هو الفلك الحاوي المدير جميعها على قطب الأسرار من نوره الداني
فمقعده أوج الجميع وأوجها لها المركز الحاوي صنائع اتقان
فلا تعجبوا ان كان ذلك أطلسا وهذا بنا الاعلام أوضح بنيان
فإن له الأسرار من كل أطلس يصان عن الأملاك والرسل والجان[٦٧]

فهذا هيام الشيخ بالرسول صلى اللّه عليه وسلم والرسل والملائكة فقلبه متعلق بهم لاصطفاء اللّه اياهم ، وتعليق سره بهم ، واختيارهم من البشر لصفات اختصوا بها ، وما حب الشيخ لهم من قبيل التصوف التقليدي الممقوت ، ولكنه حب ممزوج بالعمل الصالح والايمان الصادق ، وصلاح الظاهر والباطن .

ومن مظاهر تعظيمه لحرمات اللّه وعلو مكانتها في قلبه ، أنه لما اطلع على قول أحد الشعراء مقرظا قصة حدوث سيل بمكة المكرمة ، حتى دخل المطاف والمسجد الشريف ،

---

(٦٧) الفتح الجليل من أجوبة الامام أبي خليل : ٨٠٧-٨٠٨

وهو قوله :

أتى السيل مجتاحا لمكة طالبا ... فطهرها واجتاح منها الأباطيلا
وما قصد الضر الشنيع وإنما ... أراد من الركن المعظم تقبيلا
يقولون أرخ كونه قلت ، فاكتبوا ... سمعت بأن الماء لاقى القناديلا

وراق له حسن هذه الأبيات واستعذ بها ، ولكنه استدرك على قائلها نسبة (الأباطيل) الى مكة المكرمة والحرم الشريف ، واستنكر ذلك في قلبه ، وذلك لانها لم يبق فيها باطل بعد الفتح فالنبي ﷺ هو الذي طهرها من ذلك فينبغي أن تنزه وتقدس وتجل وتعظم فقال مستدركا على القائل السابق :

لقد حج بيت اللّه سيل عرمرم ... وطاف كما طاف الحجيج وسلموا
تشوق للبيت العتيق ومكة ... فجاء كما يأتي المشوق المتيم
وقبل منه الركن والحجر الذي ... تسامى فحياه الحطيم وزمزم
فلا تعجبوا إن عاد ذكرا فإنه ... تعاظم قدرا مثل ما يتعظم
وما كان مجتاحاً ولا مفسدا لها ... ولكن به من رحمة اللّه أنعم
يطهر أوساخ البقاع مقدسا ... لما مسه منها عصي ومجرم
كما بفناء البيت والحجر اغتدت ... تطهر أوساخ الذنوب وتحسم
فلله من أرض مقدسة به ... وتاريخه حيا غمام مسلم(٦٨)

فيظهر من هذه الأبيات استشعار عظمة البيت الحرام بل الحرم كله ، وتطهيره من أرذل الألفاظ وأدنى الأوصاف ، وذكره بما يناسب مقامه من الرفعة وعلو المكانة والتقديس .

ثم انه اتبعها بأبيات أخرى ، تناسب المقام ، وفيها من الألفاظ ما يليق بالحرم من التبجيل والاحترام ، مطلعها قوله : **(قد سمعنا ما لم يكن مذكورا)** إلخ (٦٩)

---

(٦٨) التمهيد : ١/٦٥-٦٦

(٦٩) م ن ص٦٧

وهكذا كان حال الشيخ سعيد الخليلي في إيمانه الصادق ، وحبه العميق واحساسه بعظمة الباري -سبحانه- وتعظيم حرماته ، وبالجملة فانني لا أستطيع وصف ذلك لعدم وصولي هنالك ، فقد بلغ الغاية القصوى في الولع بالتقرب الى الله -عز وجل- والقرب منه ، وأورثه ذلك محبة أنبيائه ورسله وملائكته وكتبه ، وما جاء عنه ، وتعظيم ما عظمه من محارمه .

ففاضت لديه العوارف ، فأثمرت عنده المعارف ، وألهمه الله العلم وآتاه الحكمة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، وكيف لا وقد قال :

ولي من جميع الكتب شرعة صادق	أقوم بها في التابعين باحسان
وأصبحت رباني كل شريعة	وأني بلى والذكر بالفيض رباني[٧٠]

وسوف أكشف عن بعض ثمرات مكنون علمه بالشريعة ، وأثره في أبناء مجتمعه فيما يأتي من مباحث ، وأبدأ بالفصل الثاني ، ذاكرا فيه شيئا من ثمرات معارفه كما يلي :

(٧٠) الفتح الجليل في أجوبة الامام أبي خليل : ٨٠٨

الفصـــل الثـاني
ثمـرات معــارفه

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : تلاميذه وأقرانه .

المبحث الثاني : انتاجه العلمي .

المبحث الثالث : مكانته بين العلماء .

المبحث الرابع : مما أعترض عليه فيه .

المبحث الخامس : جهوده في الدعوة .

المبحث السادس : موقفه من الابتداع في الدين .

المبحث السابع : مراسلاته .

المبحث الثامن : مما خالف فيه شيخه .

المبحث الأول-تلاميذه وأقرانه :

لا يخفى على كل مطلع وباحث في تاريخ الاسلام الطويل ، ابتداء من أبي الأنبياء والخلق أجمعين آدم عليه السلام وانتهاء بزماننا هذا ، الذي نحن فيه ، أن كل حامل علم ألهمه اللّه الرشد ، ونور بصيرته بالهدى ، وبصره بدين الحق ، كان له تلاميذ يحملون عنه علمه ويوصلونه الى الناس ، وتلك حكمة اللّه العزيز القدير ، وهذا مما لا يشك فيه أحد ، وحتى في العلوم الأخرى ، إذ لا بد لكل عالم من أن يحمل عنه علمه ولا يتحقق ذلك الا بالتلاميذ ، وإلا فكيف يصل علمه الى الناس .

فانظر الى تلاميذ الرسل والأنباء-عليهم السلام- ، وانظر الى صحابة رسول اللّه ﷺ إذ تلقوا العلم عنه ، وانظر الى أتباعهم ، وعلماء هذه الأمة وهكذا دواليك .

كما انه من المسلم به أنه لا يتساوى الناس في فهمهم وتفرغهم ورغبتهم في التحصيل ، فمنهم المقل ومنهم المكثر ، ومنهم المتفرغ ومنهم المنشغل ، والشيخ سعيد الخليلي كان من ضمن هذه السلسلة الحاملة للعلم ، الذي وهبه اللّه له ، ومن شكران نعمته عليه أن بث علمه للناس ، فكان يقوم بالتدريس ونشر العلم النافع ، سواء كان في بوشر أو في سمائل ، ففتح صدره للتلاميذ قبل بابه ، وعرف حق العلم وطلابه فأداه على أكمل وجه وكان تلاميذه فيهم الأكابر والأصاغر ، والمواظب والمتردد ، ومع

ذلك فقد أحاطهم كلهم بالرعاية والعناية .

وللشيخ طريقة فريدة في اختبار تلاميذه القادمين اليه لطلب العلم من أول وهلة ، ليعرف صدقهم في الطلب ، والرغبة في الانتماء الى العلم فكان عندما يصل الطلاب اليه لأول مرة لا يوليهم اهتماما ، بل يغض الطرف عنهم ، وأحيانا يطلب منهم أن يقوموا بعمل ما ، فمن لم يأنف منهم وامتثل للأمر تفرس فيه الخير وقربه اليه ، واهتم بشأنه ، ومن رأى فيه الأنفة والترفع منهم أهمله وقلاه[1]

وخير دليل على ذلك ما أخبرني به بعض المشايخ الثقاة ، مرفوعا الى الشيخ العالم صالح بن علي الحارثي -رحمه الله- ، عندما سار الي الشيخ الخليلي لطلب العلم مع اثنين من زملائه من الشرقية ، وجدوه يعمل مع غيره في الطين لغرض بناء شيء من الجدران ، قال : فرحب بنا من بعيد ، وسألنا عن الجهة التي قدمنا منها فأخبرناه ، فأمرنا أن نعمل معه في الطين لأجل البناء ، فنزلت أنا وأحد صاحبي للعمل معه ، وأنف ثالثنا ورحل من يومه ، وقال في نفسه إن هذه اهانة من الشيخ لنا ، واختبرنا مرة ثانية وثالثة ، فلما علم صبرنا وصدقنا قربني وصاحبي[2]

وكان يهذب التلاميذ ويربيهم على مكارم الأخلاق واكتساب الحلم والعلم ، والحكم ويعودهم على صالحات الأعمال ، ويدلهم على الفضائل واجتناب الرذائل ويحذرهم من الدخول في متاهات الفكر .

كتب لبعض تلاميذه ، ضمن جواب على سؤال منه : (وقد عهدتك كثير السؤالات عن دقائق الأمور خاصة فيما يتعلق بالباري -سبحانه وتعالى- ، فاياك وامعان النظر في تدقيق ذلك فإنه مخطر جدا ، وقد جاء في الحديث أو الأثر : تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق ، فاحسم خواطر بالك من مثل ذلك ، خوفا من أن تؤدي بك- سلمك الله- الى شيء من المهالك)[3]

وحتى الخوض في مسائل الصحابة ينهى طلبته عنه ، من مثل قوله : (إن من حبنا لك أن تترك هذه المباحث المؤدية الى الشك في هذا المذهب الصحيح ، .... فاترك عنك

---

(١) هذه الطريقة التي اتخذها الشيخ سعيد مشهورة متداولة بين المشايخ المتقدمين .

(٢) أخبرت بذلك من أسرة الشيخ صالح بنفسه ، وعلى لسان الشيخ سالم بن حمد الحارثي ، وانظر ترجمة الشيخ صالح في نهضة الأعيان ص ٧٢ فان فيها شيئا من ذلك .

(٣) التمهيد : ٢٤٩/١ .

أمثال ذلك ، نجانا الله واياك وجميع المسلمين سلوك سبيل المهالك) (٤)

ومن مثل قوله لأحد طلابه جوابا على سؤال فيه بحث عن جواب للشيخ ناصر بن أبي نبهان ، ونص مقاله : (استمع أيها المحاور في مشكل كلام الشيخ ناصر ؛ قد كان من نظري لك بالأولى أن ترك البحوث عنه أحلى كرامة لشيخنا القائل) (٥) الى أن قال في : (وكذلك كان ترك الاعتراض على الشيوخ وقبول اشارتهم والتسليم لأمرهم وزجرهم عمدة طلاب العلوم من أهل الحلوم ، ولا سيما سالكي طريق الآخرة بتطهير القلوب ، فانه في حقهم ضروري ، ومخالفة الشيخ في حق أمثالهم خروج عن دائرة الأدب مضاد لحالهم ، بل يعد ذلك من ذنونهم ، ولو لم يبرزوه عن قلوبهم ، أو لا تسمع ما في الكتاب العزيز ، من الخطاب الوجيز ، الجامع لجامع آداب المتعلمين ، بين أيادي المعلمين في الحكاية التي تروى عن الخضر وموسى -عليهما السلام- حيث قال له : ﴿ **فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا**﴾(٦، ٧)

وهكذا الشيخ يؤدب طلابه على هذا السلوك القويم ، والتأدب بين يدي أشياخهم، وقد أطنب عليه في هذا الميدان الى أن قال له : (فدع عنك المراء والجدال تسلم من الداء العضال ، وخذ من معنى كلام الشيوخ أبينه ، تكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) (٨)

وكان يحب من تلاميذه ، أن لا يشغلوا بالهم بمسائل الجدل ، كما رأيت ويحبب اليهم البحث والسؤال والاهتمام عما هو أهم ، من علوم الواجب كل يوم وليلة .

ومثال ذلك قوله : (ألا ترى وتجد أكثر جهدهم في البحث والسؤال عن المسائل الجدلية والفنون الفرعية ، التي لا تمس الحاجة اليها الا على الندور مع الغفلة عما يخصهم ، في ذات أنفسهم كل يوم وليلة ، بل في كل حين وساعة ، والاعراض عن العلم النافع المنصوص في الكتاب والسنة أصله المعرب في الايات والروايات فصله ، المورث للخشية والخشوع ، والخضوع والاستكانة لله والانابة إليه) (٩)

(٤) التمهيد : ١٠٣/٢.

(٥) التمهيد : ٢٥١/٥ .

(٦) الآية ٧٠ من سورة الكهف .

(٧) التمهيد ٢٥٦/٥ .

(٨) م ن ٢٦٠ .

(٩) التمهيد : ٩٩/١١-١٠٠ .

وبالجملة فهو يتعهدهم في كل حين ولحظة ، بلحاظ قوله وبتفقد بصره ، تربية وتهذيبا ، وتعليما وإذكاء وانارة وتبصيرا ، ويحن في كل حين على العلم والمتعلمين ، ويرى أن طلب العلم ونشره فوق كل عمل فضيل ، ويحث على تربية الطلاب ومراقبة أخلاقهم .

سأله سائل عمن يحبس شيئا من زكاة ماله كل سنة يطعم بها أبناء الفقراء عنده ، ويعلمهم ويربيهم وينفق عليهم من تلك الزكاة أله ذلك ؟ ويقول لهم : (من شاء المقام معنا لنجعل له من مال اللّه كل شهر كذا ، طلبا منه للتعاون في ذات الدين ، كتعليم العلم والمذاكرة وصلاة الجماعة لا لجر منفعة من أمور الدنيا) فماذا تتوقع منه أن يجيب أيها القارىء الكريم ؟ أجاب بالجواز في عدم الأئمة ويسقط عنه الواجب بذلك وقال : (ولا يضره قيامهم معه أو كونهم بقربه أو معاونتهم على طاعة ربه بل عسى أن يضاعف له الأجر في ذلك ، لتخصيصه بها أهل الصلاح ومعونته بها لأهل الدين ، وكونه قيما عليهم يربيهم في الطاعة ويمرنهم على فعل الخير ويحثهم على حراثة العلم ومكسبة البر وزراعة التقوى ، وتجارة القرب الى اللّه–تعالى– ، وهو شريكهم في ذلك كله ، ولكل امرىء ما نوى وعليه ما انتوى)[١٠]

ومن هذا المنطلق ، فقد كانت للشيخ أموال ورثها من آبائه ، لم يبخل بها على طلاب العلم ورواد المعرفة ، ينفق بنفسه على طلبته منها ، وقد بذل جزءا من هذه الأموال على الدرس والتحصيل والانفاق في سبيل اللّه ، ولم تشغله تلك الأموال بل أعانته على طاعة اللّه . فاجتمع اليه طلاب العلم كبارا وصغارا من كل مكان ، فلقنهم مما فتح اللّه عليه من علوم اللسان والأصول والفقه وعلوم الحكمة وغيرها ، فجدد ما درس من العلم ، وقام أكثر تلاميذه بعد ذلك بشؤون الناس من تعليم وقضاء واصلاح في المجتمع ، وامتدت بركته حتى جاء نور الدين السالمي–رضي اللّه عنه– .

وسأعرض عليك أيها القارىء نخبة من الذين أخذوا العلم عنه وهم :

تلاميذ الشيخ :

١– **الشيخ العالم المحتسب صالح بن علي الحارثي** الذي كان الركن الثاني في امامة الامام عزان بن قيس البوسعيدي–رحمه اللّه–ومن بعده كان محتسبا للمسلمين ، يقول عنه

---

(١٠) التمهيد : ٦/٨٥–٨٦

السالمي : (أجل شيوخه الذين أخذ عنهم العلم العلامة المحقق الخليلي ولا نعلم له شيخا غيره ، فانه هاجر اليه وهو صبي لم يبلغ الحلم ، فأعطاه دروسا ورده الى بلده ، ثم رجع اليه في العام القادم ولقنه دروسا أخرى ، وكانت عادة المحقق الخليلي مع تلاميذه الاستخبار ، فلما رجع اليه ثالثا قربه اليه ، لما توسم فيه من الصلاح) (١١)

٢- **الشيخ العلامة : سعيد بن عبيد الحجري** ، من بدية بالشرقية ، وكان الشيخ يراسله الشيخ بعد انقطاعه عنه ، ويلقبه بالشيخ المجتهد .

٣- **الشيخ جمعة بن خصيف الهنائي السمائلي** ، شارح قصيدة سعيد الدالية المسماة بالاستغاثة ، وكان عالما ورعا ، وصنف سيرة في حروب الامام عزان وسيرته ، ولكن للأسف لم نطلع عليها ، وانما كان نور الدين ينقل عنها في تحفة الأعيان(١٢)

٤- **الشيخ العلامة عبدالله بن محمد الهاشمي** من الباطنة ، وكان عضدا قويا لدى شيخه عند قيامه بالاصلاح ، وصار بعد ذلك واليا على الرستاق ، وكان من شيوخ نور الدين السالمي لما كان بالرستاق .

٥- **الشيخ الأديب أبو وسيم خميس بن سليم السمائلي الأزكوي** ، كان ذا شاعرية رائقة وعبقرية فائقة ، وطالما لازم الشيخ أحمد بن سعيد الخليلي -رحمه الله- ، وله قصائد طنانة مدح فيها الامام عزان وغيره (١٣)

٦- **الشيخ العلامة محمد بن خميس السيفي النزوي** قاضي القضاة في عصره بنزوى ، وكان علامة زاهدا ذا علم بالأسرار ، وهو الذي شرح قصيدة شيخه المسماة

---

(١١) السالمي محمد-نهضة الأعيان : ٧٢ ، ومن أراد المزيد فليرجع الى هذا الكتاب ووجدت رسالة في التمهيد كتب التلميذ لشيخه فيها من ولدك الفقير ومحبك الكثير خويدمك صالح بن علي ، وفي رده عليه كتب له : فتأمل أيها الولد المبارك الشيخ الصالح الأبي .

(١٢) يقول فيه الخصيبي :

والمسمى جمعة بن خصيف
لوذعي وعالم من هناة
فاق خطا وراق نظما ونثرا
وأتى في العلوم بالنكتات

انظر شقائق النعمان : ٢/ ٦٢-٦٨ .

(١٣) راجع ترجمته في المرجع السابق : ١٧٦ - ١٨٨ .

المعرج الأسنى ، ورتب جواباته وبعض رسائله وسماها: تمهيد قواعد الايمان [١٤]

٧- **الشيخ سالم بن عديم الرواحي** والد الشيخ أبي مسلم الفقية الشاعر ، وكان سالم علامة فاضلا ، ولاه الامام عزان قضاء نزوى ، ثم صار قاضيا في مسقط لدى السيد تركي بن سعيد بن سلطان [١٥]

٨- **الشيخ أحمد بن سليمان اليحمدي الخروصي** ، وكان رجلا ذا بأس وشكيمة وعلم وورع ، وهو من أهل نخل ، وسكن الشرقية في بدية آخر عمره ، إذ أجاره الشيخ صالح وأحب قيامه بجواره .

٩- **الشيخ الفاضل محمد بن سليمان بن محمد الخروصي** كاتب الامام عزان بن قيس- رضي اللّه عنه-، كان ذا همة عالية ، وله معرفة بفنون الكتابة ، فهو يكتب الاقرارات والرسائل للامام .

١٠- **الشيخ حمد بن سليمان بن ماجد الخروصي** خال أولاد الشيخ سعيد وهم محمد وعبداللّه ، كان ذا علم وفضل .

١١- **الشيخ الفاضل علي بن خميس الحجري** من بلدة الغِّبي من بدية حاز علما وفضلا وورعا وتقوى ، وكان من أعوان الامام والشيخ صالح بن علي الحارثي .

١٢- **الشيخ سعيد بن علي الصقري الحارثي** من بلدة عز بولاية القابل من الشرقية، كان من السباقين الى الفضل ومكارم الأخلاق ، وهو شيخ العلامة أبي مالك عامر بن خميس المالكي ، أخذ عنه العلم قبل أن يلازم نور الدين السالمي رحمهم اللّه [١٦]

١٣- **الشيخ سعيد بن ناصر الكندي النزوي** ، أخذ العلم أصولا وفقها ولغة ، على يد الشيخ الخليلي ببوشر ، وأقام بمسقط فكان قاضيا فيها ، يرجع اليه في الفتوى وحل المشكلات [١٧]

١٤- **الشيخ محمد بن سالم بن سيف الحجري** ، من بدية أخذ عن الشيخ فأفلح ، وقام بمناصرته ، وكان يسائله الى آخر عمره .

---

(١٤) أنظر السالمي محمد-نهضة الأعيان : ٢٢٣

(١٥) أنظر مقدمة نثار الجوهر للشيخ ناصر بن سالم الرواحي ٢/١

(١٦) أنظر السالمي محمد-نهضة الأعيان : ٤٠٠

(١٧) م ن ص٤٠٤

١٥- الشيخ نصير بن محمد المحاربي من بدية أخذ عن الشيخ الخليلي ولازمه ، وله أسئلة وجهها اليه ، توجد ضمن جوابات الشيخ .

١٦- الشيخ محمد بن بخيت الرحبي كان من الفضلاء الأخيار ، وهو من بدية أيضا ، وله مراسلات مع الشيخ .

١٧- الشيخ عبدالله بن عامر الأزكوي من إزكي ، كان ذا علم وفضل ، شغوفا بسؤال شيخه الكبير ، وله أسئلة ضمن كتاب التمهيد .

وغيرهم كثير لا تحضرني أسماؤهم ، عسى أن يكشف النقاب عنهم بعد حين .

وبهؤلاء التلاميذ الذين صاروا قادة -فيما بعد- اتصل حبل العلم والارشاد والاصلاح ما بين عقود التاريخ من منتصف القرن الثالث عشر الى القرن الرابع عشر ، حين بدت نهضة نور الدين السالمي مرة أخرى .

أقران الشيخ :

أما أقران الشيخ سعيد الخليلي الذين عاصرهم ، فلا بد من إنه قد يكون تأثر بهم أو تأثروا به ، وهذه سنة الحياة ، والتأثر ليس بالضرورة أن يكون عن طريق التلمذة والمجالسة ، بل قد يكون بطريق السماع والمراسلة ، وكان في الحقبة التي عاش فيها السيخ نخبة كريمة من فطاحل عمان ، في أكثر بلدانها ، وقاموا مع الخليلي بواجب الاصلاح الديني كل في جهته ، وتمت بينهم المراسلات في هذا الشأن ، وهؤلاء أمثال المشائخ العلماء .

محمد بن سليم الغاربي وهو ثالث أركان دولة الامام عزان بن قيس -رحمه الله- وحمد بن خميس السعدي وجميل بن خميس السعدي مؤلف كتاب القاموس ، وكلاهما من منطقة القرط بالسويق ، وسلطان بن محمد البطاشي من بلد افدى بوادي الطائيين ، وذو الغبراء خميس بن راشد العبري ، والسيد العلامة حمود بن عزان بن قيس بن الامام وهو عم الامام عزان ، وكانوا قد طلبوه ليعقدوا عليه الامامة فأبى ،

وخميس بن أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي ، وقد طلب للامامة أيضا فأبى [١٨] ، ومحمد بن علي المنذري وكان عالما جليلا ولكن أكثر اقامته بافريقيا في زنجبار، والسيد الزاهد سيف بن محمد البوسعيدي وماجد بن خميس العبري والسيد قيس بن عزان والد الامام عزان ، وغيرهم كثير—رحمهم اللّه—وطيب ثراهم.

فكانت تلك الفترة التي عاش فيها الشيخ الخليلي فيها أهل علم وفضل ، مما ساعده على القيام بالاصلاح الديني والاجتماعي ، وقد أشار في قصائده الى هؤلاء وأمثالهم من أهل الفضل في زمانه فمن أمثال ذلك قوله :

ومن لي بأنصار الى اللّه وحده ... أشداء بأس في الحروب أسود
تباري النعام الربد خيلهم اذا ... بحي على نصر المهيمن نودي [١٩]

وقوله :

ألا تنجلي يا ليل عن صبح فتية ... كرام بهم رُدُّو للعدل يوشع
تظاهر أنوار المعالي عليهم ... وألوية العز الجلالي ترفع
أشداء عند البأس في حومة الوغى ... أولو رحموت بينهم لا تقطع
شراة لنصر اللّه بيعت نفوسهم ... وما لهم في غير ذلك مطمع
قد انتدبوا في نصرة الدين فاغتدت ... بهم غرر الدين الأباضي تسطع
بدور دجى شم الأنوف مشايخ ... لربهم قد أخبتوا وتضرعوا
مخابيت أحبار رواسي تبتل ... بحور لهم للحلم والعلم موضع
بهم تشرق الدنيا وتنتشق العلا ... وتستمطر الأنواء والغوث أجمع

إلى أن قال :

كأن حطام الأرض من لحم ميتة ... فهم عنه في عليائهم قد ترفعوا

وقوله أيضا :

هم لوحه المحفوظ كانت قلوبهم ... بها قلم الأنوار للسر رقما
مواهب قد دقت عن الفهم وارتقت ... عن الوهم ، رقت عن نسيم تنسما

(١٨) أنظر في هذا الشأن—تحفة الأعيان : ٢/٢١٨ ، ٢١٩، ٢٢٥ ، ٢٢٧، ٢٣٩ ، ٢٤٠

(١٩) الفتح الجليل من أجوبة الامام أبي خليل : ٧٧٤ .

بـهـا انـطـوت الأكـوان في طـي عـلـمـهـم		مـن الـعـرش والـكـرسـي والأرض والـسـمـا
فـكـانـت جـمـيـع الـكـايـنـات مـصـاحـفـا		لـهـم تـهـب الـسـر المصـون المكـتـمـا
لـطـائـف لم تـودع صـحـايـف كـاتـب		تـطـالـعـهـا الافـهـام والـلّـه ألـهـمـا
وكـم أدركـوا بـالـعـقـل أمـر مـنـزهـا		عـن الـنـقـل في الأولاح لـن يترسـمـا(٢٠)

وبالجملة فقد بذل الشيخ النفس والنفيس في احياء العلم ونشره ، تعليما وتأليفا كما يلي :

المبحث الثاني-انتاجه العلمي :

كان الشيخ الخليلي من العلماء الذين أسهموا في التأليف ، وأخذوا منه سهما وافرا ، فقد شرع في التأليف-فيما بلغني عنه-وهو ابن ستة عشر عاما ، فأثرى المكتبة الاسلامية بكتبه العربية والأصولية والفقهية وغيرها .

وله يد طويلة في ميدان اللغة العربية والعلوم التابعة لها ، كالرسم الكتابي وغيره ، ولا أدل من كتابه مقاليد التصريف المطبوع في ثلاثة أجزاء ، على نفقة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ، وهذا الكتاب يدل اسمه على مسماه ، فقد أمسك الشيخ فيه بعنان الصرف فصرفه تصريفا يدل على طول باعه في هذا الميدان ، وهو منظومة من الرجز تحتوي على ألف بيت ، سهلة التناول ، عذبة المشرب ، ليس فيها تعقيد ولا غموض ، وبعدما فرغ من منظومته وعرضها على شيخه ناصر بن أبي نبهان أشار عليه الشيخ ناصر بشرحها فشرحها شرحاً ، مفيداً أظهر فيه مغاليق المبهم من الأرجوزة وما أشبه الكتاب بألفية ابن مالك ولاميته الصرفيه ، وطبع الكتاب في ثلاثة أجزاء ، وأول المنظومة :

الحـمـد لـلّـه مصـرف الـلـغـى		حـمـدا الى رضـوانـه مـبـلـغـا
وأردف الصـلاة تـسـلـيـمـا أتم		عـلـى الـنـبـي خير نـاطـق بـفـم
وآلـه وصـحـبـه الـغـر ومـن		يـتـبـعـهـم في كـل مـنـهـج حسن
وبـعـد فـاعـلـم أنـه لم يسـتـقـم		نـطـق بـلا عـلـم تصاريـف الـكـلـم(٢١)

(٢٠) م ن ص٧٨٠-٧٨٣

(٢١) أنظر مقدمة الجزء الأول من مقاليد التصريف طبعة وزارة التراث القومي والثقافة .

ولم يكن هذا الكتاب أول تصانيفه في العربية ، بل كان قبله كتاب آخر ألفه في باكورة عمره وهو كتاب مظهر الخافي المضمن الكافي في علمي العروض والقوافي [٢٢] والكتاب ما زال مخطوطا ، وهو منظومة لامية ، ولما عرضها على شيخه حماد البسط ، طلب منه شرحها فقام بشرحها ، فتكلم عن كتاب الكافي للخواص البغدادي الحنفي العراقي ، وشرحه وذلل صعابه ، وحل مشكله ، فظهرت فيه مهارته في فن العروض والقوافي ، وهو في سن المراهقة ، والله يؤتي فضله من يشاء ، ويؤتي حكمه من أراد ومطلع هذه المنظومة قوله :

الحمد لله كاملا أملي ... منه عروض الرضى العاري من العلل

الى أن قال :

محرك وسكون قل هما سبب ... خف وان حرك الثاني فذو الثقل

وآخرها :

تمت ولله حمدي والصلاة على النبـ ... ـي والآل والصحب الرضى الكمل

وعدد صفحات هذا الكتاب مائتان واثنان وعشرون صفحة من القطع المتوسط ، ثم أتبع هذا الكتاب بعد فترة من الزمن ، بكتاب آخر هو : فتح الدوائر وهو منظومة بائية أيضا وشرحها ، وأولها قوله :

الحمد لله حمداً منه أكتسب ... ترجيح وزني يوم الفصل يكتتب

إلى أن قال :

ذكر الدوائر مجموع الدوائر خمس ... جمعها خفشلق ترتيبها عجب
فالخاء مختلف والفاء مؤتلف ... والشين مشتبه واللام مجتلب
والقاف متفق جزآن قد جمعا ... في كل دائرة أو واحد عزب

وقال في الخاتمة :

ولم أطل الا بسوى ما قد ذكرت هنا ... مما لأبحرها تستودع الكتب

---

(٢٢) رقم هذا المخطوط في وزارة التراث القومي والثقافة ١٥١٥ عام ٢ د خاص .

الى أن قال :

وما عـــدا ذاك مما دون مـــبـــلـــغـــه فـــالـــكـــل في مـــظـــهـــر الخافي لـــه رتب

وبالجملة فالشيخ من المجيدين في العربية ، إذ اعتبرها أم العلوم ، وفاتحة الفهم ، كما هي عادة العلماء العمانيين الفطاحل ، فقلما تجد عالما منهم ، الا وفي مقدمة علمه علم العربية .

أما مؤلفاته في العلوم الاسلامية ، فلم يوثر عنه شيء في التفسير من المؤلفات الا ما جاء في كتاب التمهيد من جواباته ، وعلى الرغم من ذلك فقد صرح عن نفسه ، أنه لا يرغب في التفسير ونص كلامه : (وأراك تسألني عن تفسير ايات من القرآن ، فاعلم اني غير عالم بذلك ، وأن ما أقوله تكلف ، فلا تسأل مرة ثانية عن التفسير فلست به عالما ولا عالما بالشريعة) فهذا صريح في عدم اعتنائه بالتفسير ، وكنت أبحث عن هذا الموضوع حتى وجدت هذا النص فتوقفت عن البحث ، ولا أدري تاريخ صدور هذا الكلام منه ، لكن لم نعثر على شيء في المكتبات من تفسيره والله أعلم بذلك .

ومثل هذا يقال في الحديث ، ورأيت من خلال مطالعاتي في التمهيد انه يعتمد على كتب الحديث الأخرى ، ولم يذكر أن له تأليفا في ذلك ، فلينظر فيه ، أما في علم الكلام والفقه وأصوله وعلوم الأسرار ، فقد أثرت عنه مؤلفات هذا بيانها :

كتابه **«النواميس الرحمانية في تسهيل الطريق الى العلوم الربانية»** ، وهو كتاب في علم الأسرار ، أي أسرار الأذكار والتلاوات ، وفوائد تلاوة القرآن وأسماء الله الحسنى وبركة الدعاء ، ونسخ الكتاب متداولة والكتاب معروف .

وكتاب **«تمهيد قواعد الايمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان»**[٢٣] وهو أسئلة وأجوبة في اثني عشر مجلدا ، قامت بطبعه وزارة التراث القومي والثقافة ، ويتضمن بحوثا ذات قيمة علمية وفائدة عظيمة جليلة ، إذ أطلق فيه المقيد وقيد المطلق من مسائل الفقه ، وذلل صعاب المسائل وعويص المشكلات ، وقد اعتنى بجمعه وتبويبه بعد وفاة الشيخ تلميذه الشيخ محمد بن خميس السيفي النزوي المتوفي عام **١٣٣٣هـ** عن عمر يناهز اثنين وسبعين عاما قضاها في العلم والتعليم والافادة والاستفادة[٢٤]

---

(٢٣) سيأتي بيان عنه في آخر البحث .

(٢٤) أنظر السالمي محمد ، نهضة الأعيان : ٢٣٣

وله أيضا رسالة في زكاة الحيوان وهي منظومة ميمية شرحها بنفسه ، وهي اصلاح لقصيدة قديمة في الزكاة فعدلها الشيخ وزاد عليها وشرحها .

وله أيضا كتاب «اغاثة الملهوف بالسيف المذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» تكلم في هذا الكتاب على فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحسبة والمحتسب وشروطهما الى غير ذلك .

وله كتاب مرسي الأصول في أحكام الولاية والبراءة وما لا يسع جهله وما لا يسع وله قصائد في الأذكار ومدح العلم والتوسل الى الله عز وجل ، في فتوح الامام عزان بن قيس وغير ذلك ، وهذه الكتب كلها توجد في المكتبات الخاصة :

وهذا جدول بمؤلفات الشيخ كلها :

١ - مؤلفاته في العربية :

- مقاليد التصريف
- مظهر الخافي
- فتح الدوائر
- سمط الجوهر الرفيع في فن البديع

٢ - مؤلفاته في العلوم الاسلامية :

- النواميس الرحمانية	- تمهيد قواعد الايمان	- أحكام زكاة الحيوان
- أحكام الجهاد	- إغاثة الملهوف	- كرسي الأصول
- رسالة علم التجويد	- أجوبة المسائل	- جوابات المحقق الخليلي
- الانتصار للزمخشري	- الرد على الشيخ المنذري	- ديوان شعري

فمن أراد الاطلاع علي شيء من مؤلفاته ، فليقصد دار المخطوطات بوزارة التراث القومي والثقافة أو مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي بالسيب يجد بغيته ، ولا داعي الى الاطالة في الكلام على مؤلفات الشيخ فهي بنفسها برهان على مقدرته العلمية .

ولكني أرى أن الشيخ من المكثرين في التأليف فما هي مكانة هذا الشيخ بين علماء عصره ؟ هذا ما سيجيب عليه المبحث التالي :

المبحث الثالث–مكانته بين العلماء :

كان الشيخ سعيد بن خلفان يتمتع بمكانة عالية بين أقرانه ، وسلطة دينية كبيرة ، لكونه راسخ القدم في العلوم الشرعية وغيرها في زمانه ، فأقر له أقرانه بالسبق في هذا الميدان ، وكان على قدر كبير من التقوى والورع والاتصال باللّه–تعالى– ، ودائم الشفقة على دينه–تعالى–من أن تنتهك محارمه ، وعلى عباده من أن ينحرفوا عن جادة الصواب ، أقر له أقرانه ومن جاء بعدهم بعلو كعبه في العلم ، ويروى عنه انه اختلى يدعو اللّه–تعالى–بأسماء اللّه الحسنى كلها ، حتى أورثه اللّه العلم والنور في قلبه ، ومع هذا فانه ما كان يدعي العلم ، بل يهضم نفسه ، والمطالع لجواباته يرى كثيرا من ذلك .

وقد حبب الى الخاصة والعامة من الناس ، الى يومنا هذا ، وقد أطلق عليه لقب «العالم الرباني ، أو العالم المحقق» (٢٥) فاذا وجدت العالم المحقق فهو المقصود في الأثر المشرقي ، وأما العالم الرباني فقد اشترك معه في هذا الشيخ العالم جاعد بن خميس الخروصي–رحمه اللّه– ، وتجد هذين اللقبين غالبين على ذكره في أي موضع من عناوين كتبه أو نهايتها عند ذكر الناسخ ، وأيضا في أجوبة المتأخرين عنه ، وذلك لأن فقهاء زمانه سلموا له الأمر في المعرفة ، فصاروا يرجعون اليه في حل عويص المسائل والمشكلات .

ولهذا أطلق عليه لقب شيخ المذهب الأباضي في زمانه ، والدلائل على ذلك كثيرة، فمن ذلك ما جاء في رسالة وجهها الشيخ العلامة محمد بن سليم الغاربي–وهو من أكابر العلماء يومئذ بالباطنة–الى الشيخين الفاضلين عبداللّه بن محمد الهاشمي وماجد ابن خميس العبري في جواب لهما على بعض الأسئلة ما نصه : (وأنتم أيها الشيخان تفضلا عرفا إمام المذهب في هذه الصورة) (٢٦) وفي نفس الصفحة من هذا الموضع أطلق عليه لقب الشيخ العالم النبيه ، وكان الامام عزان بن قيس عندما يكتب اليه يخاطبه بلفظ سيدي العلامة (٢٧) وما كان يتقدمه في شيء ولا يصدر عن رأيه (٢٨) وهذا من أقرانه أو معاصريه .

---

(٢٥) ليس المقصود بالمحقق محقق الكتب كما هو العرف اليوم في عالم الاخراج والنشر ، ولكن المقصود محقق أقوال الفقهاء في المسائل العلمية والناظر في أدلتها ومدى رجاحة الأقوال وضعفها طبقا للدليل فلينظر ذلك .

(٢٦) جواب مخطوط ضمن كتاب اغاثة الملهوف ص٨٥

(٢٧) أنظر التمهيد : ٤١/١٠

(٢٨) السالمي ، نور الدين – تحفة الأعيان : ٢/٢٣٩–٢٤٠ وانظر السالمي محمد – نهضة الأعيان : ٢٣٣٢ – ٣٨٦.

وأما من تلاميذه فحدث ولا حرج ، ولا داعي الى ايراد الأمثلة على ذلك ، فالأسئلة النثرية والنظمية فيها من الاعتراف له ومخاطبته بالألقاب المعبرة عن ذلك والمشيرة الى مكانته ما لا يمكن ايراده هنا ، بل وليس البحث في حاجة اليه .

انظر الى كلام الشيخ العالم خميس بن راشد العبري ذي الغبراء في الشيخ الخليلي ونصه : (قد كثرت مكاتبة شيخنا العالم سعيد بن خلفان الينا يريد منا أن نكون في خدمته) (٢٩) وقال في آخر كلامه : (وفي زماننا هذا أنتما أئمة مذهبنا وبكما نقتدي وبعلومكما نهتدي) (٣٠)

وكفى بالشيخ خميس هذا حجة في بيان مقام هذا الشيخ ، والشيخ خميس معروف بكثرة علمه وفضله .

وكتب له أحمد العبادي : (شيخنا وقدوتنا العالم العلامة شمس الزمان ووحيد العصر والأوان) (٣١) أما الشيخ محمد بن علي المنذري فقد قال فيه ما نصه : (إن هذا الشيخ على ما أظهر لنا هو علامة زمانه ، والمشهود له بالفضل في أوانه) (٣٢) والشيخ المنذري كان عالما في زمانه ، وكان مقيما بزنجبار ، فلما اطلع على فقه الشيخ وسعة اطلاعه وقدرته على الاستنباط شهد له بذلك .

أما المتأخرون عن زمانه الشيخ فقد شهدوا له بالمكانة العلمية واكتفي بايراد شهادتين عن الامامين الكبيرين نور الدين السالمي من عمان ، وقطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش من المغرب ، وكفى بهما حجة فقد شهدا بفضلهما وعلمهما واجتهادهما ، وفي شهادتهما غنية عن الاتيان بغيرهما ، قال نور الدين السالمي :

أفتى به في الماء والنخيل … إمامنا المحقق الخليلي (٣٣)

وقال في الموضع نفسه :

قاموا يخاصمون من بها حكم … أيام عزان وذلك العلم

---

(٢٩) السالمي نور الدين–تحفة الأعيان: ٢١٩/٢

(٣٠) م ن ص ٢٢٠

(٣١) كشف الكرب : ١٢٠/١

(٣٢) جوابات المحقق الخليلي جواب من المنذري ضمن هذه الأجوبة مخطوط

(٣٣) السالمي نور الدين–جوهر النظام : ٣٥٩ ، وروى الشيخ سعيد الحارثي عن الشيخ محمد بن سالم الرقيشي أنه سمع الامام سالم بن راشد الخروصي يعاتب نور الدين لماذا لا يتقدمه كما يفعل الشيخ سعيد بن خلفان مع الامام عزان فأجابه : إذا بلغت منزلة الخليلي تقدمتك ، انظر اللؤلؤ الرطب ١٦١ .

وذكر مثل هذه الألفاظ في كثير من المواضع ، من خلال مؤلفاته الأصولية والفقهية .

وأما الشيخ القطب ، وان كانت قد وقعت من معارضات على بعض أجوبة الشيخ الخليلي التي أرسلها الى المغرب ، والموجودة في كشف الكرب ، الا انه عندما اطلع على مؤلفات الشيخ سعيد أثنى عليه في كثير من كتبه ، ومنها اعترافه له بالعلم في كتاب كشف الكرب نفسه (٣٤) وأطلق عليه جامع المعقول والمنقول (٣٥) وفي كتب التفسير وذكر في تفسير سورة الفتح عند قوله تعالى : (فأخرج شطأه) (وقيل الشطء المسلمون الى يوم القيامة وهو قول حسن من جهة المعنى ونفس الأمر) (٣٦) ثم ذكر التابعين الداخلين في هذا المفهوم ، وذكر بعدهم أئمة المسلمين من أهل المغرب وعمان وبعد ذلك قال : (كل هؤلاء أئمة عدول كبار ومن لم أذكر أكثر ممن ذكر ، ومن أهل عصري العلامة سعيد بن خلفان) (٣٧)

ومن المعلوم أن تأليف الشيخ لهذا التفسير كان في آخر عمره ، وكفي بشهادة هذين العالمين حجة على مكانة الخليلي –رحمه الله– .

ومع هذا الفضل ، وهذه المكانة في العلم ، والمقام الأسمى في العمل ، فانه عاب عليه بعض علماء عصره في بعض الفتاوي العلمية وصارت بينهم مناقشات ومداولات، ونرى من الواجب اثباتها بالاشارة فقط لا بتوسع في هذا البحث الصغير كما في المبحث التالي :

المبحث الرابع–مما اعترض عليه فيه :

إن من أسباب اختلاف الفقهاء أمرين :

الأول منهما : عدم الاطلاع على الدليل ، بحيث يطلع أحدهم على ما لم يطلع عليه الآخر ، ولكل واحد منهم عذره في ذلك لأنه لا يمكن الاحاطة بالعلم كله ، وهذه سنة الله في خلقه ، وقد يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر ، ورب حامل عالم علم الى من هو أعلم منه .

والثاني منهما : اختلاف وجهة النظر في مقتضى هذا الدليل ، وخاصة ما كان من

(٣٤) أنظر كشف الكرب : ١/٥٥ .

(٣٥) م ن ص١١٧ .

(٣٦) اطفيش ، محمد بن يوسف ، تيسير التفسير : ١٢/٣٤٣.

(٣٧) م ن ص٣٤٤.

الأدلة ما يحتمل المعاني المختلفة ، وفي هذا الاطار وقعت بعض المعارضات للشيخ الخليلي من قبل بعض علماء عصره ، في بعض فتاويه .

ورغم ذلك فان الشيخ كان يتحرج كثيرا في الفتوى ، وينفر منها ، وقلما تجد جوابا من أجوبته الا ويأمر سائله بالنظر ان كان من أهل النظر وأن لا يأخذ الا بالعدل منه ، وفي بعض الأحيان يأمر سائله أن يرجع بنفسه الى المطالعة .

خذ مثالا على ذلك ما نصه : (والكتب لعلها توجد معكم فطالعوا من الأثر فهو أصح وأولى مما أقوله لكم ، فإني أتكلف ذلك خجلا من ردكم ، لا عن علم وبصيرة ، وقد اعترفت بقلة المعرفة ، ولست أنا من أهل الفتيا ولا من أهل الرأي ، ولا تقبلوا شيئا مما أقوله لكم الا بعد النظر فيه ، فان وافق الحق والا فليترك ولا تتكلموا على مسائلي ، فإني قليل المعرفة ظاهر الجهل عارف بذلك ، وإنا وإياكم كلنا ضعفاء ، ينبغي أن نسأل غيرنا من العارفين ، حتى يدلونا على أمر ديننا الذي يعنينا والسلام) [٣٨]

فالناظر في هذا النص يظهر له أن الشيخ لا يقدم على الفتوى في أمر من الأمور الا بعد التثبت والنظر في الأدلة الشرعية ، وخاصة فيما لم يرد فيه نص ، ومع هذا فلم يسلم الشيخ من المعارض ، ولا بدع في ذلك ، فهذا دأب العلماء المجتهدين في كل عصر ومصر ، واليك البيان :

أولا : اعترض عليه الشيخ محمد بن علي المنذري في جوابه على مسألتين :

الأولى منهما تجويز الشيخ سعيد للمفتي أن يذكر قولا واحدا للمستفتي المبتلى ببعض النوازل ، ولم يكن قادرا على الترجيح بين الأقوال في المسألة الواحدة ، فاختار له المفتي قولا واحدا يعمل به حسبما يراه مناسبا لمقتضى الحال .

والثانية منهما في كتابة الوصية التي يوجد فيها بعض الأخطاء في اللفظ والرسم فالشيخ سعيد أفتى بعدم ثبوت مثل هذه الوصية ، وسبب ذلك أن عرضت عليه وصية من هذا القبيل فأبطل العمل بها .

فتعقبه الشيخ المنذري بعدما اطلع على جوابه في هاتين المسألتين ، بأن هذا خطأ من قائله ، بل لا بد له في المسألة الأولى من أن يبين المفتي للمستفتي كل الأقوال .

وفي الثانية : يثبت الشيخ المنذري العمل بمثل تلك الوصية ، لأن ألفاظها مفهومة ، ولا يضر معها الخطأ في رسم الحروف والأرقام التاريخية .

---

(٣٨) التمهيد : ٦/٦٩

لكن لما اطلع الشيخ الخليلي على رد المنذري عليه ، حرر رسالة كاملة تحتوي على حوالي ٩٠ صفحة من القطع المتوسط [٣٩] كشف فيها النقاب عن أصول هاتين المسألتين، وفروعهما ومأخذ الفتوى التي أفتى بها ، كما ذكر لها نظاير في الفقه ، فأماط اللثام ، وأزال الغبار الذي علق بفتواه وذكر في صدر هذه الرسالة أن الغاية من ذلك ، اقناع كل من يطلع على اعتراض المنذري وافهامه الحق ، وطلب من الناظر فيها ، أن يجيل الفهم فيها وأنه ليس قصده الا بيان الحق ، وأنه والمنذري كلاهما يطلبانه فمن رأى الصواب أخذ به ان كان من أهل النظر والفكر ، قال : (واعلموا أني وهذا المنذري ضعيفان قد اختلفنا في جواب ، فلا يؤخذ من قولي ولا من قوله الا ما علم أنه حق وصواب) [٤٠]

ثانيا : اعترض الشيخ محمد بن سليم الغاربي على الشيخ سعيد في فتواه بتغريق أموال أولاد الامام أحمد بن سعيد وجميع أسرتهم حتى عهد الامام عزان ، حيث أفتى الخليلي الامام عزان بجواز تغريقها وادخالها في بيت المال ، إذ رأى أن سبيل هذه الأموال سبيل أموال بني نبهان ، التي حكم الامام عمر بن الخطاب الخروصي بادخالها في بيت المال .

فاعترض الشيخ الغاربي على الشيخ الخليلي وتوقف عن ابداء رأيه مع بقية المشائخ ووقع بينهم في ذلك جدال ومناظرات طويلة ، فاحتج الشيخ الخليلي على رأيه بحجج كثيرة ، واستدل بأدلة تبرر موقفه ، فسكت الغاربي وتشجع الخليلي وبقية المشائخ فأصدروا حكمهم فيها ، وتصرف فيها الامام لمصلحة الدولة .

يقول نور الدين : (وأما الشيخ الغاربي فانه توقف في المسألة وظن أن الحكم بهذا انما يكون في مال من مات منهم دون الأحياء ، فكان بعض شيوخنا يذكر لنا عنه انه كان يقول : ان الحي اذا أراد أن يتخلص ، وقد أخذ ماله لبيت المال فمن أين ترونه يتخلص ؟ فحكم الحي خلاف حكم الميت) [٤١] لكن الشيخ السالمي أجاب عن اعتراض الغاربي ، بأن خلاص الحي منهم في حكم المتعذر ومن تعذر خلاصه فلا بد من أن يجعل مظلمته في باب من أبواب التخلص ، ومنها بيت المال ، واذا حكم الامام فيه بادخاله في هذا

---

(٣٩) توجد هذه الرسالة مخطوطة في مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد ومكتبة وزارة التراث القومي والثقافة .

(٤٠) الوصية المعروضة وجواب الخليلي واعتراض المنذري ورد الخليلي عليه توجد في التمهيد ١٢/٦٦-١٣٩

(٤١) السالمي نور الدين-تحفة الأعيان : ٢/٢٥٨

الباب فليس لأحد معارضته فيكون في حكم المجمع عليه (٤٢)

والظاهر أن الشيخ الخليلي رأى حجة المعترض واهية ، بحيث لا تقاوم الحجج الأخرى المبيحة للتغريق فحكم بذلك الامام بأمر الشيخ الخليلي .

ثالثا : اعترض الشيخ جمعة بن خصيف على الشيخ الخليلي في اتلاف أموال البغاة من أهل القبلة قائلا بأسلوب بديع : عندما أباح الشيخ الخليلي تخريب أموال البغاة لكسر شوكتهم ولأن ذلك أنكى لهم وأقرب الى اذعانهم قال :

(من أين انساغ اتلاف أموال المحاربين من أهل القبلة ، وهدم حصونهم ، وفي الاجماع أن غنيمة أموالهم حرام ، وفي النظر أن تخريبها أو تملكها عليهم سيان في اخراجها من ملكهم ، فينبغي تسوية الحكم فيها في الوجهين ، إن جاوز هذا جاز ذاك، وان منع ذا منع ذاك ، وقد تساوى هذا الحكم في أموال المشركين ، فان كان مستند الاباحة في تخريب أموال أهل الحرب من بغاة أهل القبلة فعل النبي صلى الله عليه وسلم بنخل يهود بني النضير فان أولئك مشركون حلال غنيمة أموالهم ، فما بال أموال أهل القبلة ، لم تحل غنيمتها وقد حل تخريبها ، اكشف لنا في ذلك من وجه افتراق الحكم لا زلت كشافا للمعضلات) (٤٣)

ولا شك أن الشيخ جمعة كان من تلاميذ الشيخ ، وكأنه-فيما يظهر من كلامه غير راض عن هذه الفتوى ، أو انه قد دفع الى اقامة الحجة على هذه الفتوى دفعا ، فالشيخ جمعة من أهل سمائل ، وقد صدرت مثل هذه الفتوى في حق البغاة من أهل نفعا وما جاورها ، الذين خرجوا عن طاعة الامام ، وناصبوه الحرب ، و لم يوافقوا على الدخول فيما دخل فيه المسلمون ، ولأجل هذا حل قتالهم لانهم بغاة (٤٤)

وبعد ؛ هذا فما هو رد الشيخ على هذا الاعتراض الساخن ، والسؤال الموجه ؟ نعم أجاب على ذلك الشيخ الخليلي بجواب يشفي الغليل ، ويقطع النزاع ، وهذا نص جوابه:؟ وأين فهمك يا جمعة ، ومن أن يصح في النظر أن تخريبها وغنيمتها سيان ، وهما

---

(٤٢) م ن والصفحة وأنظر : نص حكم التغريق في الصفحة التي قبلها .

(٤٣) التمهيد : ٢٥٦/١٣-٢٥٧ ، والظاهر من هذا السؤال أنه كان في أمر أهل نفعا أو غيرها من البلدان التي حاربها الامام حرب البغي ، ووجدت في التمهيد كلاما عن الشيخ الخليلي لا يحضرني موضعه أن الشيخ الغاربي ناظره في مثل هذا عند القيام بحرب السيابيين ومن كان معهم في نفعا ، فأقنعه الشيخ وسلم الأمر ، وقد حدث مثل الفعل في أموال البغاة من الجنبة والدروع جنوب نزوى حتى أذعنوا ولله الأمر من قبل ومن بعد .

(٤٤) راجع في هذا الموضوع السالمي ، نور الدين ، تحفة الأعيان : ٢٥٣/٢

أصلان مختلفان أبدا لا يجتمعان ، قال اللّه–تعالى– : ﴿**فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر اللّه**﴾ وأجمعت الأمة المحققة من الصحابة ومن بعدهم ، على أن البغاة تعقر خيلهم وركابهم وتقطع أسلحتهم وتكسر وتؤخذ عنهم ، فهذا اتلاف مال ، ولا ينساغ في عقل ولا نقل أن اللّه–تعالى–انما أمر بقتالهم في أجسادهم خاصة ، وما هذا–لو قبل به–الا نوع برسام ، واذا عرفت ذلك فقد ظهر أن اتلاف مال يستعين به البغاة على الحرب جائز ، وليس هو من باب الغنيمة ، ولا يشبهه ، وبذلك تعرف أن البغاة ، اذا التجأوا بالحصون و لم يفيئوا الى أمر اللّه ، ان هدمها عليهم جائز ، لأنه مثل خيلهم وركابهم ، فيجوز حربهم بالمدافع والمجانيق ، وتخريبها عليهم ولا يجوز ترك حربهم قبل أن يفيئوا الى أمر اللّه)

وهذا ليس من باب الغنيمة ، وانما هو من سطوات اللّه–تعالى– ، فيمن ينتقم منه من المحاربين للّه ولرسوله والدعاة الى دينه ، ليس هذا مشكلا إن أردت البحث ، وانما المشكل حربهم والهدم عليهم وقطع المواد عنهم ، وفيهم من يحتمل كونه من النساء والصبيان والمجانين والمستضعفين في الأرض لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، و لم يروا ذلك مانعا من جواز الحرب لهم ، ولولا لطف اللّه وعنايته بالمؤمنين لوقع مثله بمكة من النبي ﷺ ، قال اللّه تعالى : ﴿**ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم**﴾ وقال تعالى : ﴿**لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما**﴾ (٤٥) ، فانظر كيف أخرهم لطفا منه ، واشفاقا على عباده ، و لم يمنعهم من دخولها وحربها ، وفي الظاهر عدم الجواز ، لكن علم اللّه المصلحة فدبر ذلك كما يشاء ، وان كره المؤمنون ذلك وأحبوا غيره ، من فتح مكة في ذلك الوقت .

واذا عرفت جواز هدم حصونهم وعقر خيلهم وركابهم واتلاف شوكتهم وهي من أعز أموالهم وأشرفها ، وقد عرفت أن مادة هذه الأمور ، وقوة هؤلاء المقاتلة بأموال أخرى من عقارات وضياع أو حيوان أو نقود فيها تقويم جيوشهم وشدة شوكتهم واجتماع الناس اليهم واعانتهم على حرب ربهم ، فأي فرق بينهم وبين حصونهم وخيلهم وأسلحتهم ، أليس الجامع الكلي هو أن كل ما تقووا به على الحرب وكان لهم وسيلة الى العناد وسببا للخلاف والشقاق ان اتلافه عليهم جايز ، اذ الحكم فيه على السواء .

وبالجملة فقد ورد الأثر بجواز ذلك ، وكفينا مؤونته فلا اشكال ، وانما بسطناه كذلك

---

(٤٥) الاية ٢٥ من سورة الفتح

لكثرة تحكمهم علينا ، وهذا باب واسع ، و لم نرد الاستقصاء فيه و انما الغرض ايضا المسألة بما يزيل الأشكال عليك (٤٦)

وبعد : فهذا رد الشيخ الخليلي على الاعتراض ، وقد أوردته بطوله لعدم الاستغناء ببعضه ، وهو واضح الحجة فيما أفتى به الشيخ ، وفي آخر الأمر أجمع القائمون منهم بهذا الأمر على جوازه ، و لم أقف على اعتراض أحد بعدهم على هذه المسألة ، وفي جواب الشيخ الاكتفاء عن التعليق ، فلينظر فيه فانه بين واضح .

رابعا : اعترض عليه قطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش المغربي الجزائري الميزابي اليسجني (٤٧) في مسائل وجهت اليه اما من عمان واما من المغرب (٤٨) وهذه المسائل قد أجاب فيها الشيخ أهل المغرب على أسئلتهم التي وجهوها اليه ، وكلامه بنفسه يدل على ذلك ، وقد يتحامل القطب في بعض الأحيان على الشيخ الخليلي من مثل قوله : (لكن ذلك المسكين لم يطلع عليه وقد كتبنا اليه في تلك المسألة وغيرها فانقطع عن الجواب ، وأن الحق اذا قام صرع معانده) (٤٩) من مثل هذه الألفاظ ، على شيخ كالعلامة الخليلي ، ومن المعلوم لدى جميع أشياخ العلم أن الشيخ القطب كان يغضب كثيرا ، بل سريع الغضب ، حتى انه كان في كثير من الأحيان ، يناله هجران من قومه بسبب ذلك وقطيعة ، ولا يعاونونه على أمور دنياه ، مثال ذلك ، ما جاء في رسالة وجهها اليه بعض أهل عمان ونصه : (وأما أن تزورني أنت أو غيرك من أهل عمان فلا، ورحمكم الله ، فانه تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، لأني في قوم لا يقومون بي ، والاباضية في المغرب أشحاء الا من شاء الله) (٥٠)

---

(٤٦) التمهيد : ١٣/٢٣٧-٢٣٨

(٤٧) لقبه نور الدين السالمي بقطب الأئمة وكان عالما بارعا كثير التصانيف ، أفنى نفسه في التعلم والتعليم وله تلاميذ كثيرون، وانتشر علمه في الآفاق بواسطة كتبه مع الموافقين والمخالفين ، كان آية زمانه في العلم ، أخبرني من أثق به عن نور الدين السالمي انه قال فيه : (لولا أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم لقلت نبي يوحى اليه ، نشأ وعاش في بلدة بني يسجن ، وأخذ العلم عن مشائخ وادي ميزاب ، وفاق عليهم ، ولد في بني يسجن عام ١٢٣٦هـ في العام الذي ولد فيه المحقق الخليلي ، واستمر مجتهدا معلما ومتعلما في جهاد مضن وطويل الى أن وافته المنية عام ١٣٣٢هـ وله من العمر ستة وتسعون عاما -رحمه الله ورضي عنه- .

(٤٨) السائل من المغرب هو عمر بن يوسف بن عدون الميزابي

(٤٩) اطفيش ، محمد بن يوسف كشف الكرب : ١/١١٨

(٥٠) م ن ص١١

وقد أرسل هذا الكتاب الذي هو الحواشي والرد على الشيخ الخليلي الى بعض من طلبه من أهل عمان ، ولما علم الشيخ راشد بن عزيز بذلك كتب اليه يسأله عن مسألتين في التسليم في البيوت وغنيمة أموال المشركين[٥١] فرد عليه القطب بقوله : (أما بعد فسلام على الشيخ راشد بن عزيز من كاتبه محمد ابن الحاج يوسف اطفيش قائلا : ان مسائل السلام والغنيمة ، التي كتبتها ودخلت فيها بقولي :ومن غيره .

وقولي : رجع أرسلتها الى عمان ردا على الشيخ سعيد بن خلفان ، وأنا دائم على الرد عليه في تلك المسائل خاصة ، واني رددت النسخة الى عمان إذ لا نسخة في المغرب منها لا بخطي ولا بخط غيري) [٥٢]

ثم كتب الشيخ القطب يطلب هذه المسائل والرد عليها من عمان ليستردها ، والظاهر أن هذا كان في آخر عمره ، بدليل أنه ذكر لمن طلب منه ذلك وغيره من الكتب التي بخطه بأن يرسلها اليه وأن هذه الكتب والحواشي «الرد» موجودة مع محمد ابن الشيخ سعيد بن علي الصقري ، ومن المعلوم أن الصقري تلميذ للشيخ سعيد ، وهي عند ولده ، فيكون ذلك بعد وفاة الشيخ سعيد بن خلفان بزمن طويل ، لأن ذلك بعد وفاة الصقري وقد توفي بعده شيخه ، وأكبر تلاميذ الصقري العلامة عامر بن خميس المالكي الذي هو تلميذ لنور الدين السالمي فيكون محمد هذا الذي طلب القطب استرجاع الرد منه في عمر المالكي ، وقد عاش الى أواخر زمن الامام محمد الخليلي لأن القطب عاش بعد المحقق الخليلي ستة وأربعين عاما أو ما يقرب منها ، وهذا نص كلامه في طلبه استرجاع الرد مع كتب أخرى : (وكذا تعليق وحواشي كتبتها على ما كتب سعيد بن خلفان)[٥٣]

أرسل الشيخ راشد بن عزيز الى الشيخ القطب رسالة يسأله فيها عن سبب استرجاعه للتعقيب على الشيخ سعيد ، والظاهر من كلامه ، انه يستفسره لعله رجع عن ذلك ، فأجاب : (وأنا رددت النسخة من عمان لانها لا نسخة في المغرب منها لا بخطي ولا بخط غيري) [٥٤]

---

(٥١) م ن ص ٨ ، ٠

(٥٢) اطفيش، محمد بن يوسف ،كشف الكرب : ٨/١.

(٥٣) م ن والصفحة ، ١٠.

(٥٤) م ن ١١٩.

(٥٥) أنظر التمهيد : ٨/١ ، ١/٩

و لم يتراجع القطب في الحال عن الرد على الشيخ سعيد في مسألة السلام في البيوت، وكذب من قال انه تراجع عن ذلك في غير موضع من الكتاب [٥٥]

والآن نأتي على ذكر المسائل التي وقع فيها الاعتراض :

الأولى : هل الاستئناس في البيوت من الفروض أم المندوبات وهل السلام غير الاستئناس ؟

قال الخليلي : أكثر أهل العلم على أن السلام والاستئناس في هذا الموضع سواء .

واعترض القطب بقوله : (هذا سهو بل الصحابة كلهم يرون أن الاستئناس غير السلام الا قليلا الخ[٥٦]

الثانية : هل تجوز معاملة المشركين فيما أخذوه من أموال المسلمين وشراؤها منهم ؟

أجاب الخليلي : لا حق للمشركين فيما اغتصبوه من أموال المسلمين فهي باقية لربها .

تعقب القطب : ان المسألة خلافية وشرح الخلاف وذكر الأقوال فيها . [٥٧]

الثالثة : هل يجوز التعري للنار لضرورة أو غيرها ؟

أجاب الخليلي : إن قول العلماء إن المتعري للنار المشتعلة يهلك ولغير المشتعلة يعصي عام يحتاج الى تقييد .

اعترض القطب : ان الأثر ظاهره امتناع التعري مطلقا وأطال الاحتجاج هنا [٥٨]

الرابعة : هل الصلاة على ظهر المسجد أي سقفه جائزة بلا كراهة ؟

أجاب الخليلي : الصلاة على ظهر المسجد أو ما يشاكلها جائز بلا كراهة ما لم يكن عليه من ذلك من ضرر .

اعترض القطب : جائز مع الكراهة .

---

(٥٥) أنظر التمهيد : ١/٨ ، ١/٩

(٥٦) اطفيش،كشف الكرب : ١/١١٧ ، ١٢٠

(٥٧) م ن ص١٦١

(٥٨) م ن ص٢٢٠

وقال الخليلي : لا يجوز استعمال سطوحها لنشر الثمار فلا يجوز [٥٩]

الخامسة : هل الوقف على المستثنى في الصلاة ينقضها كقوله تعالى : ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ ثم يقف .

أجاب الخليلي : (كل وقف فسد به المعنى فانقلب به الهدى ضلالا والايمان كفرا والحق باطلا فهو المحجور والوقف عليه الا في حال العذر ضرورة–محظور وصلاة من تعمد الوقف باختياره فاسده .

اعترض القطب (قال السيوطي) : الوقف على المستثنى دون المستثنى منه ان كان منقطعا فيه مذاهب الجواز [٦٠]

السادسة : هل يجوز ضرب الدف عند التزويج على الاطلاق أم لكل زمان حكم ؟

أجاب الخليلي : قيل بجوازه في العرس اذا لم يكن عليه رقص وغناء وأصحابنا المشارقة تركوه أصلا[٦١]

السابعة : هل قول بعض العلماء أن من جامع امرأته فوق السطح وقضى اللّه بينهما بولد يكون منافقا مطلق أم مقيد بما اذا لم يكن بين المجامع والسماء حائل ؟

أجاب الشيخ الخليلي : (اللّه أعلم وأنا به لا أعلم لأن قاعدة هذا الكلام بنيت على أمر غيبي لا تقتضيه الأحكام ، فالقطع بالنفاق على المولود يجامع تحت السماء من دون حائل موجود ، شيء لا يحيط به النظر ولا يوجبه القياس ولا يعرف بالأثر)

اعترض القطب أولا على السائل وعنفه ثم عنف الشيخ الخليلي بقوله : (نعم ذلك كله غير موجود في الأثر وانما هو شيء اخترعه سعيد بن خلفان بتخليط وليس الكلام فيه فان الكلام في الجماع على السقف لا تحت السماء) ثم روى الحديث : وهو من وصايا على بن أبي طالب وهي غير مقطوع بصحتها [٦٢]

الثامنة : هل الطلاق يثبت بغير لفظ الطلاق أم فيه رخصة ؟

---

(٥٩) م ن حـ٢/ ٧١–٧٢.

(٦٠) م ن ص٧٥–٧٨.

(٦١) م ن ص١٤٧ و لم يكن هناك اعتراض بل تعليق على السائل.

(٦٢) أنظر كشف الكرب : ١٦٥/٢.

أجاب الخليلي : عبارة صاحب المصنف ان الطلاق لا يقع الا بلفظ يفهم منه الطلاق .

اعترض القطب : أولا على السائل وعنفه في السؤال . وثانيا على الخليلي لأن المجيب لم يفهم كلام صاحب المصنف وأطال في ذلك [٦٣]

التاسعة : هل يجوز بيع المختفي في الأرض جزافا أو على ظهر الأرض ويؤخر اخراجه؟

أجاب الخليلي : إن اشترط التأخير فربما وان لم يشترط فغرر ان تتامموه ثم اعترض القطب على حكاية تخريج الخلاف من غير وجود له أصلا [٦٤]

العاشرة : في السلم بالدراهم عدا من غير وزن .

أجاب الخليلي : بوجود الخلاف في السلم بالدراهم من غير وزن .

لكن القطب اعترض على السائل هنا لا على الخليلي [٦٥]

الحادية عشرة : هل يجوز ضرب المؤدب للطفل في باطن القدمين ؟

أجاب الخليلي : بجوازه قياسا على ما في مثله من الأثر إذ لا يوجد نص فيه .

اعترض القطب : على قياس فرع على فرع غير مشهور [٦٦]

الثانية عشرة : هل توجب الشهرة بالقتل شيئا غير الحبس ؟

أجاب الخليلي : يجوز الحبس بتهمة القتل من غير مدة محدودة .

عقب القطب على السائل هنا [٦٧]

والآن نعود الى التعقيب الخفيف على ما وقع بين الامامين الخليلي والقطب-رحمهما اللّه وغفر لهما - ، كما يلي :

١- يظهر من استقراء هذا الموضوع للباحث والمتفحص أن الشيخ القطب علم بهذا السائل قبل أن يكتب أسئلة الى الشيخ الخليلي ، وانه حاول اقناعه وافهامه فيها فلم

(٦٣) م ن ص ١٨٧-١٩٣.

(٦٤) م ن ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٦٥) م ن ص ٢٤٧-٢٤٨.

يرضخ لقوله وذلك ظاهر في عدة مواضع [٦٨] وكان يعنفه كثيرا ، وانما أراد السائل الاستفادة على سبيل التحكيم للشيخ الخليلي ، فلما علم بها أو عرضت عليه بدا له الرد عن غضب على السائل والمسئول .

٢- ان مسألة السلام والاستئذان في البيوت قد حدث فيها الجدل والنزاع في ميزاب قبل ارسالها الى الشيخ الخليلي وهذا يظهر من كلام القطب نفسه حيث قال ما نصه : (وبينما أنا أعالج بني مضاب على وجوبه أطمعهم جامع المعقول والمنقول الشيخ سعيد بن خلفان في عدم وجوبه) [٦٩] فهذا خير دليل على ما قلته ، وأي ضير في ارسال السؤال الى الخليلي ليعرف ما عندهم من العلم في الموضوع ، فهو في عذر من وجد القطب على ارسال السؤال اليه من ناحيته ، وفي حل من الايراد عليه بذكر الخلاف والاحتجاج له ، فهذا ليس بغريب على الفقهاء في المسائل الخلافية ، والأهم من هذا أن الشيخ كثيرا ما يتحامل على السائل ويشنع عليه ، قبل أن يجيب الشيخ [٧٠]

٣- هنالك من يكرر هذه الأسئلة ويرسلها الى القطب من عمان ، ليستثير فيها الشيخ فصار يكرر اعتراضه على الخليلي ، وذلك واضح في عدة مواضع .

٤- لا يخفى أن الشيخ القطب ما كان يعرف مكانة الخليلي وقدرته العلمية ، ولكن العلماء لا تثنيهم معرفتهم ببعضهم البعض عن ابداء ما عندهم من الرأي في مسائل الخلاف ، وهذه المسائل لا تعدو أن تكون مسائل رأي لا تكون التخطئة فيها بدين ، بل باجتهاد واستنباط للأحكام من أدلتها .

٥- ذكر الشيخ القطب بنفسه مكانة الخليلي ومن ذلك ما سبق أن أوردته عنه في مسألة السلام حيث قال : (علامة المعقول والمنقول) فهل معنى هذا أن رجلا هذا كلامه فيه ينسبه الى الجهل والغفلة ؟ ! كلا بل يعتذر له بأنه غضب للعلم .

وأيضا ورد عنه الاحتجاج بقوله في مسألة الأصول وهي أن ولاية اللّه وبراءته لعباده من الأصول وهما لا يتقلبان بمعنى انهما في العلم الأزلي كذلك ، فان من كتبت له الشقاوة أو السعادة في الأزل لا تتغير حيث قال : (ولا يجوز الخلاف في ذلك المذكور من أن

---

(٦٨) أنظر الصفحات : ١٦٥/١٤٧ ، ١٨٧، ٢٧٤، ٢/٣٦١.

(٦٩) م ن ج١/١١٧.

(٧٠) انظر على سبيل المثال : ٢/١٦٥.

ولاية اللّه وبراءته لا تتقلبان لأنه من الأصول على الصحيح كما قال العلامة سعيد ابن خلفان به لا من الفروع) [٧١]

ووجدته في تفسير سورة الفتح عند قوله–تعالى– : ﴿ أخرج شطأه ﴾ عده في جملة الأئمة والعلماء العاملين المخلصين للّه في عملهم التابعين للصحابة باحسان ، قال: (ومن أهل عصري سعيد بن خلفان) [٧٢]

وبعد هذه اللقطات من كلام القطب لا نعتبره متحاملا على الشيخ الخليلي ، وبلغني أن الشيخ القطب كتب خطبة في آخر عمره ثم وزعها في ميزاب تبرئة للشيخ الخليلي وثناء عليه ، وسئل عن كلامه فيه من قبل أحد تلاميذه فرفع يديه الى السماء كأنه يسأل مولاه العفو [٧٣] وهذا بعد ما عرف مقامه ، وقد أطال اللّه عمر القطب حتى عاش نصف قرن تقريبا بعد الخليلي ، وربما أوردته يتبين أن الخلاف بينهما في الرأي ، فيحتمل لهما جميعا ويجب علينا احترام وجهة نظر الشيخين .

المبحث الخامس–جهوده في الدعوة :

كان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي من علماء الآخرة ، يدعو الى اللّه على بصيرة ، حبله موصول بربه ، وكان شغوفا بالتوجه الى اللّه كل حين ، ومن القانتين للّه آناء الليل وآناء النهار ، مخلصا للّه في كل أعماله ، لا تستشف من كلامه رائحة الرياء ، رغم أن ثوب الرياء يشف عما تحته .

لا ينفك عن الدعوة الى اللّه ، لدى طلابه ولدى المجتمع ، يدعو الى اللّه بالتي هي أحسن ، ويرى أن غض الطرف عما لا يمكن انكاره أولى ، وكذلك ما كان إنكاره يؤدي الى مفسدة أعظم ممن ذلك المنكر ، أو اذا كان فيه تكلف ما لا داعي اليه من التكلف في الدخول في خصوصيات الناس وأعرافهم التي تحتمل الصحة .

وذلك من أجل الترفق بالناس وعدم التنفير لهم من الدخول في خاصتهم ما لم تظهر المعصية علنا أو يجاهر بها صاحبها ، أو تشتهر بين الناس ، فاذا تبين ذلك فيجب القيام بالانكار وهكذا كان جوابه على مثل هذا .

---

(٧١) كشف الكرب : ١/٥٥

(٧٢) اطفيش محمد بن يوسف تيسير التفسير: ٣٤٤/١٢ط وزارة التراث القومي .

(٧٣) مقابلة مع الشيخ المفتي أحمد الخليلي والرواية يرفعها الى تلميذ القطب الشيخ أبي اسحاق–رحمه اللّه– .

و لم يأل الشيخ جهدا في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وألف في ذلك رسالته المشهورة «**إغاثة الملهوف بالسيف المذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**» وأفرغ في هذه الرسالة كنانته ، وأودع فيها من تفصيل مسائل هذا الباب ما يأتي بالعجب العجاب ، ولا ينبئك مثل خبير ، ولا يترك الشيخ الحبل على الغارب لكل من أراد القيام بهذا الأمر بل يحدد له مساره ويضع له القواعد الكفيلة بعدم الانحراف عن الهدف السامي من تحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى سبيل المثال ، فانه حدد مطلب القائم بذلك بوظيفتين :

الأولى منهما : أن يكون قيامه خالصا للّه–تعالى–، بأن يعتقد أنه عبادة خالصة يتقرب بها الى اللّه عز وجل ، كالصلاة والصوم وأنها نافلة من النوافل التي يجب أن يلبس القائم بها ثوب الاخلاص فيها لا ثوب العجب والرياء ، والا انقلبت الى صراع دنيوي لا طائل تحته سوى حب السيطرة والغلبة فيخرج الأمر من حد المباح الى المعصية ، بل من المأمور به الى المنهي عنه .

الثانية منهما : أن لا يكون مطلبه الامارة ، ولا سعيه من أجلها ولا لأجل الوصول اليها فقط ثم اذا وصل اليها لم يؤتها حقها ، بل يعتقد أنها للمسلمين لا له ، فيقدم فيها من هو أولى بها ، ومن تطمئن النفس اليه أن يؤدي لها حقها ،بل انه من ظهر منه الرغبة فيها لا يعطى اياها خوفا منه على العض عليها والجور فيها[٧٤]

وكان يتأوه كثيرا من عدم ظهور المسلمين على أهل البغي في زمانه ، ويظهر ذلك من قصائده المشهورة وأجوبته النثرية ، فكان يدعو الى القيام بالدعوة ويعمل على ظهوره مثل قوله :

ألا تنجلي يا ليل عن صبح فتية ... كـرام بـهـم قـد رد لـلـعـدل يـوشـع

وقوله :

من لي بأنصار الى الله وحده الخ

فكان يحب ظهور أهل الاستقامة فبظهورهم يظهر الحق ويخمد الباطل ، وتؤدى الحقوق ، وتوضع الأمور في نصابها ويحيا العلم والايمان في القلوب ، ويمنع الظلم وينزوي أهله .

---

(٧٤) أنظر في هذا تمهيد قواعد الايمان : ٧/٧٠–٧١

وأنظر الى رأيه فيمن سمع رجلا يشتم العلماء أو المسلمين ، أن يقوم بالانكار عليه ومنعه إن قدر على ذلك ، فان أبى وقدر على دفاعه فله ذلك ولو أدى الى قتله له ، لأن من شتم علماء المسلمين وأئمتهم فدمه هدر حلال حسبما يرويه عن العلامة أبي المؤثر الصلت بن خميس–رحمه الله– ، وهو اعتماد المغاربة مستدلين بقوله–تعالى– : ﴿ وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم ﴾ [٧٥] وبعضهم لا يرى القتل له بل الاغلاظ والتشديد عليه بما يردعه [٧٦]

وفي مجال تربية الأطفال وتعويدهم على الطاعة ، فانه لم يأل جهدا في الدعوة الى ذلك فان الأطفال هم عماد الأمة ومستقبلها فتكوينهم مهم عنده ، كيف وهو يحب تنشئتهم على الطاعة والاستقامة والترغيب والترهيب ، وسأله سائل فيمن أهدي اليه صندوق ذو قيمة عالية عند مهديه به لعب أطفال ومن جملتها «سنطور» راديو أو مسجل أو آلة موسيقى حسب العرف السائد يومئذ و بها دمى أي تصاوير صغيرة يلعب بها الأطفال ، هل يجوز أخذها واعطاؤها للطفل ؟ فأجاب بأن الخلاف فيها موجود ولكن الأحوط في تركها ، وذلك بأن تزال من الأصنام رؤوسها ، وتكسر آلات اللهو منها ولا بأس بأن يلعب بها الأطفال بعد ذلك .

وهذه المسألة من مسائل الخلاف ما لم يجتمع عليها البالغون فاذا اجتمع البالغون صارت حراما ، ثم قال بعد ذلك : (وإني لأكره مثل هذا وغيره ، مخافة أن يألف عوائد اللهو والطرب في الصغر ، فيجره ذلك الى سوء الأدب في الكبر ، لأن في الاقلاع عن خبث الطباع ، بعدما تمكن حب الفها في القلب أمر شاق على الأكثر ، الا الموفقين لسبيل السعادة العظمى والفوز الأكبر) [٧٧]

فأنت ترى توجيه السائل الى تربية الطفل على غير اللعب واللهو خوفا من ألف العادة وصعوبة الاقلاع عنها ، فالأولى تركها منذ البداية ليتربى على مكارم الأخلاق وحميد الخصال ، وانها لنظرة صائبة ودعوة الى الاستقامة وحسن التربية والأخذ بالأحوط في أمر الدين والدنيا معا .

---

(٧٥) الآية ١٢ من سورة التوبة .

(٧٦) التمهيد : ٧/٢١.

(٧٧) التمهيد : ٧/١٠.

ويظهر للباحث أن هذا السؤال ورد اليه من غير عمان ، لأن واقع عمان يومئذ لا يوجد فيها مثل هذه الآلات والملاهي ولعلها من زنجبار .

ولم تمنع الشيخ ظروف الحياة يومئذ ، وواقع الزمن ، من أن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقام بالواجب بين الأمة وصدع بالحق ، ولم يخف في اللّه لومة لائم ، فجاهد ونهض بالدعوة واستقام في تأدية واجب المسلمين واللّه لا يضيع أجر من أحسن منكم عملا ، وخدم الاسلام بالسيف والقلم ، ورد البغاة على أعقابهم ، وظهر نور اللّه في الأرض ، ولم يبتغ من وراء ذلك جاها ولا محمدة وانما أراد احياء الدين ، وارجاع الناس الى جادة الاستقامة وإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم ، وهذا شأن علماء الآخرة الذين أخلصوا دينهم للّه ، وتوجهوا الى ربهم قلبا وقالبا (٧٨)

وكان الشيخ يحارب الابتداع في الدين بدون هوادة ، ولا يرضى بأي أمر ينسب الى الحق وفي الواقع هو الباطل ، فقام باماتة البدع ، مثل ما أنه قام باحياء الحق انطلاقا من أن ما خالف كتاب اللّه وسنة رسوله فهو الباطل ، وهو رد على من جاء به واليك البيان في المبحث التالي :

المبحث السادس-موقفه من الابتداع في الدين :

أبت نفس الشيخ الخليلي أن تقر على بدعة تراها محدثة في الدين على خلاف ما جاء عن اللّه ورسوله ، وما عمل به السلف الصالح ، فحارب البدع وأصحابها ، وكان يحب اتباع السلف في كل شيء ما وجد الى ذلك سبيلا ، فالاتباع خير من الابتداع ، سأله سائل عن جواز حبس مجموعة من الناس في سلسلة واحدة ، أو أن تجعل السلاسل في أعناق المحبوسين ، فغضب من ذلك وقال ان هذا من حالات أهل النار والعياذ باللّه ، وما كان أئمة المسلمين يعاقبون بمثل ذلك ولا روي عنهم في سيرهم وآثارهم ، والخطأ في

(٧٨) قام الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي بعقد الامامة على الامام عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن الامام أحمد بن سعيد البوسعيدي ليكون إماما لعمان ، آمراً بالمعروف وناهيا عن المنكر ، قائما بحدود اللّه وايصال الحقوق الى أهلها ، ومجاهدة البغاة والجورة كما نطق بذلك عقد البيعة ، وكانت البيعة بمسقط في بيت الشجر ، وكان مع الشيخ الخليلي في هذه البيعة المشائخ العلماء صالح بن علي الحارثي ومحمد بن سليم الغاربي . وغيرهم من العلماء وكان ذلك في عام ١٢٨٥هـ فجاهد في سبيل اللّه حق جهاده ، وأخلص لدينه القويم ، وبذل النفس والنفيس في طاعته ، وأنفق من أمواله على قيام هذه الدولة ما يربو على مائة ألف قرش فضة من خالص أمواله ، وأوقف كثيرا من الأموال لبيت المال والمتعلمين وغيرهم في سبيل الخير والصلاح ، وانتشرت الدعوة في زمانه ، وأحييت السنن وأميتت البدع فجزاه اللّه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ، راجع إن شئت عن هذا الموضوع تمهيد قواعد الايمان : ١٣/١١١-١١٣، ٢/٢٦٤-٢٦٩، السالمي نور الدين-تحفة الأعيان : ٢/٢٤١-٢٨٥

العفو خير من الخطأ في العقوبة [٧٩] وكان ينهى عن زيارة القبور للنياحة والندب والبكاء واظهار السخط على قدر الله وجعل ذلك من الكبائر المحجورة في دين الله ، كما قال بذلك السلف من قبل [٨٠] وأما زيارتها للاتعاظ والتذكر للآخرة وأهوالها وما يلاقيه السعيد والشقي فيها فذلك أمر مشروع ولا بأس به .

وأما قراءة القرآن على القبور بعدما قرر الجواز فيها وهو الذي حكاه عن أهل العلم ، دعا الى تركها وقال : وبعد تقرير الجواز في هذا كله فاعلم أني أذهب الى أن ترك تلاوة القرآن لمعنى الزيارة أفضل من استعمالها وأعدل ، من غير تعنيف لمن رأى أو عمل بغير ما رأي ، وما ذاك الا لأني أعلم يقينا وأعتقد جزما أن خير الأمور وأولاها بالاقتداء والتبع وأبعدها عن شوائب البدع ، وأصفاها من كل الخدع ما كان عليه رسول الله ﷺ والقرن الذي يليه من صحابته والسلف الصالحين أيضا ، لأنهم ولا شك هم أعلم بالصواب ، وفيهم النبوة والكتاب فالحق يؤخذ عنهم ويعرف بهم) الى آخر ما قال [٨١] فأجاد فيها وأطال ، ولولا اني أخاف الاطالة لنقلت بقية الجواب فما بقي منه خير مما كتبته فليراجع من محله .

وتابعه على ذلك نور الدين السالمي في آثاره ، وقد اختفت هذه الخصلة بعدما كانت موجودة شائعة ، وقفت لها الأوقاف ، ووجد لها أناس يؤتجرون لقراءة القرآن في المقابر، فأماتوا هذه البدعة التي ما كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ولا قدماء السلف ولله الحمد والمنة وجزاهم عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

وفي بدعة لعبة الزار كما يسمونها سأل سائل عن مريض طلب من وليه أن يتداوى بمثل ذلك فهل له أن يعينه ، فيجتمع له المغنون ويضرب له بالدفوف والطبل لأجل أن يشفى ، فشدد النكير عليه لأنه ليس من دين الله ذلك بل التداوي بالحلال مأمور به وفيه غنية عن الباطل ، فقال : (والذي عندي مثل هذا الزار وعلاجه بالمعاصي والأوزار أنه لا جواز له في حال لأنه نوع ضلال ، لما به من فساد لماهره في العباد ، وليس هو من التداوي الجائز في شيء أبدا الى أن قال : (وليس في دين ولا في رأي للمسلمين ما يبيح الرقص للزار في موضع الضرورة فضلا عن الاختيار ، ولكن في كتاب الله –تعالى–

---

(٧٩) أنظر : التمهيد : ٧/٧٨.

(٨٠) م ن حـ ١٣/٦.

(٨١) م ن ص٢٥.

ما دل على منعه ، وأمر بقطعه ، لأنه في شمول المعنى أنواع من جنس الاعاذة بالجن والشياطين اعتقاد النفع والضرر منهم ، وذل باطل في الدين) (٨٢)

وكما أنه ينهى عن التعوذ بالجن أو القعود للزار كما سبق ، كذلك ينهى عن بدعة أخرى في الدين ، ويؤدي اعتقاد صاحبها الى قتل الناس والاضرار بهم وهو ذهاب بعض الناس الى من يقال له في زماننا هذا «الباصر» ليعرف الآتي اليه نوع مرض قريبه، فيقول له انه مسحور وقد سحره فلان أو أنه يريد فدية كذا وكذا ، ويأخذ هو أجرة على ذلك ، فافتتن العامة بذلك ، واعتقدوا صدقه بالظن فقط ، واستمعوا الى هذيانه ، فيحصل من ذلك التقرب بالقرابين لغير اللّه ، وربما يصل الأمر الى الساحر في ظنهم من غير علم فيقعوا في الهلاك والعياذ باللّه (٨٣)

وفي بدعة سماع العود وآلات الملاهي لأجل تذكرة الآخرة حسبما يقال ، فتنفخ باليد أو بالفهم من قعبة أو قصبة أو شبابة ، وسواء يتلى فيها الأشعار التي تذكر بالآخرة أو غيرها من الأغاني ، كما يدعى اليوم الموسيقى الشجية أو الابتهال الديني مع الموسيقى .

أنكر الشيخ بشدة ذلك الأمر ، وأغلظ القول ، وأمر بتلاوة القرآن والتفكر فيه وهذا نص كلامه : (روى عن النبي ﷺ أنه قال : «بعثت بمحق المعازف والمزمار والمزهر وعبادة الأوثان وأمور الجاهلية» وقد فسر أهل العلم من أصحابنا هذا الحديث فقالوا ان المعازف كل وتر يلعب به ، والمزمار كل شيء ينفخ فيه والمزهر كل شيء يضرب كالعود، وعلى ظاهر الحديث فالعود محرم ضربه وسماعه ولا حكم في ذلك للنية ، وبهذا التأويل فكل ما نفخ فيه بالفم أو ضرب من قعبة وقصبة وشبابة فهو من المحركات ، واختلفوا في الطبل وما يشبهه ، فقيل بتحريمه على حال ، وبعض أجازه إن كان لمعنى مباح والا حرمه، ومثله الدهرة والدف ، الى أن قال وفي كتاب اللّه تعالى ما يغني من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، ففيه من لطائف التشويق بذكر الجنان وصفاتها ، وبما أعد فيها لأهلها ، ما يكاد يختطف العقول الحاضرة ، ويجتذب الألباب الزاكية اليها ومن ذكر النيران وقوارع أهلها ، وعظائم الأغلال في أنكالها ، ما يكاد يقتطع النفوس ويبهر العقول السليمة . فدع ما لا طائل تحته ولا جدوى من ورائه ، وتمسكوا بحبل اللّه فانه الشاهد المصدق والحبل الأوثق والنور الكاشف بالحق ، واللّه يقول الحق وهو يهدي

---

(٨٢) التمهيد : ٣/١٨٤

(٨٣) م ن ص٢١٤

الى السبيل) (٨٤) فانظر الى هذا التوجيه السليم الى الصراط المستقيم لمثل قول هؤلاء الناس الذين يحبون السير وراء البدع والتجمعات المستهجنة على الأوتار والأعواد والموسيقى كما يسمونها إسلامية وليست من الاسلام في شيء بل هي بدعة ومنكر وزور من الفعل ، فلا يحل الابتداع في الدين ونسبة البدعة اليه وهو منها براء.

ومن كلامه في البدع ما نصه : (وكل ما خالف السنن فهو من البدع فدعه الى غيره لعدم خيره (٨٥) وهل أدل من حربه للأزارقة والنجدية ، التي انتصر عليهم فيها في أكثر المواطن بل في جميعها إذهابا لبدعتهم في تكفير المسلمين واستحلال دمائهم على كونه محاربا للبدعة في الدين مبغضا لها دائنا للّه بالبراءة من أصحابها .

ثم ان الشيخ لا يرضى بنسبة الكفر الى المسلمين ، ولو كانوا عصاة أعني كفر الشرك الذي به تحل الدماء والأموال ، حتى ولو تركوا السنن ما لم يعتقدوا الاهانة والاستخفاف بسنة النبي ﷺ ، فتارك السنة عنده خسيس المنزلة لا يكفر بتركها ما لم يقصد الاستخفاف (٨٦)

وللشيخ مراسلات تتعلق بأمور الدعوة إلى الله وإحياء سنن الله واماتة البدع جعلتها في المبحث التالي :

المبحث السابع–بعض مراسلاته :

لم أستطع العثور على مراسلات الشيخ الخليلي لأنها تلاشت الا النزر اليسير الذي يتعلق بالدعوة الى اللّه–تعالى– ، والنهوض باماتة البدع ، وإقامة الحدود وعمارة أموال المساجد وعمارة المساجد بذكر اللّه واغاثة الملهوف ونصرة المظلوم إلى غير ذلك . **فمن هذه الرسائل رسالة وجهها جوابا لمن كتب اليه بخبر وفاة الشيخ الجليل العالم سلطان بن محمد البطاشي وهذا نصها :**

(وصلني كتابك الكريم أيها الولد الحميم ، ومن قبله قد علمنا بما ذكرته من الرزء العظيم، وليس إلا التسليم والرضا لمن بيده في عباده صرف القضاء ، فهو المتصرف في بلاده ، والحاكم في عباده ولا يسأل عما يفعل وفعله عدل ، ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب ومسبب الأسباب والقائل في كتابه :﴿**لكل أجل كتاب**﴾ (٨٧) ،

(٨٤) التمهيد : ٣/١١٥–١١٦.
(٨٥) التمهيد : ٨/٣٥.
(٨٦) أنظر التمهيد : ٥/٧٨/–١٧٩.
(٨٧) (لكل أجل كتاب) الآية من سورة الرعد ، ﴿**إنما يوفى الصابرون أجورهم بغير حساب**﴾ الآية ٢٨ من سورة الزمر .

﴿وانما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾(٨٧) ومصابه عام على الخاص والعام ، وليس لنا ولا لكم فيه لوجه الملك الجليل إلا العزاء الحسن والصبر الجميل ، نرجو من عنده الثواب وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته) (٨٨)

فانظر الى هذه الرسالة القيمة ، التي تفيض بالأسى على موت العالم ، لأن موته نقص في الدين وثلمة لا تسد ، لكنه يسلم الأمر الى الخالق ، فله ما أخذ وله ما أبقى ، فالرضا بالقضاء واجب ، والأخذ باليقين والصبر الجميل من شيمة المؤمنين المخلصين .

و لم أقف على تاريخ هذه الرسالة ولا يوم وفاة الشيخ البطاشي والأمر للّه وحده (٨٩) ، وكان يراسل علماء المغرب العربي ، وهذه الطريقة اتبعها الطرفان منذ القدم ، فكانت المراسلات لا تنقطع عبر العصور ، الى يومنا هذا والزيارات متواترة ، واللقاءات مستمرة خاصة عن طريق الحج كل عام .

وهذه الرسالة وجهها الى الشيخ العلامة سعيد بن قاسم الباروني الجربي وهذا نصها :

بسم اللّه الرحمن الرحيم ، نحمدك يا من شرح صدور الأعلام بنور توحيده فشكروا وسقاهم من كأس محبته فسكروا ، ونور عقولهم بمعرفته وأهلهم لخدمته فقصروا نفوسهم عليه واقتصروا ، وأظهرهم بالحجة البالغة فوق كل مخالف فقهروا ، ويسر لهم سلوك سبيل الحق فاقتدروا ، وجعلهم أئمة يهدون بأمره لما صبروا ، فاذا ابتلاهم بمصاب أجروا ، فمن صبر اجتباه ومن رضي اصطفاه فيا نعم ما ادخروا فهم على كل حالة في ذكره دائمون ، وبشكره ناعمون ، قد تاهوا به على الكون وافتخروا أحمده من لا يرضى منه بدلا ، ولا يبغي عن لزوم خدمته حولا .
مصليا بأكمل الصلاة والتسليم على من أرسل الى الثقلين بشيرا ونذيرا ، وجعله داعيا اليه بإذنه وسراجا منيرا وعلى آله وأصحابه الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . ينتهي تحرير التحية المغلغلة والتسليمات المقفلة ، وقد تغاورتها أيدي الرياح طربا فجاءت بريا القرنفل منها نسيم الصبا الى مصر القاهرة ، بل الى تلك الحضرة الزاهرة ، حضرة النحرير الفاضل والأديب الكامل ، الشيخ : سعيد بن قاسم بن سليمان الشماخي

---

(٨٨) التمهيد : ٢/٢٠٩-٢١٠.

(٨٩) سمعت الشيخ أحمد الخليلي-أبقاه اللّه-يذكر أنه وقف على تاريخ لوفاة هذا الشيخ وانها كانت عام ١٢٧١هـ.

الجربي النفوسي المغربي ، أقام اللّه في نصرة الحق لواءه ، وأدام على عرش العلوم استواءه ، وجمله بالتقوى ، وصرف عنه كل بلوى .

أمـا بعـد :

فقد أتتني منك رقيمة كريمة وصحيفة شريفة بعيد مداها قريب هداها يتضوع نشرها أرجا ويتضوأ نورها حججا قد أسفرت عقود سطورها عن شنب اللؤلؤ المنظوم ، ولمعت بروق ثناياها عن وادق العلوم فسرني ما أهدته الينا من العلم بوجود سلامتكم ودوام استقامتكم في ذلك القطر المغربي على هذا السنن الذي نهج صلوات اللّه عليه ، بعدما وهن الزمان ، وفشا العدوان وكاد أن يعود الدين كما بدا ، وما أشبه اليوم غدا

وقد ساءني ما ذكرته من مصاب الوالد-رضوان اللّه عليه-فإنا للّه وإنا اليه راجعون ، حكمه عدل وقضاؤه فصل ونحن له طائعون نرجو عفوه وفي رحمته طامعون ، أثقل اللّه فيه ميزانك ، وضاعف فيك إحسانك إذ بلغك به رتبة الصابرين ، ليعظم فيه أجرك ويرفع فيه قدرك فكن له من الشاكرين .

فان من شكر المولى في كل ما مر واحلولى ، شكره بالرضا تحت مقاريض القضا ناعما بشهوده بفنائه عن وجوده ، فهو في صبر شاكر ، ولسانه بأنواع الثناء للّه ذاكر والحمد للّه على كل حال .

وقد حررنا لك هذا الكتاب ، ونحن في حال يجب علينا للّه حمده وشكره ، بمكان يستوي فيه عرفه ونكره ، وزمان طار في الحق بغاثه وانحط نسره نسأل عن أخياركم وأخباركم ، ونستنشق نسمات أدواحكم وأرواحكم ونستمد اللّه لنا ولكم ، ونستهديه لما يحبه ويرتضيه .

وذكرت أنه بلغك أن لي مصنفات ، فليتني أسعى في نشرها اليكم ، فما كان لي أن أبخل بها عليكم ، ولكني لست بذاك ولا من يعد هناك ، وما أحسن ما أنشدني في مثل هذا المقام الذميم للقاضي الفاضل عبد الرحيم :

مـا أنت أول سـار غـره قـمـر ... ورائـد أعـجـبـتـه خضـرة الـدمـن

فـانـظـر لـنـفسك غيري إنـنـي رجـل ... مـثـل المعـيـدي تسـمـع بـي ولا تـرني

هذا والسلام عليكم وعلى كافة الاخوان من لديكم ورحمة اللّه وبركاته .

من أخيكم الفقير المحب لكم ان استقمتم على طاعة ربكم سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي(٩٠) حرر في سلخ شهر رجب الأصم سنة **١٢٧٣هـ**

---

(٩٠) التمهيد : ٢/٢٠١

وهذه الرسالة يتبين فيها صدق العاطفه وعمق الأخوة ونور الايمان ، وتشبه الرسالة التي قبلها في جانب واحد وهو التعزية في المصاب ولله الأمر من قبل ومن بعد .

وهذه رسالة منه ومن جملة المشائخ الى اخوانهم أهل المغرب ، يذكرون لهم فيها نصب الامام عزان بن قيس رحمه الله وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي أيد الأحكام الشرعية بسيوف الأئمة وجعل طاعتهم واجبة على جميع الأمة ، وجعل الحجة لهم وعليهم في ذلك علماء الدين الذين بهم كشف الغمة ، وكشف بعدلهم وأنوار هداهم حنادس الجور المدلهمة ، فهم الدعاة الى الله -تعالى- والهداة اليه ، وبهم أكمل دينه وأتمه ، وصلى الله على سيدنا محمد الذي أرسله لجميع العالمين رحمة ، وعلى آله وصحبه الذين لا تنكر فضائلهم الجمة وسلم .

وننهي ابلاغ السلام الوافر وتجديد الثناء الفاخر ، ونشر هذا الخير العاطر ، الى كافة من بأرجاء المغرب وأقطار الأرض من المسلمين أهل الاستقامة في الدين ، من أهل العلم والفضل ، والحلم والفضل والعقد والحل ، وأرباب العقل والنقل ، من مشائخ الكلام ، وجهابذة الاعلام ، وأهل الاجتهاد في الاسلام ، من هم خيرة الأنام والدعام الى دين الملك العلام ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

فالباعث الى تحرير الكتاب يا أهل المغرب ، اعلامكم بأن اخوانكم أهل عمان ، قد قاموا لله -تعالى- في هذا الزمان ، جهادا في سبيله وابتغاء مرضاته ، لما كثر الظلم ، وانتشر الاثم ، وانتهكت المحرمات ، وعطلت الحدود ، وسفكت الدماء وتعطلت الأحكام ، وخربت المساجد ، وتعاظم الجهلة ، فانتدب لذلك أهل العلم وبقية السلف وأولو الغيرة على دين الله ، وذوو الحمية فيه ، فباعوا أنفسهم لله -تعالى- ، الى أن قال : (فقدموا لهم إماما ذا ثقة ودين ، وعقل وشهامة وبطش شديد في المعتدين ، وهو الامام الأوحد والمقدام المؤيد والهمام المسدد ، ذو السطوات الهائلة والعزمات القوية لنصر الله -تعالى- امام المسلمين عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن الامام ، فهو الآن القائم بعمان ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويظهر السنن ، ويميت البدع ، ويغيث الملهوف ويرشد الضال ويفيض الخير ، ويقبض على يد كل جبار عنيد وفاسق مريد ، فينفذ فيهم حكم الله الشديد ولا يتجاوز بهم الى ما لم يأذن به الله من الوعيد .

ولما كانت هذه من أكمل النعم الدينية ، والمعارف الالهية لظهور ما كان درس من الأحكام الشرعية ، وجب أن نعرفكم بها ، لأنكم شركاء في كل ما كان من الأمور الدينية المحمدية ، هذا ما لزم بيانه والسلام عليكم ، من كافة اخوانكم أهل عمان ، من امام المسلمين عزان بن قيس ، ومحمد ابن سليم الغاربي وصالح بن علي الحارثي ، وسالم بن عديم الرواحي ، وحمد بن سليمان اليحمدي ، وكاتب الأحرف بأمرهم أخيكم سعيد بن خلفان الخليلي بيده تاريخ يوم اثني عشر من ذي القعدة سنة خمس وثمانين ومائتين وألف) .

هذا هو الكتاب بكامله ولا يحتاج الى تعليق فهو ناطق عن حاله .

وهذه رسالة أخرى منه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى جناب المشائخ الكرام الأجلاء الحشام الاخوة الفضلاء حمد بن خميس وجميل بن خميس بن لافي السعديين ، ومن معهما من المسلمين أنصار الدين سلمهم الله تعالى وأبقاهم ان شاء الله ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

نحن بخير من فضل الله ، لا زلتم في أتم الخير ، والذي نعرفكم به أنا لم نزل نتصفح هذه الأحوال ، وتتصل بنا الأخبار والآراء من كل مكان ، فلا نرى الأحوال بهذا الاحتساب الا متقاصرة ، ولا القلوب الا متنافرة ولا الهمم الا متواضعة ، ونرى الخطوب علينا محدقة ، والأعداء مرعدة مبرقة ، والنوازل لا تزال تقترب والحوادث لا تستغرب ، ونرى من الصلاح أن يحط هذا الحمل على كاهل ضليع ، كافل بالشريف والوضيع .

وما هو الا من نظرتم فيه الصلاح ، ورأيتم من شمائله ما ينفي عنه رذائل الطلاح ، وما جمع الله المسلمين عليه فهو الخير الذي لا شك فيه فان يد الله مع الجماعة ، ونصرته لأهل الطاعة ، ولا تتركوا الأمر رهينا بمن يفر من الله ، ويتعذر به اتمامه . ولله رجال ليس لطاعن فيهم مقال .

والآن قد مكن الله من ذلك ، فلم يبق منكم إلا لنشمر المأمول ، واني أوصيكم يا معاشر المسلمين لما فيه معزة الدين ، قبل أن ينكشف الغطاء ويظهر دقيق الخطأ ، ويتسع الخرق على الراقع ، فيحتاج الداء الى العلاج الدافع وغير بعيد أن تطول الأيدي،

وتصول الأعادي اذا تم الأمر على خموده ، واستخف الناس بوجوده ، وما هذه الا من الفرص التي لا تضاع . والبضائع التي لا تباع .

فالتقطوا قبل سكون الرايحة واغتنموا تجارتكم الرابحة ، قبل أن تشغلكم صروف الموانع فتبدو لكم صروف القواطع ، فانه لا تزال موارده تترى ، وما من واحدة إلا وتتبعها الأخرى ، وأنتم يا معشر المسلمين شراة اللّه ، بايعين أنفسهم للّه ولأي يوم وشهر بلا أي دهر تدخرون القيام ، وفي غير شيء تمر بكم الأيام ، وهذه الديار لكم في كل ناد ، ألا هل من يجيب داعي الحبيب ، ويغيث الملهوف ويفرج عن كرب المخوف ، ويحب في اللّه ويبغض في اللّه ، ولا تأخذه لومة لائم في اللّه . أين الزهاد ؟ أين العباد؟ أين المجتهدون ؟ أين المجاهدون ؟ اللّه أكبر هل خلت الديار ؟ وتشتت الجوار، أم تناسوا العهد المبين ، بعدما حصل التمكين ، ما هذا الخذلان ؟ بعد حصول البين ، تنشر لكم الرايات والعلامات باذن رب السموات ، أم جهلتم هذه الآيات ؟ أم اغتررتم بالأقوال والحكايات ، وسمعتم أقوال المرجفين ، فثبطتم عن نصرة الدين ، وتركتم العيون باكية والقلوب واهية والمسلمين في وجل ، وخصمهم في أتم الجذل ، ولو قمتم باجتهاد للّه فرد ساعة ، لوجدتم الاستطاعة ، وملكتم البلاد وقمتم بالعدل في العباد ، وان اليوم ينسب الأمر اليكم كله ، ان تحليتم بالقيام أو تراخيتم في النيام ، وتتركوا الشك الذي به يحرم اليقين ، ونوصيكم بالاجتهاد القاطع في الأمر الجامع ، والنظر اليكم مرجعه وعليكم المعول فيه واللّه نسأله تسديد الأمر بمنه وكرمه ، انه ولي ذلك والقادر عليه والسلام ، من سعيد بن خلفان الخليلي .

وهذه رسالة أخرى منه :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

(الى جناب المشائخ الكرام ، الثقات الحشام المؤدين أهل الورع والدين أنصار العالمين ، الراغبين في احياء دعوة سيد المرسلين ، إخواننا المكرمين خميس بن راشد العبري وعلي بن ناصر الريامي ومن معهما في تلك الأطراف من المسلمين المجتهدين المتوكلين على رب العالمين .

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته ، نحن بخير ان استقام لنا ديننا ، ورضي اللّه عنا وأنتم كذلك ، ورضوان اللّه تعالى لا يكون الا بالتقرب اليه وبذل النفس والمال له ، واني

حريص عليكم ، أحرضكم وأدعوكم الى نصرة دين مولاكم والقيام له مبادرين الى ملك لا يبلى ، ونعيم لا يزول ورضوان من اللّه أكبر في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وقد تعلمون أن الدعاء الى مثل هذه الدعوة قد انطمست معالمه ، وانهدمت دعائمه ، وأفلتت أقماره وقلت أنصاره ، ولم تبق منه الا أخباره وقد أظلكم بحمد اللّه عصر ان

رعيتم شكره يوشك أن تبزغ عليكم شموسه النيرات ، وتتدانى اليكم أفلاكه المظهرات ، وإن أبيتم إلا كفره ، يوشك أن تعضوا الأنامل ندما ، وتسكبوا الدموع دما، اذا سالت الأرض فسادا وشمخت الوهاد عنادا ، فاتضع الرفيع ، وارتفع الوضيع، وتعاكست الحقائق وتعاظمت الدقائق .

والا فقد تعلمون أن هذا الشأن لا يقوم به أهل اللّه الذين هم صفوة الدنيا ، وروح حياة الأشياء ، وقد جعلهم اللّه في الأرض بدرا لينظر كيف تعملون ، وألزمهم اجابة دعوة من قاموا الى نصره يهرعون ، ومتى اختاروا القعود ونسوا دعوة المعبود ، سلط اللّه عليهم من العقاب ، جبابرة يسومونهم سوء العذاب ، وأفرغ عليهم أنواع النقم ، في بواطن النعم ، فيستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملي لهم ان كيدي متين .

نعم وهو الحق المبين ، وكفى مكيدة أن يخذلهم عن القيام الى الطاعة ، والتقدم في الجماعة ، ليخرجهم من جنة الفضائل ، الى حانوت الرذائل ، بتسليط أنواع الوساوس الدنياوية باستعمال المداهنة والتقية ، والحذر على فوت القوت ، واللّه الكافل يرزق كل حي يموت ، وفي السماء رزقكم ، واللّه يعصمكم من الناس ، فتجردوا عن ذلك الوسواس ، وكونوا من الصابرين في البأساء والبأس ، فلا محاذرة لا بأس ، وقد انكشف الغطاء فلا التباس .

والمسلمون يرجونكم وأهل الدين يدعونكم ، وما أحببتم أن يكون لكم عند اللّه من المحال يوم تلقونه في المآل فقدموه الآن لأنفسكم ، واتقوا اللّه واحذروه لئلا يفتنكم الشيطان عن دينكم ، فيؤخركم بعد أن خيبكم ؛ ألا هل من ذي قلب شهيد ورأي رشيد يجيب دعوة اللّه المجيد ، وما ربك بظلام للعبيد لا تخافون مذلة ولا قلة ، فان مولاكم هو الغني الحميد ولينصرن اللّه من ينصره إن اللّه لقوي عزيز .

ولا تقولوا إنا نحن الحاضرون وبنا الكفاية وانا نقول : ليس في هذا كفاية ، وكيف تعرفون انا كافلون قبل أن تعرفوا ما عندنا ويتضح من عندنا ، ما هذا الا قطع بالغيب ،

وفيه ريب ، وانا لندعوكم ونشمركم الى الوصول في الحال ولا نطيل المقال ، فلا تكونوا منخذلين ولا مخذلين ، وكونوا من الصادقين ، والسيد والمطاوعة على اجتماع بالرستاق على وعد قاطع كما عرفناكم في السابق ، وهم يرجونكم ولا يحسن منكم من جهة الدين والدنيا الا الوصول ، ولذلك عنينا بهذا الواصل راجعا طارشا علينا مرة ثانية لئلا تتقاعدوا كسلا ويخيب الظن فيكم أملا لتعلموا والظن فيكم جميل، ونرجو منكم ما أنتم أهله والسلام عليكم) .

من أخيكم ومحبكم وداعيكم الى ربكم سعيد بن خلفان الخليلي مهما بدت حاجة مقضية .

حرر نهار ٢٧ رجب سنة ١٢٤٣هـ

وهذه رسالة أخرى عنه

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الى المشائخ الكرام الحشام علي بن سليمان وأحمد بن مبارك وأحمد بن سعيد وعبداللّه بن شائع ومسعود بن صابر ومن معهم من المسلمين السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته،أما بعد:
وصل كتابكم الشريف الذي مقتضاه أنكم راضون بما يصنع المسلمون فهذا حسن ، لكن ليس هذا المطلوب منكم ولا هو المأمول فيكم ، وكنا نرجو فيكم رجاء ونطمع فيكم بأحوال ونقابل عنكم تقابلات ولا نظن أن تخيبوا ظننا وتتركونا كما قال قوم موسى : ﴿**اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون**﴾ .

إنا للّه وإنا اليه راجعون أليس فيكم غيرة على الاسلام ما لكم تدعون الى اللّه ورسوله وأنتم قاعدون ؟ أتقولون ما لا تفعلون ما لكم كيف تحكمون ؟! ، ألا تعلمون ان مثلكم خذلانه شديد وقيامه مفيد ، فما لكم يا هؤلاء تسمعون الى قول القائل وما وراءه طائل ، يا قومنا أجيبوا داعي اللّه وآمنوا به وانصروا اللّه إن كنتم مؤمنين ، وأصدقوا القول بالفعل ان كنتم صادقين وهذا وقت الحاجة ووجوب النصرة وبذل النفس والمال ، ﴿**ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾ وأقوى يقينا وأكثر في اللّه اجتهادا .

واياكم والتأخير ، ولا يفتنكم الشيطان عن دينكم ، ولا تكونوا من الذين كره اللّه انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ، أولئك انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وأنتم حاشاكم من ذلك ، واللّه نسأل لكم السلامة ، والتوفيق لنصر دينه يوم

يقل الناصر ويعز القائم هيا هيا يا جنود الرحمن وحملة القرآن وخلاصة الاخوان ونصرة الأديان هذا وقت الغضب لله والجهاد في الله أجيبوا داعي الله قبل أن يحال بينكم ، بارك الله فيكم وعليكم .

واذا وصلكم كتابي هذا فلا تترخصوا بالتأخير في الحال ، حتى يعلم المسلمون صدقكم واجتهادكم ويظهر لهم فضلكم وجهادكم جاهدوا في الله حق جهاده ، واتقوا الله حق تقاته ، وكونوا الله يكن لكم ، ولا تخذلوا الله يخذلكم ولا نريد منكم الجواب بالعواذر والأقوال ولكن بالأشخاص والأحوال ، قل لا تعتذروا قد نبأنا الله من أخباركم ، والله المسئول يعينكم بالاسلام وقوة الايمان ، وصدق اليقين الذين لا يخافون معه لومة لائم ، وقد طرشنا لكم طارشا عانيا اليكم لتعلموا صدق الرغبة فيكم وفرط الحاجة اليكم ، وكمال المودة لكم والنصيحة في الدين والسلام عليكم .

من أخيكم سعيد بن خلفان ومن معه من المسلمين كافة

٢٤ رجب ١٢٤٣هـ

وهذه رسالة أخرى منه ومن معه :

بسم الله الرحمن الرحيم

(من حمود بن عزان وحمد بن خميس وراشد بن مصبح وسعيد بن خلفان ومن معهم من المسلمين الى المشائخ الكرام الحشام الاخوة في الدين : علي بن سلمان العمري وأحمد ابن سعيد وأحمد بن مبارك وعبدالله بن شائع ومسعود بن صابر ومن معهم من المسلمين. السلام عليكم . نحمد الله اليكم ونشكره على سمو كلمة الاسلام واظهار نور الحق بين الأنام ، وندعوكم الى القيام بأمر الله ونصرة دينه ، وأن تكونوا في الله مجيبين ، وفيما عنده راغبين ، وقد اتفق رأي المسلمين على تقديم امام لهم في الدين يجتمع به شملهم ويظهر به عدلهم ومرادنا أن يدخل في بيعته كل من أراد ، الله ورسوله والدار الآخرة والمراد منكم ان كانت لكم في الدين رغبة ولله محبة أن تكونوا في جموع المسلمين وزمرتهم ، بالوعد القاطع من يوم ٣ من شعبان في بلد الرستاق ، وقد عرفنا بذلك الشيخ سلطان بن محمد وغيره ونرجو منهم الوصول عن وعد قاطع. ولا نرجو منكم الا ما يشد الظهر ويحط الوزر ويقوي الأزر ويدفع الخذلان وعلى الله التكلان ، والمراد منكم أن تدعوا في صحبتكم كل من فيه مطمع للوصول من المسلمين في تلك الأطراف أجمعين والسلام)

كتبه الفقير سعيد بن خلفان بيده ١١ رجب ١٢٤٣هـ .

اذا استقرأ الناظر رسائل الشيخ الخليلي ، وجدها كلها تفيض بالايمان الخالص للّه الذي لم تشبه شائبة رياء ولا حب محمدة ، وانما وجهته المولى -سبحانه- والدار الآخرة وما أعد اللّه فيها للمؤمنين الصادقين ، ويهدف فيها الى نصرة الدين الحنيف الذي بعث به النبي صلى اللّه عليه وسلم واقامة شرعه المبين وتعبر عن حب المؤمنين والرغبة في التفافهم وقيامهم بواجب المسلمين طلبا لمرضاة اللّه -عز وجل- ، وتحذيرا من الوقوع فيما وقع فيه المنافقون من أهل المدينة من النفاق والتنبط والكسل عن مناصرة النبي صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه .

فيما وقع فيه المنافقون من أهل المدينة من النفاق والتثبيط والكسل عن مناصرة النبي صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه .

وفي هذه الرسائل اقتباس كثير من الآيات القرآنية ، فكان لا يبرح لسانه يكاد أن يتكلم به في كل لحظة وحين ، والاقتباس يعد من الأمور البلاغية التي تضمنتها اللغة العربية الفصيحة ، وفيها من البديع كالسجع والجناس وغيرها ، وفيها التورية والكنايات حدث عنه ولا حرج مما يدل على مكانة الشيخ في هذه اللغة الأصلية ، وفيها من الناحية الدعوة ما يضيق عن ذكره المقام . وقد تركت رسائل الشيخ للامام عزان بن قيس -رضي اللّه عنهما- ، وقد جاءت في التمهيد وتحفة الأعيان ولكني خفت الاطالة .

ومن ثمرات معارف هذا الشيخ ووصوله الى مرتبة كبرى من العلم ، ونيله شأوا بعيدا من التحقيق والتدقيق ما روي عنه معارضات لشيخه الكبير ناصر بن أبي نبهان- رحمهم اللّه- ، رغم اجلاله واكباره لهذا الشيخ في كثير من المواقف العلمية ، وها أنا ذا أبين للقارىء بعض تلك المعارضات في المسائل الكلامية للدلالة على مكانة الشيخ في تأصيل المسائل ، وذلك كما يلي :

المبحث الثامن -بعض مخالفاته لشيخه

وكان الشيخ سعيد يجل شيخه أيما اجلال ، وينظر اليه نظرة اكبار واحترام ، شأن العلماء الذين يعرفون قدر شيوخهم ، وانظر الى أدب الصحابة مع النبي ﷺ وأدب موسى مع الخضر ، ومن أمثلة احترامه وتوقيره لهذا الشيخ ما كان يخاطب به تلميذه القسيمي حيث قال : (قد كان من نظري لك بالأولى أن ترك البحوث عنه أحلى كرامة

لشيخنا القائل) ... وتفخيما لشيخنا الصالح ... من غير أن نحيل على ابطاله فيعد من ذلك سوء أدب في حقه ... ولا نظن هذا الشيخ مع غزارة علمه وسعة فهمه أن يمنع منه راسا ... فدع ما عداه وخل عنك الاجتهاد ، وسلم له القياد) (٩١) وقال عنه أيضا: (وهم كانوا أكثر منا علما وأصح نظرا لهم في الحق تبع ان شاء اللّه تعالى) (٩٢) فانظر الى هذا التأدب أمام الشيخ وهضم النفس عنده .

وقوله : (لهم في الحق تبع) احتراز من أن يتبعهم في كل شيء وذلك دليل على بلوغه درجة الاجتهاد والنظر في ترجيح الأقوال ، وقد حصل ذلك فعلا منه ، حيث انه خالف شيخه في بعض مسائل ، ورد فيها على الشيخ ناصر اتباعا للدليل لا هوى في النفس ، ومن أمثلة ذلك :

ما جاء في معرض ذكر فلسفة أرسطو وأمثاله ، وقول شيخه ابن أبي نبهان انه لا يمكن أن ينسب الى أرسطو ضلالا حيث قال : (ولا يصح اطلاق على أرسطا طاليس ولا على مثله أن ينسب اليه-ضلالا-ما قيل في الفلسفة ، لأن أرسطو كان فيما قيل وزير ذي القرنين ، ولهما سير لبعضهما بعضا ومخاطبات ، فكيف يضل مع ذي القرنين الذي أثنى اللّه-تعالى-عليه في الذكر الحكيم ، ان أولى ما به أن ينزه عن تأويل كل باطل ، وان روى عنه من روى) الى آخر ما قال (٩٣)

فالشيخ سعيد لم يعجبه كلام الشيخ ابن أبي نبهان في هذا ورد عليه ، قائلا : إنه لا ينبغي الاعتقاد الجازم بأن أرسطاطاليس ولا أرسطو هم من أهل الايمان الحق ، بل ينبغي الوقوف فيهم ، وهذا نص كلامه : (وأما ما أطنب فيه الشيخ من ذكر أرسطو الحكيم ، فنحن لم نقم معنا فيه حجة تقطع أحكامه ، ولا تصحح اسلامه ، ولا تثبت عذره ولا تثبت كفره الا ما ينسب اليه في الآثار الاسلامية من مذاهب الضلال الفلسفية فمن صح عنده ذلك عده هنالك ... وليس ذو القرن بأعظم منزلة من رسول اللّه ﷺ في صحابته ، ولم يثبت لهم حكم ولاية بما يثبت من سعادته ، الا على الخصوص فيمن كانت له سابقة فضل في حكم الظاهر ، أو شرفه بها الرسول صلوات اللّه عليه بنص من شهادته ، فكيف يصح ذلك القول في أرسطو أو من أهل فلسفته ، إني لا أعرفه ولهذا نبهت عليه ، لينظر فيه من كان من أهل النظر ، ثم لا يؤخذ من قولي

---

(٩١) التمهيد : ٥/٢٥١-٢٥٧

(٩٢) التمهيد: ٢٥٩/١٣ وتمثل في آخر الكلام بقول القائل :

وابن اللبون إذا ما لز في قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

ولا من غيره الا ما وافق الحق والهدى) (٩٤)

فترى الشيخ يتوقف في مثل هؤلاء عند نصوص الكتاب والسنة أو الاجماع ، اذ لا يصح الجزم فيهم بشيء الا عن طريق الدليل ، وأكتفى في الرد بالتنبيه ليلقى الناظر في الموضوع مجالا للقول من غيره هو تأدبا مع الشيخ ابن أبي نبهان .

ومن أمثلة ما استدرك على شيخه فيه قوله في يأجوج ومأجوج والدابة ان القرآن جاء بهما ومن حيث إن الساعة لا تأتي الا بغتة فيجمل تقدير (لو) في الكلام فيصبح ﴿**ولو فتحنا عليهم يأجوج ومأجوج فهم من كل حدب ينسلون**﴾ وكذلك الدابة ، استدل الشيخ على هذا قائلا : (اللّه أعلم وأنا به غير بصير ، لكن ما ذكره الشيخ من تقدير لو في فتح يأجوج ومأجوج وفي خروج الدابة من الأرض ، لا معتمد له ولا أصل ، لعدم الدليل عليه ، والعدول عن الظاهر لا يصح في التأويل الا لسبب يوجبه ، ولا دلالة على ذلك هاهنا من لفظ ولا معنى فليس هو يشيء) (٩٥)

فهذا صريح في عدم اقتناعه بما قاله شيخه ، ولكل منهما وجهة نظر في التأويل .

وعند قول الشيخ ناصر إن أهل الجنة لا يمكن أن يروا بأبصارهم أهل النار لأن الجنة عريضة رد الشيخ الخليلي بقوله : (وقوله في أهل الجنة : «لا يسوغ في العقول السليمة أنهم يرون أهل النار إذ الجنة عريضة» قول في سخافته ركاكة معناه يشبه الهذيان ، فأي مانع منه ، وقد ثبت في الدنيا مثله ، قال اللّه تعالى :﴿**وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض**﴾ (٩٦) فاذا جاز في حق ابراهيم وهو في هذه الأرض أن يرى ملكوت السموات فكيف لا يسوغ في حق أهل الجنة أن يروا أصحاب النار ، وقد ثبت ذلك في نص القرآن ، قال اللّه –تعالى– : ﴿**فاطلع فرآه في سواء الجحيم**﴾ (٩٧) وقد ثبتت مخاطباتهم لبعضهم بعض في قول اللّه –تعالى– : ﴿**ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة**﴾ (٩٨)

الخ الآيات فمنع كون النداء منهم إذ هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار لأجل بعد المسافة–باطل فالقدرة واسعة والفيض عظيم) (٩٩)

---

(٩٤) أنظر م س ص ١٤١–١٤٢

(٩٥) م ن ص ٩٠–٩١.

(٩٦) الآية ٧٥ من سورة الأنعام .

(٩٧) الآية ٥٥ من سورة الصافات .

(٩٨) الآية ٥٠ من سورة الأعراف .

(٩٩) التمهيد : ٩٦/١.

وفي اطار تقدير (لو) في علم اللّه–تعالى–بما سيكون لو كان في قول ، فلا يصح فيه القول بـأني لو تركتك حتى تكبر لعصيت ، لأنه لم يكن في علمه انه ليكبر ولا أنه يعصي فليس في علم اللّه (لو) وانما هي تكون في الممكن من علمنا .

رد الشيخ الخليلي قائلا : والعجب من هذا الشيخ البصير والجهبذة الكبير كيف تلتبس عليه مثل هذه مع شدة نورها وكمال ظهورها ، ثم اذا أشكل مثلها عليه فكتاب اللّه بين

يديه ، وقد صرح بها في غير موضع ، وهو الحجة له وعليه ، فكيف يصح القول بأنه ليس في علمه–تعالى–(لو) وكتاب اللّه مشحون به) (١٠٠)

هكذا ترى الشيخ يخالف شيخه في مثل هذه المسائل وغيرها ، وقد اخترت لك أيها القارىء الكريم المسائل الكلامية ، ذلك لأنها مع تعقدها وقلة الخلاف فيها بين الأصحاب دليل واضح في عمق نظر الشيخ وبراعته في الاستدلال والغوص على المعاني، فاذا كان هذا في المعقول فكيف بالمنقول وبعبارة أخرى اذا كان هذا في العقائد وان كانت من السمعيات–فكيف بمسائل الرأي العملية .

وذلك لأن المسائل العملية ، مجال القول فيها واسع لأمثال هؤلاء العلماء تبعا لفهم الدليل والاطلاع عليه ، وترجيح بعض الأدلة على بعض .

وها أنذا أكتفي في الخوض في ثمرات معارف الشيخ ، وينبغي لي الدخول في الكلام على فكر الشيخ العلمي والعملي وهذا ما سأتناوله في الفصل الموالي إن شاء اللّه .

---

(١٠٠) م ن ص ١٣٥.

الفصل الثالث
فكر الشيخ الخليلي من خلال مؤلفاته

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : فكره اللغوي

المبحث الثاني : فكره الكلامي

المبحث الثالث : فكره الفقهي الأصولي

المبحث الرابع نماذج من فقهه في العبادات

المبحث الخامس : نماذج من فقهه في الأحكام

المبحث السادس : المصطلحات الفقهية

المبحث السابع : وفاته

المبحث الثامن : ملاحظات على التمهيد

تقـــديم :

ان فقهاء المسلمين ومفكريهم منذ سابق العصور ، ما كان يعنيهم التخصص العلمي كما يسمى الآن ، بل تجد العالم منهم ملما بأكثر العلوم ، فهو عبارة عن موسوعة علمية متكاملة ، في شتى الفنون والميادين ، فهو متكلم ومفسر وراوية حديث وفقيه وأصولي ولغوي وأديب وشاعر ومؤرخ .

ولا أعتقد أنني بحاجة الى التمثيل ، فقد سار الخلف في هذا الشأن ، مقتديا بالسلف ، فانظر الى كبار المفسرين والمحدثين تجد لهم موسوعات في التاريخ ومؤلفات في الأصول والفقه ودواوين في الشعر ، ورسائل في المنطق ، وتصانيف في اللغة العربية الى غير ذلك من فنون المعرفة .

والعمانيون لم يكونوا بمنأى عن هذا الميدان ، فقد ضرب العلماء الفطاحل منهم أروع الأمثال في ذلك ، وصنفوا الموسوعات المتكاملة ، في أبواب الأصول والفقه ، مع التفسير والحديث ، ولهم قصائد رنانة في فنون مختلفة ، وساهموا في نشر العلم بشتى الوسائل ومختلف الطرق ، وحازوا نصيب الأسد من علوم اللسان العربي الذي يطلقون عليها علوم الآلة ، وما أصدق الاسم على المسمى ، فالعربية هي الآلة التي توصل الى فهم بقية العلوم الاسلامية ، لأن مصدرها القرآن والسنة وهما عربيان ، بهما قمة الفصاحة .

وشيخنا الخليلي «شخصية البحث» لا يختلف عن هذا الاطار ، فالعربية أداة الفهم للقرآن العزيز وتبين معانيه ، لأنه نزل باللغة الفصحى وهي أداة لفهم معاني السنة ، وسائر العلوم كلها ، كما قال القائل في النحو :

ومن حوى النحو صار الفهم في يده   طوعا يحل به ما ضمت الكتب

ذلك لأن علوم الاسلام لا تفهم الا باللسان العربي السليم ، فأراد أن يضع للسالكين دليلا اليها بما أسهم فيها من مؤلفات قيمة واليك البيان :

المبحث الأول-فكره من خلال مؤلفاته اللغوية :

كان التلميذ العماني يبدأ تعليمه في مدارس العلم الايمانية بتعلم اللغة العربية باعتبارها القالب الأولي الذي يكوّن شخصيته ، ويصوّر فكره ، فيبدأ التلميذ وهو صغير بتعلم الكتابة والقراءة .

ثم يبدأ بتعلم القرآن الكريم وهكذا في أي بقعة من عمان وهذ أثر من آثار الايمان العميق بمكانة القرآن الكريم ، من حيث انه كلام اللّه-عز وجل-وذكره العظيم ونوره المبين ، فيشب التلميذ مرتبطا بتلاوته ويحمل مصحفه أينما يظعن أو يحل وامتثالا لقول النبي عليه الصلاة والسلام : «علموا أولادكم القرآن فانه أول ما ينبغي أن يتعلم من علم اللّه هو» (١)

وبعد أن يكمل التلميذ تلاوة القرآن وحفظ البعض منه ، وأحيانا حفظه كله ينتقل الطالب من هذه المدرسة الأولية ليتتلمذ على يد شيوخ العلم ، الذين هم أكثر تعمقا في علوم العربية ، والعلوم الاسلامية ، فيقرأ مبادىء النحو والصرف والبلاغة والأدب وأصول التوحيد ومبادىء الفقه ، حسب رؤية الشيخ لذلك الطالب ، من كفاءته ومقدرته على تلقي العلم ، والمواظبة على الدرس والتحصيل ، فيرتقي الى ما هو أعلى من علوم التفسير والحديث وأصول الفقه والتعمق في علم الكلام الى غير ذلك .

---

(١) رواه الربيع في الجامع الصحيح جـ١ باب تعليم القرآن ، ومن الجدير بالذكر فانك لا تجد بلدا ولو صغيرا في عمان الا وتجد فيها مدرسة للقرآن بل تجد في البلد الواحد ما يصل الى العشر وذلك أثر من آثار الايمان .

والمطالع في كتب الشيخ الخليلي التي صنفها في العربية يجد أن هذه الكتب قد ألفها في مستهل عمره وعنفوان شبابه ، بدأ دراسته بتعلم اللغة العربية بفنونها فنبغ فيها وهو صغير ، وبدأ بالتأليف–كما يروى–وهو ابن ستة عشر عاما ، وبحق فهو آية إن كان الأمر كذلك ، وذلك أن كتاب مظهر الخافي كان تأليفه بطلب من شيخه حماد ابن محمد البسط ، الذي أخذ عنه العربية فيما يظهر ، وخاصة علمي العروض والقوافي، وقد بسط الشيخ فيه الكلام على عروض الخليل بن أحمد ، فكأنما ألفه وفاء له ثم اتبعه بكتابه «فتح الدوائر» الذي جعله مكملا لما جاء في كتاب مظهر الخافي وقد أشار الى ذلك بقوله :

وما عدا ذاك مما دون مبلغه ... فالكل في مظهر الخافي له رتب

وهذا ينبىء عن سعة الادراك المبكر ، وقوة الذاكرة والحفظ ، والفهم والاحاطة بهذه المعاني في سن الشباب ، وهو دليل أيضا على أن اللّه أعطاه الالهام واختصه بشيء من علمه اللدني الذي يهبه اللّه لمن يشاء ، ولا ريب فان الشيخ توجه الى اللّه–عز وجل–بطلب الفتح عليه واعطائه فيضا من العلم فلازم الذكر والتوسل ، وابتعد عن المثبطات والعوائق ، ولا يقدر على ذلك الا المجدون واسمع قوله في افتتاح بعض قصائده التوسلية الايمانية :

سلوك طريق العارفين بعرفان ... يلذ لأرواح غذين بايمان

نعم إنه لا يلذ الا لمن استقر الايمان في قلوبهم وخالط لحومهم ودماءهم ، وبصائرهم ، وذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم .

أما كتابه المقاليد ففيما يظهر للباحث أنه ألفه بعد ذلك إذ قال في مقدمته ما نصه : (ولما اطلع على نظمها العالم الرباني والبحر النوراني وحيد دهره بلا ممانعة وفريد عصره بلا منازعة أبو محمد ناصر بن العلامة المولوي الولي أبي نبهان جاعد بن خميس الخليلي الخروصي ، أمرني أن أثبت عليها شرحا لطيفا مختصرا ، ولم يقبل تعللي كلما جئته معتذرا ، فلم أستطع خلافا لأمره ولا تبديلا ، بل تلوت :

﴿إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا﴾ (٢، ٣)

وهذا وان كان لا يدل تاريخياً على الفترة التي نظم فيها هذه الأرجوزة إلا أنه يدل

---

(٢) الآية ٥ من سورة المزمل .

(٣) مقدمة الجزء الأول من المقاليد طبعة وزارة التراث القومي والثقافة ص١ .

على وقت كان الشيخ فيه ملازما لشيخه ناصر بن أبي نبهان ، وقد كان ذلك في وقت متأخر ، لأنه لازمه لأخذ الفقه والأصول وعلوم التفسير وغيرها . وأترك الكلام على المقاليد للمختصين في هذا الشأن :

أما فكر الشيخ سعيد في هذا الجانب فهو فكر عالم متعمق مؤمن بأن اللغة العربية هي لغة القرآن وانها تجب العناية بها والالتفات الى خدمتها ولولاها لضاع الاسلام والعلوم الاسلامية ، وتشتت وحدة العرب والمسلمين جميعا ، ولكن اللّه -عز وجل- أراد حفظها بحفظ القرآن وذلك من يمن الطالع للعرب خاصة والمسلمين عامة ، ومن الواجب عليهم أن يفهموا ذلك ويحافظوا على لغتهم التي هي لغة القرآن ونبي الاسلام ولغة علوم الاسلام كلها .

وللشيخ كتاب في البديع ، ولعله استهواه هذا الفن ، وأخذ بمجامع قلبه البديع في القرآن العزير فهناك قمة البلاغة و لم يترك هذا الجانب بدون أن يسهم فيه بنصيب ، فخدم العربية بفنونها كلها نحوا وصرفا وبلاغة وعروضا وقافية ، كانت له المساهمات الرفيعة في الشعر ، والفكر فيها كلها اسلامي محض ، ويسمى كتاب البديع «سمط الجوهر الرفيع في فن البديع» أو ما يشبه هذا .

ومن الجدير بالذكر أنه لا يتعمق في اللغة ويتبحر فيها من علماء الشريعة الا العباقرة ، فالغوص فيها يعتبر فنا عظيما يحتاج الى فهم ثاقب وحفظ نادر ، ولذلك كان أمثال هؤلاء الأفذاذ قد بلغوا درجة الاجتهاد في عصورهم لأنه لا يمكنهم الغوص في معاني الكتاب والسنة والوصول الى درجة الاجتهاد الا بمعرفة هذه اللغة فهي شرط من شروط الاجتهاد والفتوى .

وما زال غير المسلمين يعملون جاهدين على ابعاد أبناء المسلمين عن تعلم اللغة العربية بشتى الوسائل والحيل ، فرموها بكثير من الاتهامات لابعاد الناشئة عنها ، كادعائهم بأنها صعبة وعميقة ، وانها ليست لغة علمية وليست من اللغات الحية ، وتقريب اللغات الأخرى وتبسيطها بحيث يقبل عليها الشباب ، وبعتبرونها لغة العلم والبحث والتطور ، حقا انها معضلة ، أليس العرب والمسلمون عامة هم الذين ترجموا الكتب العلمية القديمة الى العربية وطورها المسلمون بلغتهم ، وأضافوا اليها تجاربهم وعاداتهم وهدي نبيهم وشريعتهم في الطب وغيره ، وألفوا في ذلك كتبا ترجمت الى اللغات الأخرى كالقانون في الطب والتذكرة ، وغيرها ، فهي الى اليوم تدرس في جامعات أوروبا وأمريكا .

ثم ألم يكن علماء المسلمين قبل هذا العصر هم الذين ألفوا كتبا في الأحياء والكيمياء والفلسفة والمنطق والرياضيات وغيرها من الفنون العلمية ثم أخذ الغرب هذه الكتب، وصهرها في بوتقته ، وأخرجها بلغته ، ان في ذلك لعبرة لأولي الألباب ، وموعظة لمن كان له قلب يعرف الخطأ من الصواب .

وعودة الى ما سبق فان الشيخ سعيد قد فهم ذلك ، ونال بفضل اللغة العربية التفوق المطلق على أقرانه في عصره ، فكانت مفتاحا لما أغلق من العلم عن غيره من بني جنسه في عصره ومصره ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ولهذا فمن الضروري ارتباط العلوم الاسلامية بالعربية بلا فصل بينهما ، ومن هذا المنطلق فقد خاض الشيخ غمار الاجتهاد والتعمق في المباحث الكلامية والفقهية ، لأنها نابعة من نصوص الكتاب والسنة ، ولا بد من التعرض لفكر الشيخ في الناحية الكلامية ، بقدر ما يتبين للقارىء الكريم موقفه في هذا الميدان فنقول :

المبحث الثاني–فكره الكلامي :

تقـــديم :

دأبت عمان منذ بداية الدعوة المحمدية التي وجهها النبي عليه الصلاة والسلام الى عبد وجيفر ابني الجلندى في العقد الأول من الهجرة النبوية (٤) الى الأخذ بما جاء عن الله–عز وجل– على لسان رسوله الأمين–عليه أفضل الصلاة والسلام–فاقتفت التشريعات الالهية خطوة بخطوة ، و لم يلق عليه الصلاة والسلام عناء من عمان وأهلها بل دعا لهم بخير ، وكذلك أبو بكر وعثمان وعلي بل ناصروهم وقاموا بالواجب معهم على كافة الثغور ، و لم يتراجع أحد منهم عن الاسلام البتة بل اشتركوا في حروب الردة مع جيوش الصديق–رضي الله عنه–ومع جيوش عمر وعلي ، وبهذا نالوا شرف الانقياد للدعوة الالهية والثبات المتواصل .

واستمر الحال كذلك في القرن الأول حتى انقضت الخلافة الراشدة ، وبعد استقرار الأمر لمعاوية ، وبسبب الظروف والخلافات التي أفرزتها الحروب التي خاضها علي بن أبي طالب–كرم الله وجهه– ، وما نتج عن ذلك من بحوث ومناقشات في العقيدة والاختلاف في أنماط السلوك العلمي ، سلك أهل عمان منذ تلك العهود مسلك النبي ﷺ وكبار الفقهاء من أصحابه كأبي بكر وعمر وعبدالله بن عباس وأبي سعيد الخدري

---

(٤) السالمي،نور الدين،تحفة الأعيان : ١/٥٧–٥٨. نقلا عن كتب السير للموافقين والمخالفين .

وعائشة أم المؤمنين وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وابن مسعود وأنس بن مالك وغيرهم ممن شهدوا بدرا وتصدروا مجالس العلم والفتوى -رضي الله عنهم أجمعين- .ثم بعد ذلك سلكوا مسلك كثير من كبار التابعين ، ومن أشهرهم التابعي الكبير أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي وأبي بلال مرداس بن حدير الحنظلي وعمران ابن حطان الشيباني وعبدالله بن أباض التميمي وضمام بن السائب الندبي ، وأبو عبيدة الكبير مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء والربيع بن حبيب الفراهيدي والحسن البصري وقتادة بن دعامة السدوسي وعروة بن الزبير وسالم بن عبدالله بن عمر وغيرهم (٥)

ثم تبعهم علماء عمان الكبار سلفا وخلفا ومعهم سواد الناس من عمان ، فاتخذوا منهج الاقتداء بالكتاب والسنة والاجماع والقياس في موضعه ، طريقا ، وتمسكوا بالأخذ بالاحتياط في العقيدة والفقه وجوانب التشريع الأخرى مسلكا . وبهذا سلموا من الزيغ والابتداع والشطط والغلو في الدين ، وفي هذا يقول قائلهم :

على الحنيفية الزهراء سيرهم ... والوجه والقصد ايمان واحسان
بسيرة العمرين استلأموا وسطوا ... لشربة النهر وان الكل عطشان حناهم الحق
صعب الشكائم في ذات الاله فإن ... عن مكروهة لانوا
مسومين لنصر الله أنفسهم ... أرواحهم في سبيل الله قربان
سبق الى الخير عن جد وعن كيس ... دانوا النفوس فعزت حيثما دانوا
سيماهم النور في خلق وفي خلق ... وهديهم سنة بيضاء تبيان
مقيدون بحكم الله حكمتهم ... وهمهم حيثما كان الهدى كانوا
هم أسمع الناس في حق وأبصرهم ... وما سواه همُ صم وعميان
لم تلههم زهرة الدنيا وزخرفها ... إذ همهم صالح يتلوه رضوان
باعوا بباقية الرضوان فانيهم ... كأن لذة هذا العيش أوثان
وقف على السنة البيضاء سعيهم ... وفي الجهادين ان عزوا وان هانوا
ما زايلت خطوة المختار خطوتهم ... ولا ثنى عزمهم نفس وشيطان
فجاهدوا واستقاموا في طريقته ... عزومهم لصروح الدين أركان
وسلطوا بحدود الله حكمهم ... حتى استقام لحكم الله سلطان
إلخ ما قال (٦)

---

(٥) راجع عن هؤلاء كتاب الباحث : أبو عبيدة التميمي وفقهه ومراجعه .

(٦) أنظر السالمي محمد ، نهضة الأعيان : ٢٨٩

والناظر في طريقتهم ومسلكهم بما تشهد له آثارهم العلمية وتاريخهم المتواتر ، وسلوكهم العملي الظاهر يجد هذه الأوصاف التي ذكرها الشاعر العماني في هذه الأبيات منطبقة عليهم معبرة عن واقعهم ، لأنها صدرت من رجل عالم بهم متقص لآثارهم وسيرهم وتاريخهم الطويل المتواصل .

حتى جاء عصر الشيخ سعيد الخليلي ، فوجد علماء عصره ومشايخه على هذا المسلك، ورأى بأم عينيه وبثاقب بصيرته أنه يجب على مثله أن يبحث ويتقصى هذا الميدان ، ليخرج منه بحصيلة فكرية وعقيدة يقتنع بها ، فانه-وان كان في بداية أمره يتلقى العلم تلقيا من شيوخه الأوائل في ريعان شبابه من غير بحث واجتهاد-لما تبحر في العلم وجب عليه النظر والاستدلال والبحث والتقصي ، وهذا ما يظهر من بحوثه العقدية الواسعة .

فما الذي يعبر عنه فكر الشيخ سعيد في الجانب الأصولي الكلامي ؟ (٧) هذا ما يجيب عنه هذا المبحث ، واليك البيان :

أولا: ذكر في الباب الأول من كتاب تمهيد قواعد الايمان القرآن وشيئا من علومه كاحكام تلاوته ونسخه وفضل العلم والعلماء به ، ويظهر من كلام الشيخ أنه كان عالما بأحكام القرآن ، والا لما كان مجتهدا ، فهو خبير بأحكام التلاوة وكيف لا وهو الخبير بالعربية نحوا وصرفا وبلاغة وأدبا ، وقد مكنه ذلك من معرفة فواصل الآيات ومواطن الفصل فيها ، ووجوه معاني اختلاف التلاوات .

ومما يدل على ذلك ما جاء في جواب طويل عن الوقف والوصل في شيء من الآيات ، حيث قال : (وأما الوقف على الفاصلة من قوله تعالى ﴿**خلق الأرض والسماوات العلى**﴾ (٨)

---

(٧) مما يجب التنويه عليه أنني سوف أقتصر من مؤلفات الشيخ على كتابي التمهيد وكشف الكرب في بحث فكره الأصولي والفقهي وذلك لأمرين : الأول عدم اتساع الوقت لتتبع المخطوطة من مظانها ، وعدم اتاحة الفرصة لاستعارتها . والثاني ان التمهيد غني بالمباحث الأصولية والفقهية الناضجة الموسعة ، مما يعطي مجالا رحبا للنظر والاقتباس ، وشمل أيضا المجالات التي صنف فيها الشيخ-رحمه الله-وزيادة وضم كثيرا من رسائله العلمية ، أما كشف الكرب فالمقصود منه استدراك الشيخ القطب المجتهد محمد بن يوسف على الشيخ الخليلي بصورة مبسطة للاستدلال فقط ، أو ترك الخوض فيها لسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي-أبقاه الله-.

(٨) الآية ٤ من سورة طه .

والابتداء بقوله : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (٩) فحسن جدا لمن رمه من غير أن يوجب التزامه ، فانه لا مقتضى له البتة ، فالوصل فيه كالفصل والوقف عليه كالاندراج في التلاوة بحكم الأصل .

وليت شعري أي داع الى وجوب الوقف عليه ، ألا يخبر ني من يدريه ، إني لا أعرفه فأقتفيه ولا يبين لي أن يصح ذلك فيه ، وليس هو من الفصل الأول في شيء ، وكفى بمغايرة الاعراب بينهما ، برفع (الرحمن) في أشهر القراءات دليلا على انها في الأحكام من مستأنف الكلام ، فأين محل الأشكال في موضع الجدال في هذا ؟ .

فان قيل : فيوجد في بعض كتب القوم أن الوقف لازم في نحو الفصل الأول دفعا لمظنة الوهم ، فما لأصحابكم لا يقولون بلزومه ، والظاهر انه من قولهم حسن ، فيقال: إن القرآن قد أنزل باللسان العربي ، فجرى في بديع خطابه لافهامهم على أساليب كلامهم الخ) ما قال في الفصل والوصل (١٠) ومع هذا فان الشيخ لا يجيز الوقف على الاستثناء ، وبهذا يظهر أن له باعا طويلا في أحكام التلاوة ، وما قاله الشيخ من عدم وجوب الوقف في القرآن قال به غيره من أئمة التفسير كابن عاشور وغيره (١١)

وقد صرح الشيخ في موضع آخر بجواز وصل القرآن ولو في نسم واحد ، ولكن الوقف للاستحسان في بعض المواضع (١٢) الا في موضع الاستثناء (١٣) وللشيخ رسالة في التجويد وأحكام التلاوة ، ولكن للأسف لم أعثر عليها حتى الآن .

ويكتفي الشيخ من القول في خلق القرآن وعدمه بقوله لمن يسأله : القرآن كلام اللّه ووحيه وتنزيله ، ويقول : (هذا الاعتقاد كاف فيه) (١٤) وكان كثيرا ما يتجنب الخوض في هذه المسألة (١٥)

---

(٩) الآية ٥ من سورة طه .

(١٠) تمهيد قواعد الايمان : ١٦/١.

(١١) أنظر ابن عاشور،التحرير والتنوير ٨٣/١٠، ٩٧ الدار التونسية للنشر .

(١٢) أنظر تمهيد قواعد الايمان : ١٩/١.

(١٣) م ن ص٣٦.

(١٤) أنظر م ن ص٢٣.

(١٥) م ن جـ٢/ص٨.

وورد في الجزء الأول تفسير كثير من الآيات القرآنية ، وان لم يكن له تفسير مدون خاص ، (وسبق بيان لهذا في المبحث الثاني من الفصل الثاني) .

فيرى أن رواية من يروي أن الرجم ثبت بالقرآن وان ثبوته بآية نسخت لفظا وبقيت معنى وهي :

(الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) يرى تلك الرواية غير صحيحة ، وأن الرجم ثبت بالسنة ، واستدل على ذلك بادلة حيث قال : كأنه غير ملائم بالمعنى ولا لائق بلفظ القرآن ، ولا قريب من الصواب في شيء لمعان :

أحدها : أن ما أنساه اللّه عباده من هذا النوع فلا سبيل الى حفظه البتة ، والا فليس بمنسي ، واذا كان محفوظا فما لا يقر في موضعه .

وثانيها : إنه لا يثبت لفظ الكتاب العزيز .

وثالثها : تقرير الحكم بالشيخ والشيخة في موضع المحصن والمحصنة وبينهما البون كما لا يخفى ، فدل باللفظ والمعنى على ما تفرسناه فيها إن صح ما قلناه ، فلينظر فيه (١٦)

فانظر الى دقة النظر في ألفاظ القرآن الكريم ، والغوص في معانيه ، ومعرفة أسباب نزوله فكانت له وقفة في هذا الموضوع كما ترى .

ثانيا : **أما في مجال الرؤية** فانه يرى أن رؤية المخلوقين للّه تعالى لا تجوز ولا تمكن لا دنيا ولا أخرى ، وأما سؤال قوم موسى له رؤية ربهم ، فذلك سفه منهم وضلالة و لم يردها موسى على الحقيقة وانما أراد موسى أن يسمعوا الجواب فيلقمهم الحجر ، وقد نفى اللّه ادراك رؤيته مطلقا وعلى أي حال كان ، فلا تثبت بها الرؤية ولو في حال دون حال (١٧)

وأما في مجال تنزيه الذات العلية واثباتها ، فقال : إن العبد يلزمه اعتقاد ثبوت الذات العليه ، بمعنى انه اذا خطر بباله أن له خالقا وصانعا ومدبرا أو لشيء من المخلوقات حوله لزمه الاقرار بذلك لمولاه بالحال ، و لم يوسع له ترك ذلك ، وأما اعتقاد بقية الأسماء والصفات ، فلا يلزم الا من طريق السمع أو البيان (١٨)

---

(١٦) أنظر م ن جـ٢ ص٤١

(١٧) أنظر البحث من التمهيد : ١/١٧٥-١٨٦ ، ٢٢٠-٢٢٦ ، ٢٣٩-٢٤٨ الى آخر الجزء .

(١٨) م ن ص١٨٦-٢٠١

قال السالمي نور الدين في ذلك :

وإن أتـــى بـــرهـــانــهـــا أمـــرا فـــلا يـــنـــفس لحظـــة لـــيســـألا[19]

ويقول الشيخ سعيد : إن صفات اللّه–تعالى–هي ذاته لا غيرها [20]

كما قال السالمي أيضا :

صـــفـــاتـــه لـــذاتـــه هـــي ذاتـــه لا غيرهـــا دلت بـــذا آيـــاتـــه[21]

وفي مجال الوعد والوعيد : فان الشيخ كغيره من علماء الأباضية الذين يقولون بعدم حصول الشفاعة لأهل الكبائر من أهل التوحيد ، وقد سئل : فما فائدة الشفاعة علي هذا؟ فقال : فائدتها التعجيل للفائزين الذين فرغوا من الحساب لخروجهم من الموقف وأهل المشهد ، فهو يقول :

اذا اشـــتـــد كـــرب بـــطـــول الـــوقـــوف وغصت بـــذاك نـــفـــوس الـــعـــبـــيـــد[22]

وسئل أيضا عن الحديث المروي عن رسول اللّه ﷺ ونصه : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)

فقال : هذا الحديث لم يصح مع أصحابنا ، وانما هو موجود في رواية غيرهم ، وفي قول أصحابنا انه غير صحيح ، واللّه أعلم بذلك وما وجهه فانه لو صح لجاز للناس أن يتقربوا الى اللّه–تعالى–بفعل الفواحش وعمل الكبائر ، طلبا لوعد الرسول ﷺ ، بالشفاعة لهم على فعلهم ذلك ، فيرجع المسيء بها محسنا ، والعاصي طائعا والمنافق مسلما والملعون مقربا ، لاستحقاقهم الشفاعة بكبائرهم ، والاحسان بسيئاتهم ، وهذا باطل عاطل مجانب للصواب مخالف للسنة والكتاب) [23]

فهذا الجواب نص في أنه لا يرى الشفاعة لأهل الكبائر اذا ماتوا على المعصية من غير توبة .

والشيخ يؤيد رأي من يقول : ان الأعراف سور بين الجنة والنار ، وهو المشار اليه

---

(١٩) نور الدين السالمي، مشارق أنوار العقول : ١٣٤.

(٢٠) التمهيد : ١/٢٠١–٢١٠–٢١٣–٢٢٠.

(٢١) نور الدين السالمي،مشارق أنوار العقول : ١٧٥.

(٢٢) التمهيد : ١/٦١.

(٢٣) التمهيد : ٣/٦٤.

بقوله تعالى : ﴿فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾ (٢٤)
قال في تفسير معنى الرجال الواقفين عليه ما نصه : (والذي ظهر في الحال احتمال الحبس للمؤمنين المقصرين ، فيوقفون على مواضع من الأعراف ، ينظرون الفريقين يمرون عليهم ، هؤلاء الى الجنة وهؤلاء الى النار ، وهم هنالك الى أن يقضي اللّه عليهم ما يشاء) (٢٥)

وقوله في الصراط انه هو الطريق الموصل الى رضوان اللّه-تعالى- ، وهو الصراط المستقيم ، لا جسر ممدود بين الجنة والنار قال : (وما يخالفه فهو الباطل ، ولا قائل بأن الصراط هو الأعراف ، ولا السور المضروب بين الجنة والنار ، وما قالوه من ذلك لم يقم به دليل قاطع) (٢٦) قا ل نور الدين السالمي ::

وقـــولـــه الصــــراط فـــهـــو الحق لا جســـر كـــمـــا بـــعـضـــهـــم تـــأولا (٢٧)

وقال :

ومـا الصـراط بـجسـر مـثـل مـا زعـمـوا ولا الحسـاب بـعـد مـثـل مـن ذهـلا (٢٨)

وفي نزول عيسى-عليه السلام-آخر الزمان ، يقول الشيخ : إنه غير صحيح ، إذ ليس له دليل من الكتاب والسنة ، ولا دليل من العقل ، لأنه لا فائدة في بعث عيسى الى أمة محمد ﷺ ، وشريعة اللّه قائمة حتى يرث اللّه الأرض ومن عليها ، فان كان لأجل معرفة الحق من الباطل بسبب افتراق الأمة وكل الناس يومئذ يرغبون في اتباع الحق-فكيف يترك المولى-عز وجل-هذه الأمة منذ افتراق الصحابة الى خروج عيسى على ضلالهم ؟ وما الفائدة اذن في بعثة النبي ﷺ وارساله الى قومهم ليسوا في زمانه والذين ماتوا قبل وقوع الأحداث ؟ اذن فالقول بذلك غير صحيح) (٢٩)

---

(٢٤) آية ١٣ من سورة الحديد.

(٢٥) التمهيد : ٧٩/٣.

(٢٦) م ن ص٩٧.

(٢٧) مشارق أنوار العقول : ٢٨٣.

(٢٨) سليمان بن محمد الكندي ، بداية الامداد وشرح غاية المراد : ٣٧.

(٢٩) التمهيد : ١١١/٣.

ثالثا : أما موضوع الولاية والبراءة ، فإن الشيخ يرى أن العالم البصير بأحكام الدين العارف بأحكام الولاية والبراءة إذا أبصر من أحد ما تجب به البراءة منه له أن يبرأ منه كما يوجبه الحق ، وكذلك اذا أبصر من أحد ما تجب به الولاية فانه يكتفي بولاية الجملة وبراءة الجملة ، ولا يتولى أو يتبرأ ببصر نفسه ، فعليه أن يتولى من تولاه اللّه ورسوله والمؤمنون (٣٠)

وقد بحث الشيخ مسألة ولاية الحقيقة وبراءة الحقيقة ، والقطع على رجل أنه من أهل الجنة أو العكس بحثا مستفيضا على قواعد المنطق وشروط الولاية والبراءة في أربعين صفحة (٣١)

ويرى الشيخ الاحتمال للمتولي إذا رئي يعمل شيئا مما يوجب البراءة ، اذا كان هناك وجه لاحتمال معنى غير ارادة المعصية ، حفاظا على كرامة المسلم وصونا عن الهجران ، لأن البراءة عند المسلمين وحد السيف سواء ، وقيل لو كان بينك وبين أخيك مثل خيط العنكبوت فاحتمل له ، رغم أنه ورد في الأثر انه يبرأ منه ، حتى يقيم شاهدي عدل انه أراد بذلك طاعة ، كمن يلعب الشطرنج ، اذا أراد به تعليم الحرب ، حيث قال : (وفي المصرح به أن البراءة منه لا تجوز اذا احتمل عذره بنسيان أو غيره ، فكيف بهذا وقد احتمل عذره بأنه قد فعله على ما جاز له لما قد نواه) (٣٢)

ولا يرى الجهل عذرا أبدا لمن ركب المحرم ، جاهلا به متعمدا لاتيانه ، والحال أنه قد وجد من يعبر له الحلال والحرام ، وذلك لأنه ضيع فرض السؤال فلا يعذر بتركه ولو انه لم يعلم الحرمة أبدا ، وحكى بالاجماع في ذلك ، وقال مجيبا لمن سأله :

فمن ركب المحجور جهلا بحجره … من الحكم من مشروع رب تعبدا
وضيّع مفروض السؤال وانه … على قدرة منه فقد ضل واعتدى
وما عذره بالجهل شيئا يفيده … من الحق الا أن يبشر بالردى
الزناء ولم يدر الزناء محرما … وواطىء أدبار النساء تعمدا
فذلك بالاجماع لا شك هالك … اذا لم يسل من قبل فعل به اعتدى
وهذه عليه حجة اللّه ربنا … أقيمت وما في الجهل عذر له ابدا
ولو سقط التكليف عن كل جاهل … لكان اقتناء الجهل للنفع أعودا (٣٣)

(٣٠) م ن جـ٢/١٢-١٣.
(٣١) م ن ص٦٦.
(٣٢) م ن ص٨٨-٨٩.

فالشيخ صرح بأننا لو عذرناه لكان جميع الجهال مع القدرة على السؤال معذورين ولكان الجهل أشرف من العلم ، والعكس هو الصحيح فلا يعذر في ذلك .

وخوفا من الاطالة أكتفي بهذا القدر من الحديث عن فكره الكلامي العقائدي ، وقد تكفل ببيان شيء من هذه المسائل انتصاره للزمخشري في عدم الرؤية والخلود للعصاة، وكتابه (كرسي الأصول) .

وبعد أن أوردت جانبا من فكره الكلامي ، يظهر للباحث أن الشيخ يعتمد في فكره العقائدي على محكم الكتاب وصحيح السنة المطهرة ، ويلزم جانب الاحتياط في العقيدة كاعتقاد عدم الرؤية وخلود العصاة في النار ، ان ماتوا على غير توبة ، ويأمر بالتثبت في الفتوى والأخذ بالرأي الصحيح ، كما يظهر عمق ايمان الشيخ وعميق صلته بالله–عز وجل–في قوله وعمله ، فهو من العلماء العاملين بما جاء عن الله ورسوله .

والآن أشرع في بيان فكره الفقهي الأصولي من خلال كتاب التمهيد ، واليك البيان :

المبحث الثالث–فكره الفقهي الأصولي :

جمع الشيخ الخليلي الى جانب معرفته بأحكام أصول الدين ورسوخ قدمه في هذا الفن جانب الفقه العملي ، وغاص في أعماق أصول الفقه ، مقتديا في ذلك بأشياخه وعلى الأخص الشيخ ناصر بن أبي نبهان ، فقد ظهرت بصماته عليه ، واستنشق من نسمات علمه الفياض إلا أنه فاق عليه في الأخذ من الأصول ، وكثيرا ما يستدرك على شيخه في كثير من المسائل(٣٤)

كما طرق الشيخ–رحمه الله–جميع أبواب التشريع الاسلامي العملي من عبادات ومعاملات وأحكام ، وقواعد الحرب والسلم وباب الاصلاح الاجتماعي ، وأحكام الجنايات وسأذكر جانبا من فقهه في المبحث الرابع والخامس–ان شاء الله– . ولكني سأبدأ بالأصول التي يعتمد عليها هذا الفقه عنده في هذا المبحث ، لأجل الترتيب واليك البيان :

يعتمد الشيخ في أصوله على ثلاثة أمور : هي الكتاب والسنة والاجماع ، وهذه الثلاثة لا يجيز مخالفتها وما وجد فيها نص حيث يقول : (وعلم أن أصول الدين «الشريعة»

---

(٣٣) التمهيد : ٢/٩٥ ، ٢٢١–٢٢٢ وارجع في ذلك الى مشارق أنوار العقول للسالمي : ١٠٧.

(٣٤) راجع مبحث شيوخه في الفصل الأول من هذا البحث .

ثلاثة بلا خلاف كتاب وسنة واجماع ، وان اختلف أهل الكلام والنظر في ثبوت الاجماع وفي معناه وما ينعقد به كاختلاف العلماء في ذلك ، فليس هنا بحثه ، والفروع في قول أصحابنا ثلاثة أيضا : سميت فروعا لتفرعها من الأصول الثلاثة كما تتفرع الشجرة من أصلها ألا وهي في قولهم ، الرأي والقياس والأثر) (٣٥)

فالكتاب هو أول ما يعتمد عليه وهو كلام اللّه–عز وجل–ووحيه وتنزيله بتلاوته ، وفيه المحكم والمتشابه والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ والخاص والعام والنص والظاهر، وكثيرا ما يدخل في مثل هذه المباحث في جواباته ورسائله الفقهية والكلامية أيضا (٣٦) وله يد طويلة في أحكام تلاوته–كما ذكرت ذلك–في المبحث من هذا الفصل .

وأما السنة فهي أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته ، فهو يعظم النبي ﷺأيما اجلال ، وحدث عنه في هذا الشأن ولا حرج ، فاذا صح عنده هذا الحديث لزمه واعتمده ، ولا يعدل عنه الى غيره ، بل لا يقول بنسخه ما وجد سبيلا الى تأويله ان كان مشكلا أو متعارضا ، واسمع بعض كلامه في ذلك : (ولئن صح وثبت انه من الحديث فالقول بنسخه لا يصح الا على أصل يعتمد عليه) (٣٧) بل لا يتسرع في رده وانكاره وان لم يصح معنا أصل الحديث فكيف يجوز لنا القول بنسخه ؟ بل لا يتسرع في رده وانكاره وان لم يصح معنا أصل الحديث فكيف يجوز لنا القول بنسخه ؟ وهذا لا يكون الا اتباعا للظنون لكن ان ثبت هذا الحديث فيجوز تأويله وحمله على أحسن الوجوه وأقربها الى الهدى ، وأوضحها في اللفظ أو المعنى عملا بقوله–تعالى–﴿**ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**﴾(٣٨)

وقال : (ونقول : انه اذا صح شيء من ذلك في هذا عن رسول اللّه ﷺ فهو الحق، والحق اتباعه والباطل خلافه ، والا ما كان منسوخ الحكم) (٣٩)

---

(٣٥) التمهيد : ١٧٤/٢.

(٣٦) يرى تخصيص الكتاب بأحد ثلاثة وجوه حيث يقول : حيث استقر في علم الشرع على سبيل المثال البت والقطع تخصيص علوم الكتاب بأحد ثلاثة وجوه ، إما في الكتاب واما بسنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وإما باجماع أهل العدل أنظر التنهيد : ٢٤٩/٦.

(٣٧) التمهيد : ٧٧/٣.

(٣٨) الآية من سورة النساء رقم ٨٢.

(٣٩) التمهيد : ١٨٧/٥ وانظر المبحث الآتي .

ويشدد النكير على من تعمد مخالفة السنة ، ويعتبره كافرا اذا كان على سبيل الاستخفاف يقول في ذلك : (إلا من نوى خلافا للسنة أو استخفافا بها أو تهاونا فانه يهلك بسوء نيته لا بترك السنة لأن تعظيم النبي ﷺ وتوقيره وتفخيم أوامره ونواهيه من الفروض الواجبة ، فاعتقاد التهاون والاستخفاف بها كفر بالاجماع) (٤٠)

ولا يقدم على رد السنة اطلاقا ، بل يكل الرواية الى راويها ، ويتهم نفسه في عدم الاطلاع ، رغم انه يعتمد الأحاديث الصحاح والمشهورة فضلا عن المتواترة ، وقد ورد في ذلك نص استحسن ايراده بنصه وعدم التعليق عليه وهو : (اعلم ان الحديثين المسئول عنهما ، والمؤسسة هذه البحوث عليهما هما من الأخبار المقاطيع التي لم يثبت لها سند صحيح . ولم نجدهما فيما وقفنا عليه من صحيح جوامع الحديث كالصحيحين والموطأ وأصحاب السنن الثلاثة : أبي داؤد والنسائي والترمذي بحسب ما في تيسير الأصول وجامع الأصول ، كلا ولا حفظناهما فيما عرفنا من أصحابنا من خبر في صحيح الأثر ، الا أنني لا أستبيح ردهما جحدا وجزما ان لم أتلقنهما علما ، لا مكان أن لا أحيط خبرا بما شاع بين الناس ذكرا ، ولا أجيز أن اعتقدهما من صحيح الحديث فاعتمدهما فكيف لي بأن أسندهما الى من لا يجوز التقول عليه -صلوات الله وسلامه عليه- تترى اليه لعدم قيام الحجة بكونهما عنه ، ولانهما لا من المتواتر الشهير ، ولا من المتصل بالسند الصحيح، فأولى ما بهما عندي ولمن علمه فيهما مثلي أن يكونا موقوفين لكونهما في الأصل مجهولين ، لا أقطع بصحتهما ، ولا أقول على الجزم يبطلهما ، ولا أتكلف علم الغيب فيهما ، ولكن أقول كما قال السلف في مثلهما : أهل الحديث أولى بما رووا .

وأما حكمهما لو صح أنهما من صحيح الحديث فيجوز أن يكون لهما طريق نافذ في تأويل الحق لمن أحسن تخريج ما بهما من جواهر الاحكام وضعهما في ميزان الخاص والعام ، لكن العناية بهما مع الوقوف عن صحة أصلهما خوض فيما لا طائل تحته) (٤١)

فانظر الى هذا الموقف الجليل من السنة ، والتأول المهيب ، والمكانة العالية في معرفة السنة ودقائقها ، والتأدب عند رواتها .

ومن الواضح أن الشيخ يعتمد كتب السنة الأخرى ، وهي التي ذكرها في بداية هذه المقطوعة من الكلام بالاضافة الى ما حفظه عن شيوخه أصحابه ، ويكفينا هذا مثالا على اتباعه للسنة .

---

(٤٠) م ن ص١٨٨

(٤١) التمهيد : ١٢/٦

وأما الاجماع فهو الأصل الثالث عنده ، وقد ورد عنه في غير ما موضع ، ونأتي ببعض الأمثلة على سبيل الاستدلال حيث يقول في استطراده على بيان الاجماع : (فقالت طائفة وهو الصحيح –ان الاجماع عبارة عن حكم ثبت بالتوقيف عن النبي ﷺ فاجتمع المسلمون عليه ، وان لم ينقل فيه نص حديث بعينه كوجوب الحج بالنص وسقوطه عن العبد باجماع فنفس الاجماع دليل على ثبوته عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– اذ ليس لغيره تحكم في الشريعة المقدسة .

وقالت فرقة أخرى : بل الاجماع عبارة عن ائتلاف أهل العلم واجتماعهم على قول أو حكم شرعي سواء قالوا به جميعا أوقال به بعضهم وسلم له الآخرون بمن له القول بالرأي والحجة فيه) (٤٢) .

ثم ذكر الخلاف فيمن له الاجماع والزمن الذي ينعقد فيه الاجماع الى أن قال : (فانظروا يا معاشر المسلمين في هذا النزاع الكائن في أصل حقيقة الاجماع فهو الدليل على أن الاجماع الذي هو أصل من أصول الدين ، انما هو الاجماع التوفيقي لا غيره (٤٣)

وبالجملة فقد ورد عنه كلام كثير في الاجماع والاحتجاج به . ثم انه ذكر الاجماع بنوعيه القولي والسكوتي فيما سبق فهو أصل من أصول التشريع عنده بلا جدال .

ويحسن بي أن أختم كلامه على الأصول الثلاثة بقوله فيما يلي : (وليس في شيء منها ما يثبت النص عليه من كتاب ولا سنة ولا اجماع ، وليس في عصر الصحابة من أثر يعتمدون عليه ، وانما معتمدهم الكتاب والسنة فقط ، وانما يعتمد آثارهم ويسلك منارهم من تبعهم عليها من السلف ومن بعدهم الخلف فهم التابعون لهم باحسان الى يوم القيامة ، وأكثر التابعين فيما سبق فيه لأهل العلم رأي يعرف اتباع الأثر ، واقتفاء قول من تقدمهم من أهل البصر ، لأنهم أعرف بالله –تعالى– وأعلم بتأويل كتابه وبما جاء به رسول الله ﷺ (٤٤)

وأما القياس فانه يصير اليه اذا عدم النص وعرفه بنفسه حيث قال : (وأما القياس فهو تشبيه بين شيئين لعلة تجمعهما ، وقيل فيما أشبه الشيء فهو مثله) (٤٥) ولا يرى للضعيف في العلماء الذي لم يبلغ درجة الاجتهاد أن يستعمل القياس ويقول في ذلك :

---

(٤٢) التمهيد : ٥/٢٠٣.

(٤٣) م ن ص٢٠٤.

(٤٤) م ن جـ٢/١٧٥.

(٤٥) م ن والصفحة ١٧٦.

(إن الاجتهاد ومعرفة الأدلة على التعديل في مسائل الرأي أمر خارج عن طاقة الضعيف) (٤٦) وهذا النص وان كان في موضوع الاجتهاد ، فانه لا يكون قياس الا بعد امعان النظر والاستدلال .

ولا يبلغ درجة الرأي عنده الا من كان عالما بأحكام الكتاب والسنة والاجماع خوفا من مصادمة النصوص ، والخروج على أصول الشريعة الثلاثة ، واسمع ما يقوله في هذا الشأن : (واعلم أنه لا يصاب العدل في الرأي ولافي شيء من الدين على مخالفة في الثابت من حكم الكتاب أو السنة أو الاجماع)(٤٧)

والشيخ يأخذ بالقواعد الفقهية المعمول بها كالمصالح المرسلة وسد الذرائع والاستحسان ودرء المفاسد ويقدم الأثر على النظر ، والحديث الأحادي على عمل أهل المدينة ، ويعرف ذلك من استقراء فقهه في أجوبته ولا داعي الى الاطالة بالتمثيل في هذا الشأن .

وفي موضع الأخذ بقول من أقوال المسلمين في مسائل الرأي لمن أبتلي بذلك يقول الشيخ : (إن عرف الأعدل أخذ به لزوما الا في موضع ما يجوز له أن يترك الأعدل) الى أن قال : (فان لم يعرف الأعدل وجب عليه التحري والتماس الأعدل فيما أراد والأخذ به من المختلف فيه ، فان لم يقدر على معرفة الأعدل بنفسه وقدر على من يعرفه بالعدل من أهل العلم ، وجب عليه مشاورة الفقيه وسؤاله عن الأعدل مما يريد الدخول فيه ، في موضع ما لا يوسع له في العدول الى غير الأعدل .... وقيل اذا كان الضعيف لم يعرف الأعدل ..... فجائز له أن يأخذ بقول من أقوال المسلمين الصحيحة أي قول شاء ، وفي هذا راحة وبه كفاية ولا سيما مع عدم المبصرين لتعديل الآراء كما هو الغالب في عصرنا) (٤٨)

ويحب الشيخ للمسئول المستفتى في مسألة أن لا يتسرع في القول ، ويشدد على المتقولين على الله بغير علم أو القول بالرأي في مسائل الدين ، أو بجعل الرأي دينا فيخطىء من خالفه فيه ، ويقول : (إن من عمل بخطأ المفتي كمن ركب كبيرة من كبائر الذنوب لأنه خطأ في واقع الأمر ، ويلزم المستفتي أن يتثبت في العمل بقول المفتي ، ولذا ينبغي له أن يقول ومعي أو فيما عندي أو في الأثر ، أو في رأيي الى غير ذلك ليسلم من

(٤٦) م ن ص١٧٧.

(٤٧) م ن جـ ٢٢٤/١٠.

(٤٨) التمهيد : ١٩٨/٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٩، ١٧٣-١٩٧ ، ٢٢٥-٢٣٦ وراجع مشارق أنوار العقول للسالمي.

الأثم ولكن يلزمه الضمان)(٤٩)

وتعريف الرأي عنده أنه (اجتهاد نظري استحساني من عالم بصير في حادثة لم يجد لها حكما في الأصول الثلاثة فاجتهد فيه برأيه ، كاجتهاد الصحابة الخمسة في ميراث بين أم وجد لأب وأخت خالصة) (٥٠)

وأكتفي بهذا القدر من التمثيل على فكره الفقهي وأخذه بأصول الشريعة المتفق عليها وسأورد نماذج من فقهه العملي في العبادات كما في المبحث الآتي :

المبحث الرابع-نماذج من فقهه في العبادات :

أما في مجال العبادات فالشيخ لا يختلف عن غيره من الاباضية في اشتراط الطهارة والوضوء للصلاة ، لكن الشيخ لا يرى الدعاء في الوضوء وهو لا يستعمله لكن لا ينهى عنه ولعله يريد بذلك تنبيه الناس على أن ذلك أمر مستحب ، فتركه مخافة اعتقاد وجوبه ، وقد سئل عن ذلك فأجاب : إنه لا يستعمل دعاء ولا يدعو بشيء عند وضوئه للصلاة (٥١)

كما انه لا يرى وجوب الجمع بين الأحجار والماء في الاستنجاء ، وأعتبر ذلك منسوخا بوجوب التطهر بالماء ، وانما الجمع بينهما من باب الاستحسان لا من باب الوجوب ، وهو مذهب الشيخ أبي سعيد الكدمي-رضي اللّه عنه- ، وأكثر الأصحاب على خلافه ، وقد سئل عن ذلك ونقل السائل له نص كلام أبي سعيد ، فقال في الجواب : (المسألة صحيحة والقول فيها كما قال الشيخ أبو سعيد) (٥٢)

وعنده أن الأصل في الأشياء الطهارة حتى تصح النجاسة ، فالأصل في الأشياء حتى تصح نجاستها عملا بالقاعدة الفقهية المعروفة (لا يزيل اليقين الا يقين مثله) وقد وردت مجموعة من المسائل على هذا المنوال ، ومثال ذلك أنه سئل عن الوسخ المتجمع بين الظفر واللحم أهو نجس اذا كانت اليد تقبض طاهرا ونجسا ؟ قال : (اذا لم يعلم أنه من النجس فحكمه في الأصل الطهارة حتى تصح نجاسته) (٥٣)

---

(٤٩) م ن ٢١٣-٢١٦.

(٥٠) م ن ١٧٥.

(٥١) أنظر التمهيد : ٢٢٥/٣.

(٥٢) م ن والصفحة.

(٥٣) م ن ص٢٤٣.

ولا يرى الشيخ انتقاض الوضوء بالاستغفار ، كما قال بعض المتأخرين من العلماء بل استحبه ورغب فيه واعتبره من أفضل الفضائل وأقرب الوسائل (٥٤)

وأعني بالمتأخرين (المتأخرين زمانا) من العلماء وحسب التقريب هم ما بعد القرن العاشر الهجري ، وبـ(المتقدمين) من كانوا قبل ذلك فيما يظهر لي فلينظر في ذلك .

وقد تابع الامام نور الدين السالمي الشيخ الخليلي في هذه المسألة ورد على من قال بانتقاض الوضوء بسبب الاستغفار بحجة أن يكون كاذبا في استغفاره ذلك ، اذ قال نور الدين ما نصه :

والاستغفار دائما مطلوب ... وفعله لربنا محبوب
فيثمر للعباد الأجرا ... فكيف قيل ينقضن الطهرا
إن قاله العاصي على اصرار ... لأنه معاند للباري
فكان نفس الاستغفار كذبا ... فلزموه النقض حين كذبا
ولا أقول كذب بل ذاكا ... ذكر وطاعة ونحو ذاكا
فهل ترى الطاعة تنقضنا ... لو لم تكن في الغيب تقبلنا
لو كان بعض الاستغفار ناقضا ... لبين الشارع منه الغامضا
وهو على الجملة مأمور به ... فليرجعن من عصى لربه (٥٥)

ويؤكد الشيخ على التأني في معرفة الوقت والتثبت من دخوله ، وخاصة في صلاة الفجر ، وقد عاتب أحد تلاميذه في هذا الشأن وهو الشيخ سعيد بن عبيد الحجري ، حيث كتب له ما نصه :

(وبعد : قيل لي عنكم إنكم لا تنتظرون الجماعة لصلاة الصبح ، وهذا من خلاف السنة ، وفي الأثر : لكل صلاة انتظار الا المغرب وقيل حتى المغرب ينتظر لها ، حكاه الصبحي ، فانتظروا الجماعة بقدر نصف أثر (٥٦) من تبين الفجر ، ولا تتكل على غيرك في معرفة الفجر ، ولا تؤذنوا للفجر من قبل أن تروا بياض الفجر قد سد الأفق كالنهار لا يشك أحد فيه) (٥٧)

---

(٥٤) أنظر التمهيد : ٣/٣٣٤.

(٥٥) نور الدين السالمي جوهر النظام : ٤٧.

(٥٦) الأثر كلمة معروفة عند العمانيين ، وهي قياس جزء من الوقت لمعرفة نصيب كل شخص من الأفلاج ومقداره ثلاثون دقيقة والسهم خمس وأربعون دقيقة وهو قياس للفلج أيضا .

(٥٧) التمهيد : ٥/١٥٠.

فأنظر الى هذا التثبت والرحمة بجماعة المسجد ، والحرص على اتباع السنة المطهرة من هذا الشيخ-رضي اللّه عنه- .

وانكر الشيخ على من قال : إن الامام هو الذي يقيم للصلاة لا المؤذن ، لكنه لم يبالغ في الانكار ، بل أشار اليه من طرف خفي ، وأومى اليه من بعيد ، احتراما للسلف الصالح-رحمه اللّه عليهم- ، اذ لعل لديهم حجة تبرر موقفهم ، ووضع لهم تبريرا على سكوتهم على هذه الطريقة بنفسه ، يجعلهم في موضع التبجيل والاحترام ، وقد تقدمه في ذلك الشيخان سعيد بن بشير الصبحي والسيد مهنا بن خلفان البوسعيدي ، وأول ذلك السيد مهنا بعد كلام طويل حمل فيه السلف على حسن الظن فقال : (ولعل النبي ﷺ اختص بلالا في زمنه للأذان والاقامة من أجل ظهور صوته حتى يسمع الناس الاقامة مع كثرتهم ، فاقتفى الخليفتان أبو بكر وعمر-رضي اللّه عنهما مع سائر الصحابة ومن شاء اللّه من التابعين من بعدهم-أثر نبيهم تأسيا به في ذلك ، والفرق عندي حسن في اقامة المؤذن للصلاة حال كثرة الجماعة ، واقامة الامام لها حال قلتهم) (٥٨) اهـ كلام السيد مهنا وقد تم عرض هذا التأويل على الشيخ سعيد فصوبه (٥٩)

ثم نهج العلامة نور الدين في جوهره ، لكنه بالغ في النكير على قول من قال : إن المؤذن اذا لم يكن ثقة فان الامام هو الذي يقيم) ، إذ قال : (لا دليل لهذا عندنا ، فهو مخالف لما عليه النبي ﷺ وأصحابه من بعده ، حيث كان في عهده أن المؤذن هو الذي يقيم ، فمن قال بعكس ذلك فهو جاهل بالسنة ، ولو أنه ادعى الاحتياط في قوله بمخالفتها فالرجوع الى السنة أولى ولا يلتفت الى قول هذا) (٦٠).

وفي قراءة القرآن في الصلاة فان الشيخ يشدد في عدم معرفة مخارج الحروف من الامام ، وخاصة عدم التفريق بين حرفي الضاد والظاء ، ويقول : (فلو سمع من أحد تبديل الراء باللام ، والقاف بالكاف أو بالعكس لقرب المخارج حيث لا وجه في الأصل، لم يقبل قوله ان لم ينو ذلك ، وأنه نوى الحرف المبدل دون المبدل منه ، كما لا يقبل في القضاء دينار نحاس عوضا عن دينار ذهب ، ولو نواه ذهبا لم تنفعه النية ، ويحسن الظن بالقارىء مع الشك وعدم تحقق التبديل لا مع تيقن ذلك) (٦١)

(٥٨) التمهيد : ٣/٣٤١-٣٤٢.

(٥٩) م ن ص٣٤٣.

(٦٠) نور الدين السالمي-جوهر النظام ٥٣.

(٦١) التمهيد : ٥/٨٦.

وفي آخر جوابه شدد على المأموم العالم بمخارج الحروف في الصلاة خلف من لا يعلم مخارجها من غير شك فيه ولا ريب في عدم معرفته ، والا فيحسن الظن بالامام) (٦٢)

وأما الاتيان بسنة المغرب في السفر في حال الجمع بين الصلاتين ، فأمر لا يراه الشيخ ، وخاصة في حال الجمع بين الصلاتين خلافا لاباضية المغرب ، ولو انهم يرون التشديد على تاركها ، وأوردوا في آثارهم أحاديث تدل على وقوع الوعيد على تاركها بالعمد من غير عذر ، فرد الشيخ على ذلك بأن الحديث المذكور غير صحيح عند المشارقة ، فيجب رد هذه المسألة على الأصول وهذا نص كلامه :

(ونقول : إنه إذا صح شيء من ذلك في هذا عن رسول الله ﷺ فهو الحق والحق اتباعه والباطل خلافه ، الا ما كان منسوخ الحكم ، ولكن الأحاديث لم تصح عند أصحابنا المشارقة ، أوايل وأواخر ولم تقم لها شهرة تواتر ولا سند متصل ولا استقر عليها اجماع ولا اتفاق من أهل الاستقامة والعدل ، فهي من الأحاديث التي يجب ردها الى شواهد أحكام الأصول ، فيجب تسليمها الى أولي الأمر وهم ذوو العلم والعقول ، الذين يقدرون على استنباط الغامض الصحيح من القياس ، وتمييز الحق الواضح من الالتباس ، وقد قل مثل أولئك في الناس ، فوجب على كل من له أدنى ملكة في معرفة الحق أن لا يهمل نفسه من النظر لمعرفة الصواب ، والعثور على جلية الحق الكاشف عن الارتياب) (٦٣)

ثم عرض المسألة على محك الفقهية والقواعد الشرعية ، وغمسها في بوتقة الاستنباط مع اعتبار رخص السفر ، فخرج منها بنتيجة عدم هلاك تاركها وعدم وقوع الوعيد عليه ، بل الأولى تركها في حال الجمع بين الصلاتين ، وانما يحتمل الوعيد على من تركها في حال الأفراد اذا كان تركها على سبيل الاستخفاف فقط (٦٤) وقال : (ولما بطل القول بفرضها الموجب لتهليك تاركها استدللنا بذلك على ضعف تللك الأحاديث المروية عندهم لما وزنت بمعيار الرد على الأمور) (٦٥)

وأما قصر الرباعية في السفر فهو واجب عنده بلا شك ، وقد فصل هذه المسألة تفصيلا ودقق في أدلتها تدقيقا ، وألخص ذلك في قوله : (وتمام القول في هذه المسألة أن القصر

---

(٦٢) م ن والصفحة أنظر ٩٣، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤٠.

(٦٣) م ن ص ١٨٧.

(٦٤) أنظر التمهيد : ٥/١٨٩-١٩٦.

(٦٥) م ن ص ١٨٨.

واجب عند أصحابنا في الفروض الثلاثة على المسافر اذا تعدى الفرسخين ، وهو مخاطب بالصلاة غير متنقل من فرض الى فرض آخر) (٦٦)

وظاهر كلامه أن القصر في السفر عزيمة ، وأن أصل الصلاة هكذا من غير قصر ولهذا قال : (غير متنقل من فرض الى فرض آخر) ، فانظر في ذلك .

وفي صوم رمضان يجيز الشيخ العمل برؤية المرايا الشفافة المكبرة مثل ما يسمى بالدوربين وذلك لأن الزجاجة انما تضيف تقوية للبصر فقط الى المرئي وهو الهلال ، ويستدل على ذلك بقوله تعالى :﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ الآية(٦٧) فوجود المصباح داخل الزجاجة يزيده نورا لابصار المرئيات ، وهذا نص كلامه :

(واما أن يراه بعينه من وراء حائل شفاف كالزجاجة ، ومنها ما يسمى في عرفكم بالدوربين فهذا له حكم النظرة بالعين ، ولا تضره تقوية الزجاجة في معنى تقوية النظر ، واعانته على نظر المرئيات ، إذ ليس لها في التشبيه إلا حكم الهواء الذي لا يمنع من وراءه كالغيم الرقيق ، أو كما ترى الشمس من وراء أجسام السموات على غلظتها وعظمها ، لما ثبت في الأخبار أنها في السماء الرابعة بلا خلاف ، وأصح الأدلة على هذا وأوضحها قوله تعالى : ﴿**الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري**﴾ الخ الآية (سبق تخريجها) (٦٨)

ومع ذلك فهو لا يرى جواز الصوم ولا الفطر برؤية الهلال بالمرآة العاكسة ، كما لو وجهت الزجاجة الى المشرق أو المغرب أو جعلت في الماء ، ويعزز ذلك الى أن الرؤية بهذه الطريقة لا تكون رؤية بالعين ، والله تعبدنا برؤية الهلال بالعين (فرؤية الهلال في الماء على سبيل انعكاس الأشعة انما هي رؤية خيال الهلال لا رؤية الهلال) (٦٩)

والفرق بين الأمرين –فيما يظهر– أن الرؤية من خلف الزجاجة تقوية للعين بخلاف انعكاس ظل الهلال ، فهو من الخيال الذي لا يصدق في غالب الأحيان .

وفيمن يعطى من الزكاة يرى الشيخ أن أهل التقوى من الفقراء هم الأولى بالزكاة إعانة لهم على دينهم ، فان لم يوجد أهل الولاية في الدين فمن دونهم من أهل الاستقامة

---

(٦٦) م ن ص ١٩٧ وإن أردت الاطلاع على المسألة كلها فهي من ص ١٩٦– ص٢١٩.

(٦٧) الآية ٣٥ من سورة النور.

(٦٨) التمهيد : ٦٣/٦.

(٦٩) م ن ص٦٢.

في الدين وهكذا ، ولا يعان بها أهل المعاصي ولا كرامة لهم الا اذا لم يجد من أهل الصلاح أحدا ، فانه يعطيهم على قدر حاجتهم (٧٠)

والشيخ يختار في زكاة قعد البيوت والحوانيت التجارية ، أن يكون على مدار الحول حسب موعد زكاته ، فيزكيها مع بقية ما تجب عليه فيه الزكاة إن كان على مقدرة من قبض ذلك الايجار ، فهو كالدين من هذه الناحية (٧١) ويخرج من ربع العشر كزكاة الذهب والفضة وعروض التجارة (٧٢)

وفي تفريق الكفارات يقول الشيخ : ان وزن تفريق الكفارات كياس مسكد وهو ستة قروش الا مثقالين والقرش سبعة مثاقيل بمعنى أن وزن تفريق الكفارة أربعون مثقالا(٧٣)

وقال في موضع آخر : (لكل مسكين صاع ، ووزنه فيما قيل ثلاثة أمنان عمان إلا ثلث مَنّ ، وذلك في الحساب ثلاثة عشر كياس مسكد يعجز كياس عمان (٧٤) وهو ثمانية مثاقيل فيما قيل وكياس مسكد أربعون مثقالا) (٧٥)

وهذه أبيات عنه في تحديد الصاع بوزن القرش الفضي النمساوي الذي كان سائدا في عمان :

من شاء تحرير الصواع وضبطه	بالقرش وزنا باعتبار فاش
سبعون قرشا بعدهن ثلاثة	منها ومثقال بحب الماش
والفرض زده من قروش تسعة	أيضا ومثقالا بلا استيحاش
فتتم مثقالان مع قرشين مكمـ	ـلة ثمانين من الأقراش
والله فاشكره على نشر الهدى	منه وكن لله ربك خاشي (٧٦)

وبالمقارنة بين هذه المواضيع الثلاثة ، لا يظهر هناك فرق بين الوزنين الثاني والثالث

(٧٠) م ن ص ٩٩، ١٢٦ ، ١٣٤.

(٧١) م ن ص ١٠٢.

(٧٢) م ن ص ١١٨.

(٧٣) م ن ص ٢٨٨.

(٧٤) قوله (يعجز كياس عمان) هو من كلام الشيخ وهذه الكلمة لهجة دارجة مع العمانيين ومعناه إلا ، والكياس وزن متعارف عليه معهم حسبالقياس المذكور أعلاه .

(٧٥) م ن ص ٢٨٩.

(٧٦) م ن ص ٢٩٤.

الا في الزيادة في وزن الفرض ، والمراد به تمر نخلة الفرض المشهورة في عمان فقد زيد بمقدار وزن تسعة قروش ومثقال ، فتكون الزيادة أربعة وستين مثقالا مضافة الى وزن الصاع المعروف وهو اثنا عشر مثقالا وخمسمائة مثقال فيكون وزن تمر الفرض ستة وسبعين مثقالا وخمسمائة مثقال ، ويقدر وزن المثقال بحب الماش (وهو حب المنج المعروف) .

ولكن يظهر الاشكال عند المقارنة بين هذين الموضوعين والموضوع الأول ، حيث صرح أن تفريق الكفارات كياس مسكد وهو ستة قروش إلا مثقالين، فالمجموع أربعون مثقالا ، وفي الثاني والثالث يكون الوزن اثنى عشر مثقالا ، فكيف يتم التوفيق بينهما مع أن التفريق في الكفارات بالصاع ؟ .

ولو افترضنا أن المسكين يعطى نصف صاع من البر والأرز والعسل الصافي والشعير أو صاعا الا ربعا أو ثلثي صاع فانه لا يتفق مع هذا ، ولعله يقصد مجرد وحدة الوزن التي يتم التقدير عليها لا الصاع نفسه .

تنبيــــه : في تحديد الصاع

رأيت من المناسب أن أضع تحديدا للصاع الذي تجب به الزكاة وتخرج ربع وتفرق به الكفارات تتميما للفائدة وذلك كما يلي :

ذكر نور الدين السالمي في معارج الآمال تقدير الصاع المختار عند أهل عمان ، بالوزن الحجازي وهو خمسة أرطال وثلث ، وبعدما حكى قول الشيخ أبي سعيد الكدمي في المسألة صحح الأخذ برأي الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي ، وهو الذي سبق تقديره في الصفحة السابقة وهو وزن **٧٣** قرش ومثقال بوزن حب المنج المعروف في عمان ، وقال : ان الصاع أحد عشر ربعة إلا سبعة عشر مثقالا بوزان الشرقية والربعة ٧ قروش فرنسية إلا مثقالا واحدا سبعة مثاقيل ، ووزن تمر الفرض اثنا عشر ربعة والمن عشرون ربعة والفراسلة عشرة أمنان فعلى هذا يزاد في وزن الفرض فراسلتان الا ثمانية وعشرين مثقالا (٧٧) ، وهذا كله مبني على ما حدده الشيخ الخليلي في المسألة .

وبعد المقارنة بين وزن القروش القديمة المحددة في وزن الصاع ، وبين الوزن السائد في عصرنا الحالي وهو الكيلو وهو الذي يساوي وزن ألف جرام ، وكون المن المسقطي المعروف حاليا يساوي ٤ كيلو جرام ، وبعد المذاكرة مع شيخنا العلامة الفاضل حمود

(٧٧) أنظر : السالمي نور الدين : معارج الآمال : ١٢/٢٦٩-٢٧٠.

ابن حميد الصوافي وضعت ما يلي : المن أربعة كيلو والكيلو وزن ستة وثلاثين قرشا الا ثمانية جرامات فالمن الكامل بالقرش القديم سبعة وثلاثون ومائة قرش ومثقال ، والصاع على هذا يكون وزن كيلووين وثمانية وأربعين جراما لا غير ، وعند الشيخ ابن عثيمين كيلووين وأربعون جراما لا غير .

وفي موضع ما يحل أو يحرم من الأطعمة والأشربة سئل عن قهوة البن هل هي حرام أم لا ؟ فأجاب بأنها حلال محض لا شبهة فيها(٧٨) ، وأجاب سائلا آخر بأبيات هذا نصها :

هاك الجواب بإيضاح وتبيان … في قهوة البن قد وافى بإعلان
حل لشاربها لا إثم يتبعه … كمثل ماء قراح سلسل هاني
وافاك مني جواب طيب سلس … أحكمت عقدته صنعا باتقان
رويته عن شيوخ سادة غرر … سادوا البلاد بأحكام وأديان(٧٩)

وقوله : (عن سادة غرر) يعني بذلك (شيوخه) ، وخاصة شيخه ناصر بن أبي نبهان ، فان سئل عن ذلك ضمن أسئلة أخرى وجهت اليه من المغرب ، فأجاب بحلها وعدم حرمتها ، بعدما بحثها بحثا مستفيضا ، وعرضها على قواعد الأصول في التحريم والتحليل من حيث انها لم يرد فيها نص بعينه(٨٠)

وبعد انتهاء أخذ هذه النماذج من فقه العبادات ، انتقل الى بيان نماذج أخرى من فقه الأحكام لتتم الفائدة ، وذلك في المبحث الآتي :

المبحث الخامس–نماذج من فقهه في الأحكام :

يرى الشيخ أن يد المدعي عليه أقوى من دعوى المدعي وبينته ، وذلك أنه سئل عن رجل له ماء ورثه من ابائه ، فادعى عليه رجل بأنه ماؤه وأظهر ورقة عليه بأنه قد باع ماءه لفلان بن فلان ، والماء لم يحزه المشتري أبدا وأنكر الذي في يده الماء البيع فأجاب الشيخ : ان الذي في يده الماء أولى بمائه ، وكل أولى بماء في يده ، ولا ينزع منه بهذا المكتوب ، والحكم باليد والحوز والمنع أولى من الحكم بالمكاتيب ، لأنه أقوى حجة من الورقة بدون قبض.(٨١)

---

(٧٨) أنظر التمهيد : ٦/٢٣٨ وأدخلته هنا لدخوله فيما يتعبد به.

(٧٩) م ن ص ٢٤٥.

(٨٠) أنظر جوابات الشيخ ناصر بن أبي نبهان إلى أهل المغرب ص٤٥.

(٨١) انظر التمهيد : ٧/١٦١–١٦٢.

والشيخ يرى كغيره من السلف أن شهادة الشهرة لا تقبل الا في ثلاثة أشياء : النسب والنكاح والموت وما عدا ذلك فلا بد فيه من البينة العادلة ، ولا يرى قبول الشهادة برفع الشهادة عن فلان، كأن يقول سمعت فلانا يذكر كذا أي عن غيره ، أو سمعته يشهد بكذا (٨٢)

ويمنع الشيخ الاحداث على الطريق على أية حال ، اذا كان مما لم يسبق مثله وانما هو حدث جديد ، كاحداث الميازيب التي تصب منها المياه من السطوح على الطريق ، ومما سئل عنه في ذلك : (وما تقول فيمن أراد أن يحدث بنيانا مثل غرفة في بيته زيادة معوانا للسكن هل له من رخصة أن يركب لها ميزابا أعني يجري منه سيل سطحها خارجا منه على الطريق ، ان لم يكن ذلك إلا من ضرورة ، اذا كان لا يحمل السيل السائل المنزل لكثرة السيول المتواترة كالسواحل ، انما يحيل سبيله في منزله ، ويجعل له سبيلا يسيل منه الى الطريق الجايز ، أم كيف الحيلة فتأمره بها ، تكون جائزة له ؟

تفضل عرفنا الوجه الذي فيه السلامة في أمر الدين .
فأجاب : (لا يجوز أن يحدث ميزابا على الطريق ، وان جعله يجري على بيته فجائز، لكن جعله السيل من البيت يجري على الطريق إن كان حدثا لا يجوز ، ولا نعلم فرقا فيه بين ضرورة ولا غيرها ، إلا أن يكون من جنس ما جاز فيه الاختلاف بين أهل العلم، كالسواقي المقنطرة ، في باطن الأرض بحيث لا يخشى على الدوام تداعي بنائها وتساقطه ، لتشديده بالحجر القوي والصاروج ، أو الجص الشديد ، فعسى أن يجوز ان أفضى به الى مباح ، في قول أهل الرأي السديد) .

قلت له : فان فعل احدى الحالتين أو كلتيهما لظنه فيهما .... جايزتين أيدان بتخطئته دينونة بدين أم لا ؟

الجواب إن كان فعله لغير الجائز بالدين فجايز أن يدان بالحكم بالباطل على من فعله، بما لا عذر له ولا احتمال فيه ، والحدث المضر بالطريق باطل اجماعا إذ لا مدخل للرأي فيه) (٨٣)

وفي أحكام المساجد وأموالها والضرر بها أكتفي ببيان سؤال وجه اليه وفيه عدة فقرات، كل واحدة منها تشتمل على سؤال مستقل ، فأجاب الشيخ عليها كلا على حدة،

---

(٨٢) انظر التمهيد : ٧/٢٢٤-٢٢٥.

(٨٣) انظر التمهيد : ٧/٢٨٩-٢٩٠.

بما يشفي الغليلا ، ويقوي الضعيف وهذا نص السؤال والجواب : (وفي رجل أراد أن يهدم مسجدا ليوسعه عما كان أسس سابقا ، والمسجد قائم ، بل إن به بعض التخريب ، من سقوط حطبه الذي في سقفه ، وتقطع أبوابه ودرايشه ، ونية الطالب لذلك أن يجعل جميع المغرم مما يحتاج ذلك المسجد ، أن يكون من ماله ، ليس من مال المسجد ، تقربا الى الله ، لرجاء نيل الثواب من الله العزيز الوهاب .

وكذلك ان جاز لهذا الرجل أن يفعل هذا ماذا يكون في الزيادة التي تصح في المسجد، أيكون بسطها من مال المسجد ، أن يعلمه مجوفا ، ويكون في أسفله على وجه الأرض بخار(٨٤) ويسقفه فوق البخار ، ويكون المسجد فوق السقف ، والبخار ليكون لوضع حوائج الناس ولأكل الطعام في أيام المأتم (٨٥)

وكذلك من بنى مسجدا جديدا وجعله على هذه الصفة ، أيقع عليه تسمية مسجدا أم لا يكون ذلك مسجدا ؟

وكذلك من وضع حفرة للمسجد في الماء الجاري من الوضوء ، وللماء الفائض من بئر المسجد ، وتلك الحفرتان ليستا داخلتين في المسجد بل انهما تحت أساس البئر ، وهو متصل بجدار المسجد ، أيجوز للداخل في المسجد ان غلب عليه بول في تلك الحفرتين أم لا ؟

وكذلك فيمن أراد أن يغرز مسامير من حديد في جدار المسجد ، ولم يكن سابقا من ذلك ، ومراده أن يضع ساعة ليعرف بها الأوقات للصلاة أم لا ؟

وكذلك أيجوز للقائمين أن يدخلوا وطاياهم (٨٦) في المسجد ، ويضعوها في درايش(٨٧) المسجد ، ومنهم من يجعلها بين أرض المسجد وبسطه من شدة السرق للوطايا إن وضعت على باب المسجد أم لا ؟

وكذلك ان فضل شيء من تمر الفطرة لشهر رمضان ، أيجوز للجماعة أن يشتروا به

---

(٨٤) لا أدري المراد به ولعله تصحيف بخار بتشديد الخاء وهو في عرف العمانيين الغرفة التي تستعمل لتخزين الأشياء الزائدة عن الحاجة فلينظر فيه .

(٨٥) تفسيره لكلمة البخار مما يدل على ما قلته من قبل فالمقصود به مخزن الحوائج وهو البخار .

(٨٦) الوطايا جمع وطية وهي لهجة عمانية دارجة في النعال .

(٨٧) الدرايش جمع دريشة ، وهي لهجة عمانية دارجة أيضا في النوافذ .

حلا للسراج في المسجد أم لا ؟ ، ماذا يكون يفعل بها ؟ أفتنا في ذلك على التصريح مأجورا ان شاء اللّه .

الجواب : أما هدم المسجد لمعنى توسيعه أو تجديد بنائه وتقويته ، ان خرج ذلك على معنى الصلاح لضيق عن عمارة أو لوهن في جداره ، أم ما يشبه هذا من نظر الأصلح في عمارة ، فلا يضيق ذلك على فاعلة ، ان كان المغرم من ماله ، ويرجى من اللّه جزيل أجره لمن عمل صالحا لوجهه في هذا أو غيره ، ولا يلزمه أن يجعل للمسجد وقفا لما أراده ، إلا أن يتبرع نافلة من عنده ، وفي الأثر يوجد جواز عمارته من بعد ، بما فيه من زيادته ، من مال المسجد ، لأنه قد صار كله مسجدا ، فحكم البعض عنه كحكم كله، وهو قول صحيح .

ولا يجوز أن يجعله مجوفا لبخار ولا لاطعام في مأتم ولا غيره ، لأن تلك البقعة قد ثبتت مسجدا ، ولن يجوز ذلك في مسجدا أبدا ، وأرض اللّه واسعة الفضاء لمن أراد الترفق فيها بما من الجايز شاء ، فينبغي ألا يخالف السنة فيه ، وقد ثبت من فعل رسول اللّه ﷺ وصحابته ، وكل من نعلمه من صالح السلف والخلف جميعا ، انهم لم يجعلوا المساجد غرفا ، ولا اتخذوا تحتها دورا ، ولا زخرفوها قصورا ، وما جعلوه للصلاة من غرفة لم يسموها بمسجد عرفا ولا لغة ، وكفى بهم قدوة في الحق وأسوة .

وكل ما خالف السنن فهو من البدع ، والفتن ، فدعه الى غيره لعدم خيره ، ومن أحدثه فوق داره ، أو اتخذه على بخاره لم يبن لي إلا أنها غرفة في صورة مسجد وحكمه ، ولا بد أن يشملها معنى اسمه ، وأرجو أن في الأثر ما دل على هذا ان صح في حفظي .

وما كان من حفرة أو بئر أو مطهر (٨٨) ملاصقا للمسجد لمنافع عُمَّاره فحكمه حكم نفسه ، لا حكم المسجد ، وقد يؤمر أن يتخذ على أبواب المساجد المطاهر ويجعل لها الكنف ، فان كان البول بتلك الحفرة ، مما لا يؤذي المسجد ولا عُمَّاره فلا بأس به فيما عندي ، لأنها ليست من المسجد .

ولا بأس بجعل المسامير في جدار المسجد ، لوضع ساعاته لمعرفة الأوقات في موضع الحاجة اليها ، ولا سيما في الأماكن المخصوصة بكثرة الغيم واللبس ، ان احتاج عُمَّاره الى ذلك ، فقد يوجد الاختلاف في الأثر في جواز مثله ، حيث لا مضرة منه بجدار المسجد .

(٨٨) مكان التطهر أو هو على عرف العمانيين : الكنيف .

وكذلك لا بأس بادخال النعال فيه لمعنى الحفظ به ، مع وقايته من مماسة ما بها ان كان من دنس قذر غير نجس ، ويكره ادخالها به وبها نجاسة غير طاهرة ، الا لعذر من مخافة عليها مع عدم الامكان لغسلها في الحال ، ولا يجوز أن يدخل به ما فيه نجاسة ظاهرة ، الا أن لا يقدر على ازالتها لعذر ، ففي الأثر جواز مثله خوفا من اضاعة ماله، إلا أنه ما لا بد أن أصاب المسجد شيء منها من لزوم غسله عليه ، مع القدرة الا لعذر.

وما كان للفطرة فلا يجوز أن يجعل لغيرها من حلاء وغيرها ، وانما هي لما جعلت له ، فان لم يكن انفاذه في ذلك العام ففي غيره من الاعوام ، وان خيف فساده لتركه ، و لم يكن وقفا بعينه بيع بعدل سعره ، واشترى عنه بدله ، في جواز انفاذه أو متى رأى الصلاح في شرائه ، وأطعم في الفطرة على أصله)(٨٩)

ومن تحليل هذا الجواب يتضح مدى توقف الشيخ على ما ورد في السنة والآثار حول المساجد ، وبنائها فبينما هو يبيح ترميمها وتوسعتها لأجل اصلاحها ، وصلاح عمارها ، يمنع أن تكون المساجد على شكل غرف ذات طوابق ، لأن المسجد إذا كان حاله هكذا فلا أرض له ، ومن المعلوم أن أرض المسجد تبقى مسجدا الى يوم القيامة، ولكن يحتمل القول في ذلك : ان الوقت الذي كان فيه الشيخ الخليلي يختلف عن هذا الزمن الذي نحن فيه وهو القرن الخامس عشر للهجرة ، فان الأرض ضاقت و لم يبق متسع من المكان ، لبناء المخازن وغيرها ، فتلجيء الضرورة الى بناء مثل هذه المرافق تحت المسجد لأجل الاستفادة من الأرض ، كبناء المخازن والمدارس القرآنية أو العلمية ، وأمكنة الوضوء والاستنجاء ، ومكان المبيت لأبناء السبيل القاصدين لزيارة عمار المسجد ، مما فيه مصلحة الى غير ذلك كما هو سائد اليوم في كثير من بلاد الاسلام .

وان توسعة المسجد تعتبر منه ، فتعمر من ماله ، ويعمل في المسجد جميع ما فيه مصلحة له ، وكذلك أن يحفظ المصلي نعاله فيه ، ما لم يخف تنجيس المسجد خوفا من اضاعة المال المنهي عنه ، ولا بد من أن يجعل كل وقف خصص لأمر ما فيما جعل له ، ولا يحول الى غيره ، فيترك للأعوام القادمة ، الا اذا لم يخصص لشيء معين فلا مانع من تحويله لشيء آخر وقوفا عند قوله تعالى :

﴿ فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه ، والله سميع عليم ﴾(٩٠)

---

(٨٩) التمهيد : ٨/٣٣-٣٦.

(٩٠) الآية ١٨١ من سورة البقرة ، وأنظر : ٨/٨٢.

ويرى الشيخ أن الأمور على ما أدركت واعتادت عليها في الحكم ، ولو كان في ظاهر الأمر بها ضرر على الآخرين ، ما لم يدخل فيها ظلم لأموالهم ، فقد سئل عن الطريق التي تمر في أموال الناس ، وتمر على دكوك الأموال وتمر داخل التقسيمات الداخلية للمال وتقطع السواقي وهي ممرات الماء للسقي وهذه الطرق تحرث وتسقي وتزرع ، فهل تكون طريقا في الحكم ويجوز المرور عليها ؟ .

فأجاب : (نعم هي طريق ويجوز عليها ، ولا ضمان على من مر بها ، فيما علق برجله من غبارها ، لانها أدركت كذلك ، فالحكم كما سبق عليها ، ولا يتحرج منها) (٩١) والشيخ يرى أجرة المثل في الأشياء المجهولة المقدار ، ولا يصح عنده التأجير على أجرة مجهولة لكن اذا تتامه المؤجر والمستأجر تم ، واذا نقضاه انتقض ، ففيمن أجر حارث الأرض بجزء من الزرع المحصود فتلف الزرع فله أجرة المثل مطلقات تلف أو لم يتلف ، وكذلك أجرة الدلال الوسيط بغير اشتراط أجرة معينة له أجرة المثل اذا تخاصما (٩٢)

ولا يوافق الشيخ على التسعير ، ويقول : (ان الغلاء والرخص من الله -عز وجل-).

ويقول : (والتسعير غير جائز في الأصل ، ولا أعلم رخصة أن يتحكم أحد على الناس ، أن لا يبيعوا الا بسعر معروف ، فدعوا الناس يرزق بعضهم من بعض الا ما كان في موضع الضرر ، كالمحتاج الى ماء ليحيي به نفسه ، فلم يجده الا بمبلغ من الثمن كبير مضارة له فيرد الى عدل القيمة ، ولو اشتراه لأجل الضرورة بما يتحكم صاحبه عليه ، فليس عليه أكثر من قيمته بنظر العدول ، وكذا في الأثر .

والطعام كذلك اذا احتكر ، ولم يوجد الا بأضعاف ثمنه ، فيجوز أن يحكم ببيعه ويرد الى قيمة العدل ، اذا تعينت الضرورة اليه ، واذ شبهت الجهاد هذا الأصل فيجوز أن يلحق به) (٩٣)

وكان يأمر برد المظالم الى أهلها لمن أراد أن يتخلص ، فيما بينه وبين الله -تعالى- ، ويلزم الباغي جبر ظلمه لمن ظلمه ، وسئل عن الجبار إذا كتب لناس من قومه ، أن يهدموا بيت فلان على سبيل البغي ، فخرج أولئك القوم الى البلدة التي فيها البيت ، فانقسموا فرقتين، فرقة منهم قطعت الطريق ، لئلا يصل من ينصر أهل هذه البلدة ، التي فيها البيت ،

---

(٩١) أنظر التمهيد : ١١٦/٨.

(٩٢) أنظر التمهيد ١٩١/٨-١٩٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥.

(٩٣) التمهيد : ٣٥٧/٨.

والفرقة الثانية هدمت البيت ، قلت هل يؤخذ الجميع ، ويلزمهم اذا خرجوا جميعا، وهم يد واحدة ، أيكون الضمان على عدد رؤوسهم ؟ أم يخص من هدم ، والذي قطع الطريق معذور وذو الحق مخير في اخذ حقه من الآمر أو المأمور ؟ وهل يحكم عليهم مع وجود الصحة ببنائه ، ورجوعه على حسب ما ضيعوه ، ويكون عليهم غرم حمل الحصى والتراب على رأي عدلين ، من المسلمين ؟ أم يحكم عليهم بالغرم دراهم على تحري العدل من المسلمين ؟ صرح لنا ذلك على ما تراه ، وتحبه للحاكم .

فأجاب : (أأقول : يلزم الهادمين غرمه بلا خلاف ، يحكم به الحاكم عليهم ، ولا عذر لهم بأمر الجبار فيه ، ويجوز أن يلزم ذلك الآمر المطاع ان طلبه من له الحق على أكثر القول ، ولا يعذر قاطع الطريق عن حماية البيت ، اذا كان قطعه ليتمكن الجبار وأعوانه من الهدم وهو شريك لهم فيه ، ويجوز الا يلزم ضمانه ، ويكونو فيه شركاء جميعا ، والزامه الهادم أظهر ثم الآمر المطاع ، ثم المساعد لهم بقطع المواد عن البيت لأجل هدمه ، وكلهم لا براءة لهم منه الا بالخلاص) (٩٤)

وهذا لأن الباغي ظالم لصاحب البيت ، فهدمه البيت لا يصح ، وأمره بذلك لمن لا يقدرون على رفض أوامره تعد منه فهو شريك في الهدم لأمره به ، والذين قطعوا الطريق لمنع الناس من الوصول الى البيت لانقاذه أو على الأقل انقاذ من فيه ، شركاء في الجريمة ، وبالتالي فكلهم شركاء في الغرم ، فصاحب البيت على هذا مخير في الرجوع على أي منهم) واستظهر الشيخ-كما رأيت-الوجوب أولا على الهادمين لأنهم المباشرون للهدم ، وكان بامكانهم رفض أوامر الجبار ، ويأتي الجبار في المرتبة بعدهم جزاء وفاقا على فعلهم ، ولا يفلت حراس الطريق إلا اذا لم يطالبهم صاحب البيت .

ويظهر للباحث أن هذا سؤال عن حكم الهادمين لمنزل أولاد الشيخ جاعد بن خميس الخروصي فقد ذكر الشيخ ناصر نفس القصة في هدم هذا المنزل ، ذكرها نور الدين السالمي في تحفة الأعيان .

ويرجح الشيخ في زواج الصبية التي لم تبلغ الحلم أن لها الخيار بعد البلوغ ، ويقول بجواز زواجها قياسا على تزوج النبي-عليه الصلاة والسلام-بعائشة-رضي الله عنها- ، ويثبت لها الخيار قياسا على ثبوت الخيار للأمة بعد العتق بالاجماع احتجاجا

(٩٤) التمهيد : ٩/٢٩٩-١٠٠

باثبات الخيار من فعل النبي ﷺ ببريرة حين عتقت فاختارت نفسها (٩٥)

وبقى علينا أن نذكر بعض المصطلحات الفقهية الواردة في الكتاب كما في المبحث الآتي :

المبحث السادس–مصطلحات فقهية :

ان المصطلحات الفقهية في الفقه الأباضي العماني ذات طابع خاص ، لأنها نابعة من واقع المجتمع العماني ، ولو انها–في بعض الأحيان–مشتركة لغويا بين هذا الفقه وغيره من المذاهب الأخرى .

وجاء في تمهيد قواعد الايمان كثير من المصطلحات العمانية ، وتجد أيضا بعض الأسئلة ترد الى الشيخ بلهجة دارجة ، ولكن الشيخ يجيب بجواب محكم لغويا ، وأحيانا يحصل التطويل من السائل فيجيب الشيخ بجواب مختصر ، وأحيانا أخرى يحصل العكس إن كان السائل من أهل البحث والتساؤل أو أن السؤال يقتضي التوسع في الجواب .

واليك بعض المصطلحات الواردة في الكتاب :

الرقم	المصطلح	معنـــــاه
١	البرزة	مكان جلوس السلطان أو الأمير للناس
٢	البروة	الرسالة الصغيرة القليلة الكلمات
٣	الشمج	الصهر
٤	مجازه	مستحم النساء
٥	الفلج	قناة الماء
٦	الفسلة	النخلة الصغيرة
٧	الساقية	مجرى الماء للسقي
٨	الزاجرة	آلة يدوية لاخراج الماء للسقي
٩	الهيس	إثارة الأرض للزراعة
١٠	الصوار	فتحة دخول الماء الى الزرع
١١	وجين	حاجز مسقى الماء

(٩٥) التمهيد : ١٠/٢١٨–٢٣٢

الرقم	المصطلح	معنـــــاه
١	العاضد	النخل أو مكانه الذي بجنب المجرى
٢	المرزاب	الميزاب
٣	الشرجه	المسيل الصغير لماء المطر
٤	الرحى	موضع طحن الحبوب
٥	الصرم	هو الفسائل الصغيرة من النخل
٦	المبرز	موضع الجلوس المكشوف خارج الغرف
٧	الدهريز	موضع الجلوس المسقف خارج الغرف
٨	حائط	موضع الجلوس المسقف خارج الغرف
٩	الحجرة	المحلة كثيرة المنازل
١٠	حلاء	أدام
١١	عوال	سمك مجفف
١٢	الطناء	بيع الثمرة على رؤوس النخل وسائر الاشجار
١٣	العقد	الإيجار
١٤	بادة الفلج	مجموعة مقدرة من الماء للإيجار
١٥	خبورة الفلج	مجموعة مقدرة من الماء للإيجار
١٦	غيز الماء	قليل من الماء الجاري
١٧	الطفال	طوب من الطين المجفف
١٨	جمار الكتاب	غلافه المقوى
١٩	السطوح	سقوف المنازل
٢٠	الهيب	حديدة محددة للحرث
٢١	الجذع	جزء من الجذع الكبير للنخلة
٢٢	الركض	هو العدو السريع
٢٣	درع المرأة	قميصها الطويل (الدشداشة)

الرقم	المصطلح	معنـــــــاه
٢٤	اللحاف	غطاء المرأة فوق القميص
٢٥	الوقاية	الخمار أو الدسمال أو النصيف أو الكمة العمانية للنساء
٢٦	الجلباب	ما تتدثر به المرآة من اللباس الأسود فوق ملابسها العادية
٢٧	الرداء	ما تتدثر به المرأة من اللباس الملون فوق ملابسها العادية
٢٨	المئزر	هو ما تلبسه المرأة محل الإزار للرجل

العمـــــلات والمقاييـــس :

١- العملات القديمة والحديثة :

الرقم	اسم العملة	القيمة
١	اللارية	مثقال وربع من الفضة
٢	المحمدية	مثقال واحد من الفضة
٣	الشاخه	نصف مثقال وهي الصدية
٤	الدانق	ثمن مثقال من الفضة
٥	الغازي	نقد صغير من النحاس
٦ ٧	الدينار	مثقال من الذهب وهو يساوي مائتي درهم قديم من الفضة
٨	الدرهم	ثلثا مثقال إلا قليلا من الفضة
٩	القرش الفرنسي أو الفرنسيسي	هو قرش الفضة النمساوي الباقي الى اليوم وقيمته ثلاثة ريالات عمانية بصرف اليوم ووزنه ٧ مثاقيل أو ٢٨ جرام بوزن الفضة .
١٠	البيسة القديمة	ثلاثة أنواع وهي بيسة صفر أي قطعة نحاس فمنها ما هو مكتوب عليه زنجبار ، ويتداول في عمان ومنها مكتوب عليه فيصل ومنها مكتوب عليه عمان ، وكانت تتداول هي والقرش الفضي الى حوالى عام ١٩٦٨م وألغيت بصدور الريال السعيدي ، ولكنها كانت تتداول في عمان الداخل حتى عام ١٩٧٠م .

الرقم	اسم العملة	القيمة
١١	الريال العماني	هو الذي يتداول اليوم وقيمته بالريال السعودي عشرة ريالات إلا ثلثا وبالدرهم القطري والاماراتي تسعة ونصف وقد حل محل الريال السعيدي والسعيدي اسم لاصدار السلطان سعيد بن تيمور والعماني اسم لاصدار جلالة السلطان قابوس بن سعيد .
١٢	البيسة العمانية الحالية	بقيت اسما لا وجود لها ولكن بقيت منها فئة خمس وعشرين وفئة خمسين فقط وكانت من تحتها عشر وخمس وبيستان . وهي من النحاس .

٢- المقاييس القديمة والحديثة

الرقم	اسم القياس	القيمة
١	المن المسكدي القديم	وزن ١٣٧ قرش فرنسي ومثقال
٢	المن المسكدي الحديث	وزن ٤ كيلو والقلاله هي منان فقط والفراسلة ١٠ أمنان وتزاد في الفرض منان الا ٢٨ جراما .
٣	مَنّ عمان	وهو الربعة في الشرقية والعطار في الغربية هو يساوي كيلو بوزن اليوم وهو وزن ٣٥ قرش ونصف قرش وزيادة أربعة وعشرين جراما لكنا وجدناهم يزيدون وزن اللحم والسمن.
٤	الكيلو	فهو ألف جرام ، وقد قسم المن الى ٤ كيلو وقسم في القديم الى ٢٤ كياس مسكد ، أما كياس عمان فهو وزن ٨ مثاقيل وكياس مسكد ٤٠ مثقالا٣ ووزن القرش الفرنسي بالبيسات القديمة خمس بيسات فيصل.

الرقم	اسم القياس	القيمة
٥	المكيال	فمكيال نزوى أكبر من مكيال سناو بثلثي سدس ومكيال نزوى يقال انه صاع
٦	تولة الذهب والفضة	فيقال انها جرام و ٦٠٠ ملجرام
٧	المثقال	٣ جرامات و ٨٠٠ ملجرام والجرام = ١٠٠٠
٨	القياس	الآن بالمتر وهو ثلاثة أقدام وثلث والياردة أو الوار وهو ثلاثة أقدام فقط
٩	الباع القديم	هو مد اليدين مفترقتين كل الى جهة
١٠	الذراع	مدة ذراع اليد
١١	الشبر	مدة إصبعي اليد البنصر والخنصر
١٢	الخطوة	مقدارها نقلة الرجل منها الى الأخرى

وهذا استطراد مني لأجل البيان عن الموازين والعملات والمقاييس القديمة وللشيخ سعيد مصطلحات أخرى ، كقوله لا أدري وفي نظري وعندي وفيما يوجبه النظر فانظروا فيه إلى غير ذلك من المصطلحات التي ترددت في الكتاب .

وبقى علينا أن نذكر وفاة هذا الشيخ وتاريخه فنقول :

المبحث السابع–وفـاته :

بعد أن قضى الشيخ سعيد بن خلفان عمره المبارك في العلم والعمل ، اختار اللّه له ما عنده ليكون في عداد الأحياء الخالدي الذكر فصعدت روحه الى بارئها في شهر ذي القعدة عام ١٢٨٧هـ ، وكانت وفاته بمسقط (٩٦) ولا نعرف مكان قبره فيها حاليا .

(٩٦) أنظر السالمي، نهضة الأعيان : ٣٨٧.

وذكر الشيخ محمد السالمي : أن عمر الشيخ يوم توفي إحدى وخمسون سنة ، ولكنني ذكرت سابقا عند تحديد ولادة الشيخ نقلا عن لسام سماحة الشيخ نقلا عن لسان سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام السلطنة أن عمره كان سبعا وخمسين سنة ، وذلك من خلال مطالعات الشيخ أحمد في كتاب الشيخ سيف بن ناصر الخروصي -رحمه الله ، الذي ألفه في علم أصول الدين وأصول تاريخ الأباضية .

وأيا كان الأمر ، فان الشيخ سعيد قضى عمره المبارك في سبيل الدعوة الى الخير قائما بما يجب عليه تجاه الاسلام وأبنائه ، وبذل في ذلك النفس والنفيس حتى فنيت روحه الحية الزكية .

وما ترك لنا من مآثر عظيمة سواء كانت أثرا علميا أو تأثيرا في أبناء وطنه دليل حي على ما قام به من جهد كبير في الدعوة والاصلاح للمجتمع .

رحم الله الشيخ وبوأه المنزلة الكبرى في عليين مع النبيين والمقربين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

ويجدر بي أن أنبه القارىء لكتاب التمهيد على بعض الأمور وقد جعلت ذلك فيما يلي :

المبحث الثامن -بين يدي التمهيد :

١ -الملاحظة الأولى :

إن مما يجب التنبيه له أن جامع هذه الأجوبة المأثورة عن الشيخ العالم سعيد بن خلفان الخليلي وهو الشيخ محمد بن خميس السيفي التزوي ذكر بعد خطبة الكتاب في الجزء الأول ص ٨ ، ٩ ما نصه :

(أما بعد : قال العبد الفقير مؤلف الجامع الكبير ... الى أن قال : وان آثار الشيخ العالم النحرير الفاضل المحقق المدقق سيدي أبي محمد سعيد بن خلفان الخليلي الخروصي من أصح الآثار ، وأسفاره من أوضح الأسفار ، لما ألهمه الله -تعالى- من بصيرة والهام) ... الخ وقال : (وكنت قد جمعت منها كتابا وسميته «الجامع الصغير» لكتاب تمهيد قواعد الايمان وتقييد شوادر مسائل الأحكام والأديان) ، الى أن قال : (عن لي أن أجمع غيره منها كتابا وأولفه أبوابا ليسهل على المطالع أن أسفرت منه المطالع ، وأن أضيف اليه ما شذ من آثاره ، وأضم معها ما تشتت من مسائله وأسفاره)، الى أن قال : (وسميته «الجامع الكبير لكتاب قواعد الايمان») ... إلخ .

إن المتتبع لهذا الكلام تظهر له الحقائق التالية :

١- ان الشيخ السيفي سمى الكتاب أولا بالجامع الصغير لكتاب تمهيد قواعد الإيمان ثم زاد عليه ورتبه وسماه الجامع الكبير ، فلو وجد أحد من الباحثين مؤلفا باسم الجامع الصغير عن الشيخ الخليلي فلا عبرة به ، لأنه دخل في الجامع الكبير ثم انه لا يوجد عنوان خاص باسم الجامع بل المقصود تمهيد قواعد الايمان وهو الذي بين أيدينا كما يظهر من نفس السياق .

٢- يظهر من قوله : مؤلف الجامع الكبير أنه هو مؤلف الكتاب برمته لأول وهلة فان أراد التأليف لغة وهو جمع مسألة الى مسألة وكونه هو الذي اعتنى بذلك فهذا شيء مسلم . والا فان أصل المادة كلها من كلام الشيخ الخليلي -رحمه الله- الا عند قوله : (ومن غير الكتاب) وقوله : (رجع) أو عند اضافة مسألة أخرى من غير جوابات الشيخ ، والسياق نفسه يعطي ذلك .

٣- إن جامعي جوابات المشائخ من أمثال الشيخ السيفي لهم الفضل العظيم والثواب العميم على ما بذلوه من جهد وعناء في ترتيب هذه الأسئلة والأجوبة وتبويبها ، وذلك من باب احياء العلم والاستفادة منه ، وتقديمه للقراء سهلا ميسرا فهو جهد مشكور وعمل مبرور وخاصة مثل أجوبة العلامة الخليلي فانها أجوبة عالم بصير وناقد خبير ومجتهد كبير ، فلولا هذا الجمع والتبويب ، فمن أين لنا أن نلم بجوابات الشيخ وأن نراها ، ونحن عاجزون كسالى عن تتبع ما تكنه المخطوطات المتناثرة ، خاصة وأن بيننا وبينه قرنا وربعا من الزمان ، فجزى الله الشيخين جميعا خير الجزاء وأدخلهما فسيح جناته إنه على ذلك قدير .

٢-الملاحظة الثانية :

حول الطبع :

لقد قامت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ، بطبع كتاب تمهيد قواعد الايمان وهو جهد مشكور وما زالت الوزارة تسعى جاهدة لنشر هذا التراث القديم بشتى فنونه ، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء وعلى رأسها صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة -أبقاه الله- .

ولا بد لأي كتاب يظهر في عالم الطباعة في حاضر الناس اليوم من أن تكون فيه بعض الهنات ، مما يجب التنبيه اليه تداركا له عند عودة طباعة الكتاب مرة أخرى

وكتاب التمهيد كان من بين هذه الكتب التي تحتاج إلى الاصلاح ، وذلك كالتالي:

١- كثرة الأغلاط المطبعية فيه ، فكثير من سقط الحروف أو زيادتها أو تحويلها عن مكانها أو سقط بعض الكلمات واضح فيه .

٢- لم تخرج آياته ولا أحاديثه .

٣- لم تقابل نسخه ببعضها البعض ليتعرف أغلاط الكلمات فيه .

٤- الغلط في ترقيم أجزائه ، فبينما الكتاب لا يزيد عن اثني عشر مجلدا سجل فيه رقم (١٣) باسقاط الرابع والخامس هو الرابع في الواقع وهكذا .

٥- لم توضع فيه ترجمة للمؤلف ، وهذا أمر ضروري للغاية فكأن مؤلفه مجهول .

٦- الورق الذي طبع فيه الكتاب خفيف جدا ، فان القارىء يجد صعوبة في بعض الأحيان من تدميغ بعض الحروف وأحيانا الكلمات لأن الورق شرب الحبر فتدمغ وهذا يزري بالكتاب ويقلل من أهميته .

وانني لي الأمل الوطيد في اعادة طباعة هذا الكتاب الجميل كما يستحق ، وأن يخرج في قالب أنيق مشوق للقراء ، وأن تقابل نسخه ويحقق تحقيقا جيدا حتى تمكن الاستفادة منه على أكمل وجه والله الموفق .

ملحق بتقريظ تمهيد قواعد الإيمان

هذا التقريظ مطبوع مع الكتاب و لم أطلع على ناظمه فأحببت إلحاقه بالبحث كما يلي:

قيد بسفر قواعد الايمان	لشوادر الأحكام والأديان
وأرسب ببحر العلم تلق جواهرا	تحشو بهن مسامع الآذان
واستحل للأنوار من أنواره	تجلو بهن عشاوة الأذهان
واجعله سلطانا الى سبل الهدى	تقمع به لغواية الشيطان
واعظم بجامعنا الكبير فانه	علم الهدى ودلالة الحيران
تجدن به ما شئت من حكم ومن	حكم ومرفقه ومن تبيان
فألثم شذى أزهاره وأقطف جـ	ـنى أثماره وارتع بروض بيان
سفر هو البحر المحيط فغص به	تظفر بنيل الدر والمرجان
فالدر في أسدافه كالدر في	أصدافه فانعم بدر معان
واللؤلؤ المكنون فيه وفيضه	من بحر فكر العالم الرباني
ذاك بن خلفان سعيد المرتقى	قصب العلى والسبق في الميدان

قد أتقن السيفي صيغة وضعه | ناهيك من وضع ومن اتقان
أهداه سفرا بيمين سطوره | عن لؤلؤ متنظم وجمان
يهدي بغرته الأنام فأرخوا | عزا بفضل قواعد الإيمان

الخاتمة

بعد أن انتهيت من هذا البحث فمن الواجب أن أضع هذه الخاتمة كما يلي :

توصلت في البحث إلى أن الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي كان عالم زمانه في عمان علما وعملا حسب النتائج التالية :

١- استقراء لنشأة الشيخ وطلبه فهو رجل جاد في الطلب مستقيم في الحياة ، مسارع الى الفضائل ، كريم سخي مخلص لله في وجهته ، وقد مكنه ذلك من تملك قيادة العلم والأخذ بزمانه .

٢- قام بالتأليف في فنون العربية والفقه والأصول وقصائد السلوك وهو في سن الشباب مما يدل دلالة واضحة على مكانته العلمية ومهارته الفائقة .

٣- بعد الاطلاع على رسائله العلمية وبحثه المستفيض لمخارج المسائل ، تبين أن الشيخ من أهل التحقيق والتدقيق في هذا الميدان .

٤- يظهر من تتبع قصائده وأجوبته في السلوك أن الشيخ كانت له يد طولى في هذا الفن بين أهله وأنه متعلق بالله-تعالى-متوجه قلبا وقالبا قولا وعملا اليه-سبحانه- .

٥- كان غيورا على دين الله وعلى أمة الاسلام من التمزق والانحلال وسوء العاقبة فهو يسهر على مصلحة المسهمين واشادة صروح العلم والدين ويقض مضجعه عمل المعاصي وظهور المنكرات .

٦- بث روح المعرفة وأرسى قواعد العلم بين طلابه ، فحملوا العلم بأمانة واقتدار فقاموا بالواجب وأكملوا المسار ، وامتدت سلسلة العلم منه الى يوم الناس هذا .

٧- ظهر لنا من خلال هذا البحث القصير مكانته العلمية واللغوية ، وظهر من بين أقرانه فسلموا له القيادة واعترفوا بالسبق ونال شرف التسمية «بالمحقق القدوة الرباني» وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء .

٨- اعترف الشيخ بحب الرسول العظيم وصحابته الكرام ، وقدم ما جاء عنهم على ما جاء عن غيرهم ، وبحث في كتب السنة المعتمدة ، فكان بعيدا عن التعصب بعيدا عن الغلو في الدين لا تأخذه في الحق لومة لائم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

٩- يجب أن يتقدم الشباب المتأهلون للبحث عن مثل هذه الشخصية ويبرزوا الجوانب الفكرية والعلمية لها أداء لواجب الاسلام واعترافا بفضل السلف على الخلف واقتداء وتأسيا بمثل هؤلاء العلماء يقول تعالى ﴿**لقد كانت لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**﴾ (الأحزاب ٢١)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

مصادر ومراجع البحث

١- القرآن الكريم

٢- ابن رزيق ، حميد بن محمد — الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان

٣- ابن عاشور، الطاهر — التحرير والتنوير-الدار التونسية للنشر

٤- الخصيبي ، محمد بن راشد — شقائق النعمان نشر وزارة التراث القومي والثقافة

٥- الخليلي، سعيد بن خلفان — أحكام زكاة الحيوان-مخطوطة بمكتبة معالي السيد محمد بن أحمد.
إغاثة الملهوف بالسيف المذكر
تمهيد قواعد الايمان-نشر وزارة التراث القومي والثقافة
فتح الدوائر-مخطوط بمكتبة معالي السيد محمد بن أحمد
مظهر الخافي-مخطوط بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة
مقاليد التصريف-نشر وزارة التراث القومي والثقافة

٦- الراوحي، ناصر بن سالم — نثار الجوهر-مخطوط مصور (مقدمة جـ١)

٧- السالمي ، عبدالله بن حميد — بهجة الأنوار-نشر وزارة التراث القومي والثقافة
تحفة الأعيان
جوهر النظام-نشر سالم الحاضي بمطبعة النصر-القاهرة
معارج الآمال جـ ١٤ نشر وزارة التراث القومي والثقافة
مشارق أنوار العقول-نشر مكتبة الاستقامة بسلطنة عمان

٨- السالمي، محمد بن عبدالله	نهضة الأعيان-صورة من مطبوع.
٩- القطب ،محمد بن يوسف اطفيش	تيسير التفسير جـ ١٢ نشر وزارة التراث القومي والثقافة . كشف الكرب من أجوبة القطب نشر وزارة التراث القومي والثقافة.
١٠- الكندي ، سليمان بن محمد	بداية الامداد نشر ، وزارة التراث القومي والثقافة.
١١- ناصر بن أبي نبهان	جوابات الشيخ ناصر الى أهل المغرب مخطوط مصور.
١٢- مقابلات شخصية	مع المشائخ أحمد بن حمد الخليلي وسالم ابن حمد الحارثي وسعيد بن خلف الخروصي ومع أحفادالشيخ سعيد بن خلفان الخليلي.

الجانب العلمي

في مقاليد التصريف للخليلي

الدكتور / محمد الوزير

كلية الآداب - جامعة السلطان قابوس

بسم اللّه الرحمن الرحيم

بالرغم من أن موضوع هذا البحث يتناول «الجانب العلمي في شرح مقاليد التصريف» للعلامة الجليل سعيد بن خلفان الخليلي -رحمه اللّه- إلا أنه ينبغي الإشارة إلى مظاهر الجانب التعليمي في هذا الكتاب ومنها :

مظاهر الجانب التعليمي في مقاليد التصريف :

أولا : ان أسلوب العلامة الخليلي يتسم بالبساطة والوضوح والإيجاز سواء أكان ذلك في المنظومة أم في الشرح .

ثانيا : ان مؤلف الكتاب -رحمه اللّه- كان لا يكثر من ذكر الشواهد التي قد يمل من كثرة ورودها القارىء المتعلم .

ثالثا : انه كان لا يكثر من طرح مسائل الخلاف بين العلماء حتى لا يشق على القارىء .

رابعا : انه كان يتخيل القارىء حاضرا أمامه ، فيحثه قائلا له على سبيل المثال :

«وإن كنت لا علم لك برد كل وزن الى أصله من الثلاثي المعل العين فاعلم ان نحو : خاف وهاب محكوم بأنه من باب فرح [1] » .

الجانب العلمي في مقاليد التصريف :

ونتناول الآن دراسة الموضوع الرئيسي للبحث ، وهو الجانب العلمي لشرح مقاليد التصريف للعلامة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي ومفهوم الجانب العلمي في هذا البحث ينحصر في دراسة محتوى شرح مقاليد التصريف ومدى ارتباط هذا المحتوى بعنوان الكتاب ، والوقوف على الاتجاه اللغوي للمؤلف وما إذا كان ينتمي الى إحدى المدارس اللغوية ودراسة منهج الشيخ في تأليف كتابه .

---

(١) جـ١/ص ١٣٥ ، وينظر أيضا على سبيل المثال : جـ١/ص٥١ ، ٢٣٦ ، جـ٢/٤٣، ١٤، ٣٤ ، ٦٣ ، ١٨٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، جـ٣/١٤٩.

أما مظاهر الجانب العلمي في كتاب مقاليد التصريف فتتضح من خلال دراسة النقاط التالية :

أولا–مدى ارتباط عنوان الكتاب بالمحتوى :

إن من يقرأ عنوان كتاب «مقاليد التصريف» يظن للوهلة الأولى أنه كتاب يتناول دراسة علم التصريف وهو–كما عرفه ابن عقيل–«علم يبحث فيه أحكام بنية الكلمة العربية ، وما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال ، وشبه ذلك ولا يتعلق إلابالأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة . فأما الحروف وشبهها ، فلا تعلق لعلم التصريف بها . وشبه الحرف هو الأسماء المبنية والأفعال الجامدة»[٢] .

ولكن الذي يقرأ محتوى الكتاب يدرك أنه كتاب لغوي يحتوي على مسائل صرفية ، ونحوية ، وصوتية وطرق الرسم بالكلمات .

فمن المسائل الصرفية التي تناولها الكتاب :

– **التجرد والزيادة في الأفعال** [٣]

– **صوغ فعل الأمر** [٤]

– **فعل ما لم يسم فاعله**[٥] **ويعني به الفعل المبني للمجهول .**

– **اسم الفاعل** [٦]

– **صوغ أفعل التفضيلية أو التعجبية** [٧] **وغير ذلك من المسائل الصرفية .**

---

(٢) في تصريف الأفعال ، للدكتور عبدالرحمن شاهين : ص١٣

(٣) مقاليد التصريف : ١٨/١

(٤) مقاليد التصريف : ٦٦/١

(٥) مقاليد التصريف : ٦٨/١

(٦) مقاليد التصريف : ٧٢/١

(٧) مقاليد التصريف : ٨٦/١

ومن المسائل النحوية التي تناولها الكتاب :

- **خواص الأسماء والأفعال** [8]

- **النكرة والمعرفة** [9]

- **حذف العائد** [10]

- **أسماء الأفعال والأصوات** [11]

وغير ذلك من المسائل النحوية .

ومن مسائل علم الأصوات التي تناولها الكتاب :

- **ذكر الواوات** [12]

- **الوقف** [13]

- **الإمالة** [14]

- **إلتقاء الساكنين** [15]

- **تخفيف الهمز** [16]

- **الإبدال** [17]

- **الإدغام** [18]

- **مخارج الحروف** [19]

---

(٨) مقاليد التصريف : ١/٧:١٢

(٩) مقاليد التصريف : ١/١٢٣

(١٠) مقاليد التصريف : ١/١٦٥

(١١) مقاليد التصريف : ٢/٧٤

(١٢) مقاليد التصريف : ١/١٧٩ ، ٢/١٣٧

(١٣) مقاليد التصريف : ٢/٢٢

(١٤) مقاليد التصريف : ٢/٤٥

(١٥) مقاليد التصريف : ٢/٥٧

(١٦) مقاليد التصريف : ٢/٨٠

(١٧) مقاليد التصريف : ٢/٩٧

(١٨) مقاليد التصريف : ٢/١٦٩

(١٩) مقاليد التصريف : ٢/١٩٧

وغير ذلك من مسائل علم الأصوات .

وقد تناول الكتاب أيضا طرقا لرسم الكلمات العربية(٢٠)

ولعل هذا التنوع في المسائل اللغوية وجمعها في كتاب واحد يرجع الى أن مؤلف الكتاب العلامة سعيد بن خلفان الخليلي ارتضى منهج أغلب اللغويين ، وهو « منهج الجمع الذي سار عليه إمام النحويين سيبويه »(٢١) (ت ١٨٠هـ) و لم يرتض منهج الأقلية الذين ساروا على «منهج أبي عثمان المازني (ت ٣٤٧هـ) في كتابه (التصريف) مستقلا عن (النحو)»(٢٢)

ثانيا-بين الشيخ سعيد الخليلي واللغويين العرب :

بعد أن استعرضنا آراء العلامة سعيد الخليلي في كتابه «مقاليد التصريف» ، يمكن القول بأنه-رحمه اللّه- لم يكن ينتمي الى مدرسة لغوية معينة ، بل كان له اتجاهه الخاص في دراسة المسائل اللغوية التي دار حولها الخلاف بين علماء العربية ، وبأنه-رحمه اللّه-كان يؤيد رأيه بالحجة والدليل المقنع الذي ينم عن فكر لغوي ومنطقي عميق . فنرى الشيخ يوافق رأي البصريين في إحدى المسائل اللغوية ويعد سطور قليلة يخالفهم في أخرى . وكان للشيخ آراء خاصة تفرد بها و لم يسبق اليها .

والنقاط التالية توضح مسائل الخلاف بين الشيخ الخليلي واللغويين العرب ، وما تفرد به الشيخ :

١- ما خالف فيه الخليلي جمهور النحاة ووافق فيه الكسائي :

خالف الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي مذهب جمهور النحاة الذي يقول : إنه لا يجوز حذف لام الطلب وإبقاء عملها ووافق رأي الكسائي وابن مالك الذي يجيز حذفها وابقاء

---

(٢٠) مقاليد التصريف : ١٤٨/٣

(٢١) في تصريف الأفعال للدكتور عبد الرحمن شاهين : ص١١

(٢٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

عملها (٢٣) يقول الشيخ الخليلي في ذلك :

«لام الطلب تدخل على الفعل فيكون أمرا ..... وربما حذفت اللام فبقي العمل كقوله تعالى:

﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ (٢٤) ، قاله الكسائي ووافقه ابن مالك وخالفهم الجمهور (٢٥) » .

٢-ما خالف فيه الخليلي البصريين ، ووافق فيه ابن مالك :

خالف الشيخ سعيد الخليلي مذهب البصريين الذي يقول : إن المدة الزمنية للحرف «سوف» الدال على معنى الاستقبال ، أفسح من مدة «السين» ، ووافق ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) الذي يرى أن هذه دعوى مردودة ؛ لأن العرب عبرت عن المعنى الواحد الواقع

---

(٢٣) يفصل المرادي (ت ٧٤٩هـ) هذه المسألة (في كتابه : الجنى الداني في حروف المعاني ص : (١١١-١١٣) بقوله :

«في حذف لام الطلب وإبقاء عملها أقوال : مذهب الجمهور أنه لا يجوز إلا في الضرورة ، كقوله :

محمد تفد نفسك كل نفس

ومذهب المبرد منع دلك حتى في الشعر ، وزعم أن هذا البيت لا يعرف قائله مع احتماله أن يكون خبرا وحذفت الياء استغناء بالكسرة .

ومذهب الكسائي أنه يجوز حذفها بعد الأمر بالقول ، كقوله تعالى (في سورة ابراهيم : ٣١) : ﴿قل لعبادي اذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ أي : ليقيموا . واضطرب كلام ابن مالك في هذه المسألة ..» .

اذا ما خفت من شيء تبالا

والتبال : سور العاقبة ، وقد نسب هذا البيت الى أبي طالب وحسان بن ثابت والأعشى . (ينظر في ذلك مغني اللبيب : ٢٤٨ ، وشرح شواهد المغني : ٥٩٧ ، والمقتضب : ١٣٢/٢ ، وكتاب سيبويه : ٤٠٨/١ وشرح المفصل : ٣٥:٧ ، وشرح الكافية : ٢٤٩:٢

(٢٤) سورة ابراهيم : ٣١

(٢٥) مقاليد التصريف : ١٠٣:٣

في الوقت الواحد بـ«سيفعل» و «سوف يفعل» ومنه قول الشاعر :

وما حالة إلا سيصرف حالها إلى حالة أخرى وسوف تزول(٢٦)

يقول الشيخ الخليلي في ذلك :

«السين وسوف حرفان يدخلان على الفعل المضارع فيصير معناه خالصا للاستقبال ، ومعناهما التنفيس ، أي يكون فعلهما بعد نفس أي فسحة ومهلة ، وذلك قوله تعالى:

﴿**علم أن سيكون منكم مرضى**﴾ (٢٧) ، ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾ (٢٨) وليس مدة سوف أنفس من مدة السين ، وخالف البصريون »(٢٩) .

٣-ما خالف فيه الخليلي الكوفيين ووافق فيه البصريين :

خالف الشيخ الخليلي الكوفيين في مسألتين ، ووافق البصريين فيهما . وهاتان المسألتان هما :

الأولى : قول الكوفيين أن حرف السين الذي يسبق المضارع ويدل على معنى الاستقبال حرف مقتطع من «سوف» وقد وافقهم ابن مالك في ذلك . وخالف الشيخ الخليلي هذا الرأي ووافق رأي البصريين القائل بأن «السين» حرف مستقل (٣٠)

يقول الشيخ الخليلي في ذلك :

« وليس مدة سوف أنفس من مدة السين ، وخالف البصريون ولا السين مقتطعا من سوف على الصحيح وخالف الكوفيون»(٣١) .

---

(٢٦) الجنى الداني في حروف المعاني : ٥٩ وينظر : همع الهوامع :

(٢٧) سورة الزمر : الآية (٢٠)

(٢٨) سورة الضحى : الآية (٥)

(٢٩) مقاليد التصريف : ٧٥/٣

(٣٠) يقول المرادي في هذه المسألة (في كتابه : جنى الداني) : ٥٩ ، ٦٠ : «والسين عند البصريين حرف مستقل، وذهب الكوفيون إلى أنها مقتطعة من «سوف» كما قالوا : سو ، وسي وسف . واختاره ابن مالك قال: لأنه أبعد عن التكلف ولأنهم أجمعوا على أن هذه الثلاثة فروع «سوف» فلتكن السين كذلك » .

(٣١) مقاليد التصريف : ٧٥/٣

والمسألة الأخرى : قول الكوفيين إن «أفعل» في التعجب اسم وقد خالفهم في هذا الرأي الشيخ الخليلي ووافق رأي البصريين الذين قالوا : إنه فعل ؛ لأن نون الوقاية تلحقه [٣٢]، يقول الشيخ الخليلي في ذلك : «اختلف الكوفيون والبصريون في ما أفعل في التعجب فقال البصريون : إنه فعل وهو الصحيح فتلزمه نون الوقاية نحو : ما أضربني لزيد ، وذهب الكوفيون إلى أنه اسم فيقال : ما أفعلي»[٣٣] .

٤- ما خالف فيه الخليلي سيبويه ، ووافق فيه الأخفش :

خالف الشيخ الخليلي رأي سيبويه (ت ١٨٠هـ) الذي يمنع الصوغ على وزن لم يثبت له مثال في كلام العرب ، ووافق الشيخ الخليلي رأي الأخفش الذي يجيز الصوغ على هذا الوزن ؛ لأن في ذلك فائدة ، يقول الخليلي :

«اختلف النحاة في جواز الصوغ على وزن لم يثبت له مثال في كلام العرب ، فمنع ذلك سيبويه وأجازه الأخفش ، وهو الأصح ؛ لأن ذلك لا يخلو من فائدة . وليس المراد هنا الا الامتحان والتدريب وأي مانع . وما لم يثبت له مثال في العربية فهو لا يخلو من أحد نوعين : فإما أن يكون [٣٤] قد ثبت في غير العربية من اللغات مثل جالينوس وأرسطاليس ، وإما أن لا يعلم له وجود ، بل هو وزن مخترع مثل فعلللي ؛ لأن المجرد لا يتعدى الخماسي أبدا . وهذا وزن سداسي مجرد ...»[٣٥] .

لا شك أن رأي الشيخ الخليلي يدل على بعد نظر وخيال علمي خصب : تحقق بمرور الأيام ؛ ففي وقتنا الحاضر نرى بعض مجامع اللغة العربية تهتم بالأوزان المهملة في اللغة العربية وبالصوغ عليها والاستفادة منها في وضع مصطلحات فنية وعلمية جديدة ، تواكب متطلبات العصر وحركة الترجمة الى العربية .

---

(٣٢) يقول ابن عقيل في إعراب «ما أفعله» (شرح ألفية ابن مالك : جـ٣/١٤٨) : «ما مبتدأ ، وهي نكرة تامة عند سيبويه ، وأحسن فعل ماض ، فاعله ضمير مستتر عائد على ما و «زيدا» مفعول أحسن والجملة خبر عن «ما» والتقدير «شيء أحسن زيدا» أي جعله حسنا وكذلك : «ما أوفى خليلنا» ... واستدل على فعلية أفعل بلزوم أفعل بلزوم نون الوقاية له اذا اتصلت به ياء المتكلم ، نحو : ما أفقرني الى عفو الله» .

(٣٣) مقاليد التصريف : ١٤١/١

(٣٤) في كتاب مقاليد التصريف : ٤/٣ «لأنه إما يكون» .

(٣٥) مقاليد التصريف : ٤/٣ .

٥-ما خالف فيه الخليلي الأخفش والمبرد ووافق فيه الزجاج :

يرى الشيخ سعيد الخليلي أن «اذا» الدالة على معنى المفاجأة ظرف زمان يضاف الى الجملة الاسمية ، وهو في ذلك يخالف الأخفش الذي يرى أنها حرف للمفاجأة ، والمبرد الذي يرى أنها ظرف مكان ، ويوافق الشيخ الخليلي في ذلك الزجاج الذي يرى أنها ظرف زمان (٣٦) يقول الشيخ الخليلي في ذلك :

« إذا ظرف زمان وفيها معنى الشرط غالبا ... وما يلي هذه فهو جملة فعل مضاف اليها اذا ...

ومعنى قوله (أي قول الخليلي) : « إلا مفاجئا» يريد أن اذا قد تضاف الى الجمل الفعلية الا اذا كانت لمعنى المفاجأة فانها لا تليها الجملة الفعلية ، بل هي تضاف الى الجمل الاسمية كقولهم :

خرجت فاذا السبع »(٣٧)

٦- ما تفرد به الخليلي :

تفرد الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي بعدة آراء لغوية لم يسبق اليها ، من ذلك :

(أ) رأيه الذي يجيز رد فاء نحو (عدة وزن) بدون قلب عند النسب فيقال : وعدي ووزني .

يقول الشيخ الخليلي في ذلك :-

«وأما الفراء فقد يرد فاء نحو : عدة وزن فيجعله في موضع التغيير وهو الآخر فيقول :

عدوي وزنوي ... وتسمية هذا ردا مجازا وإنما هو في الحقيقة قلب . وأقول إنه إذا جاز القياس على هذا القلب فلا يبعد أن يطرد الفاء في موضعها ، فيقال في عدة وزنه : وعدي

(٣٦) يقول ابن هشام (ت ٧٦١هـ) في كتابه مغني اللبيب : ١٥٣/١ ، ١٥٤ : « إذا» على وجهين : أحدهما أن تكون للمفاجأة ، فتختص بالجملة الاسمية ولا تحتاج الى جواب ولا تقع في الابتداء ومعناها الحال لا الاستقبال ، نحو : خرجت فاذا الأسد بالباب ومنه (فاذا هي حية تسعى) وهي حرف عند الأخفش ويرجحه قولهم : «خرجت فاذا إن زيدا بالباب» بكسر إن ، لأن إن لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ، وظرف مكان عند المبرد وظرف زمان عند الزجاج ، واختار الأول ابن مالك ، والثاني ابن عصفور ، والثالث : الزمخشري ، وزعم أن عاملها فعل الخبر المذكور في نحو : «خرجت فإذا زيد أو المقدر في نحو «فاذا الأسد» أي حاضر ، واذا قدرت أنها الخبر فعاملها مستقر أو استقر . ولم يقع الخبر معها في التنزيل الا مصرحا به » .

(٣٧) مقاليد التصريف : ٤٣/٣

ووزني كما قيل (٣٨) ووشى في شية »[٣٩]

(ب) ومما تفرد به الشيخ الخليلي قوله : ان الفعل المضارع يدل في أصل وضعه على الحال أو الاستقبال ، وخالف في ذلك آراء النحاة العرب الذين انقسموا إلى فريقين : فريق يرى أنه وضع للحال وآخر يرى أنه وضع للاستقبال ، يقول الخليلي :

« ما دل على زمن غير الماضي ، وهو الحال أو الاستقبال ، فاء المضارع لا غير ، كيضرب .. واختلف في أصل وضعها أهي للحال أو للاستقبال ، ولكن من الفريقين حجة وكان الأول هو الأصح عندي »[٤٠] .

ثالثا-منهج الشيخ الخليلي في شرح مقاليد التصريف :

تتضح سمات منهج الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي في كتابه من خلال تناول النقاط التالية :

١- قسم الشيخ الخليلي موضوعات كتابه إلى خمسة أركان :

الأول : خاص بالأفعال وتصريفاتها وما أشبه ذلك .

الثاني : خاص بالأسماء وتصريفاتها .

الثالث : مشترك ، لانة يعم الأسماء والأفعال والحروف .

الرابع : خاص بالمفردات .

الخامس : خاص برسم الكلمات .

وكان الشيخ الخليلي يعلل لتقديم ذكر بعض الموضوعات على البعض الآخر ، فيقول مثلا بعد ذكر عنوان :

« باب الأسماء والأفعال » :

---

(٣٧) مقاليد التصريف : ٤٣/٣

(٣٨) في كتاب مقاليد التصريف : ٨/٢

«كما قيل في» والصواب ما ذكرناه

(٣٩) مقاليد التصريف : ٨/٢

(٤٠) مقاليد التصريف : ١٠/١



« الركن الأول في الأفعال وتصريفاتها وما أشبه ذلك وإنما قدم ركن الأفعال ؛ لأنه أهم في باب التصريف وكثرة الحاجة اليه ؛ لأنه في باب الطلب أولى من طلب الجموع والتصغير والنسب المنفرد به باب الأسماء ، فلذلك به هنا »(٤١)

٢- اهتم الشيخ الخليلي بدراسة اللهجات العربية القديمة والحديثة ، فمن ذلك قوله :

« وكسر حرف المضارعة جائز في باب فعل المكسور ، وهي لغة تميمية ، فتقول : انت تِعلم وتفرح وتسمع بكسر تاء الفعل ، وأنا إعلم وإسمع بكسر الهمزة ، ونحن نعلم بكسر النون ، ولا يجوز الكسر اذا كان حرف المضارعة ياء فهو : يعلم ويفرح بالفتح .

٣- كان الشيخ الخليلي لا يميل الى الاستطراد في شرحه وكان يحرص دائما على ألا يخرج عن الموضوع المطروح ، فاذا أحس أنه سيخرج عن الموضوع انتبه وعاد اليه مرة أخرى ونبه القارىء على ذلك ، مثال ذلك قوله في الفعل المعتل : « وليس الهمزة من حروف الاعتلال في اصطلاح النحويين بخلاف اصطلاح العلماء بمخارج الحروف ، فانهم يعدونها منها ولكن بخلاف فيها فيما أرى ، وليس هنا موضع شرحها وقد خرجنا من حد المقصود ، فلنرجع إليه »(٤٢)

٤- كان لا يكرر رأيا ذكره من قبل في كتابه ، حتى لا يمل من التكرار ، يقول مثلا :

« وأما مثل وعد ووعى ووقع وما شابه ذلك فقد مضى الكلام عليه فلا فائدة في اعادته »(٤٣) .

٥- كان الشيخ الخليلي يختم كثيرا من أقواله بذكر لازمة معينة هي قوله : والله أعلم(٤٤) ويدل هذا على تواضعه العلمي الذي كان امتدادا لعلماء العربية رحمهم الله . هذا بالاضافة الى ترديده لبعض العبارات ذات الطابع الديني مثل قوله: «والله الهادي »(٤٥) .

---

(٤١) مقاليد التصريف : ١٣/١

(٤٢) ينظر مقاليد التصريف : ٦٣/١، ٦/٢ ، ٢٤٣ ، ٧٣/٣ ، ٧٥ ، ١٦، ٨١ ، ١٠٥ (صفحات خاصة باللهجات القديمة) أما الصفحات الخاصة بالحديث عن اللهجات الحديثة فهي في الجزء الثالث ص ٩٣

(٤٣) مقاليد التصريف : ١٣/١

(٤٤) مقاليد التصريف : ٢٩/١

(٤٥) ينظر (على سبيل المثال) مقاليد التصريف : ١٢/١، ١٨ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٤١ ، ١١٨، ٨/٢، ٤٢/٣

«وباللّه التوفيق (٤٦) » ، «إن شاء اللّه »[٤٦] ... إلخ

وأختم بحثي ببعض الملاحظات على كتاب مقاليد التصريف ومؤلفه :

أولا : ان صاحب كتاب مقاليد التصريف كان لا يسند كثيرا من الآراء إلى « أصحابها فكان يقول مثلا : «قال بعض العلماء »[٤٧] و «قال آخرون »[٤٨] ، و «أجاز بعضهم »[٤٩] .... إلخ .

ثانيا : أن أصحاب الكتاب كان لا ينسب الشواهد الشعرية الى قائليها وقلما ذكر صاحب الشاهد الشعري .

ثالثا : بالكتاب المطبوع حاليا كثير من الأخطاء لذلك أوصي بأن يحقق الكتاب لتصحيح الأخطاء ولتوثيق النصوص والآراء والشواهد الشعرية وذكر أرقام الآيات القرآنية .

واللّه ولي التوفيق .

---

(٤٦) مقاليد التصريف : ٧١/١

(٤٧) مقاليد التصريف : ٢٩/١

(٤٨) مقاليد التصريف : ١٣/١، ٢٥، ٣٥

(٤٩) مقاليد التصريف : ٢١/٣

(٥٠) مقاليد التصريف : ٤/٣

الفهـــرس

ما ورد في هذا الكتاب من قراءات يعبر عن رأي كاتبها فقط ولا يمثل رأي المنتدى الأدبي بالضرورة

رقم الايداع ١١٣/٢٠٠٥

تم بحمد الله

المطابع الفنية سلطنة عمان ت ٢٤٨١٤١٥٣


عاصمة الثقافة العربية